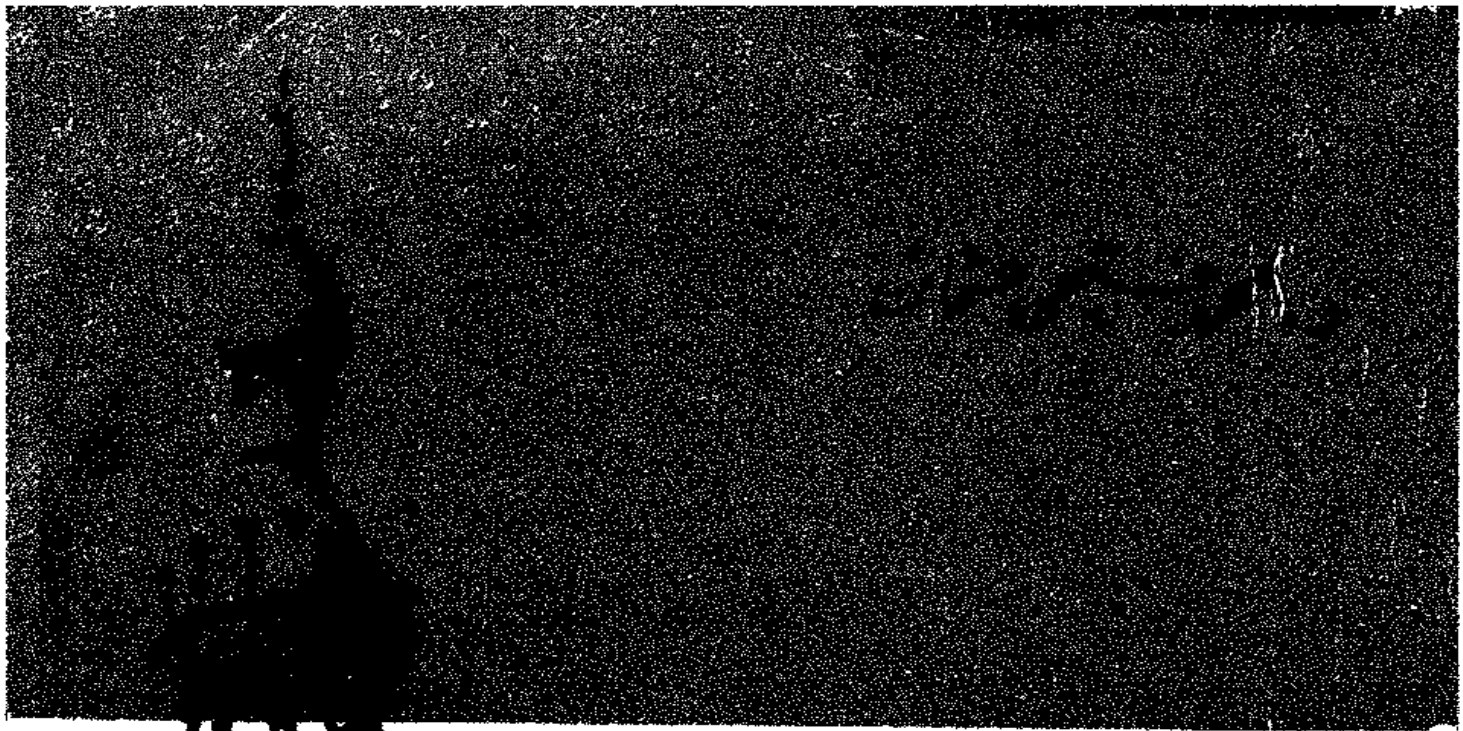

السَّلَفِيَّة

فِي المجتمعاتِ المعاصِرة

Bibliotheca Alexandrina
0122418

السلفية

في

المجتمعات المعاصرة

د. محمد فتحي عثمان
كلية العلوم الاجتماعية

جَميع الحُقوق مَحفوظَة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م

دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف: ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقيا توزيعكو
ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

« السلفية » في المجتمعات الاسلامية المعاصرة

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بمالا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون · وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » (يونس / ١٨ـ١٩) ·

قال ابن كثير (المتوفى في ٧٧٤ هـ) في تفسير الآيتين من سورة يونس : « ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين ان تلك الآلهة تنفعهم شفاعتهم عند الله ، فاخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا ابدا ··· ثم اخبر تعالى ان هذا الشرك حادث في الناس ، كائن بعد ان لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام · قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والانداد والأوثان فبعث الله الرسل باياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) ··· وقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك) ـ الآية : اي لولا ما تقدم من الله تعالى انه لا يعذب احد الا بعد قيام الحجة عليه، وانه اجل الخلق الى اجل معدود ، لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه فاسعد المؤمنين واهلك الكافرين » (جـ ٢ من تفسير ابن كثير دار احياء الكتب العربية بالقاهرة · ص ٤١١) ·

وقد نزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسل الى البشر كافة يذكر الناس بالتوحيد الخالص والحنيفية الصافية ووجوب نبذ الشركاء والشفعاء وكل ما اتخذوا من دون الله من اولياء «اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلا ما تذكرون» (الأعراف/٣) ، « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين · الا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » (الزمر/٢ـ٣) ··· قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة من سورة الزمر : « ··· (الا ليقربونا الى الله زلفى) : اى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ،

ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم اذا حجـــوا فى جاهليتهم (لبيك لا شريك لك ـ الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك) · وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها ، والدعوة الى افراد العبـــادة لله وحده لا شريك له ، وان هذا شيء اخترعه المشركون من عند انفسـهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل ابغضه ونهى عنه : (ولقد بعثنا فى كل امة رســـولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رســـول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) · واخبر ان الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنـده كالأمراء عند ملوكهم يشـــفعون عنهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك وأحبـوه ، (فلا تضربوا لله الأمثال) ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ··· (سبحانه هو الله الواحد القهار) : أى تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شيء عبد لديه فقير اليه ، وهو الغنى عما سواه ، قد قهر الأشـــياء فدانت وذلت وخضعت ، تبارك وتعالى عما يقـــول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا » (جـ ٤ ص ٤٥) ·

حقيقـة الســـلفية

لقد استجاب ســـلف هذه الأمة لدعوة القرآن الى التوحيد الخالص فى عبادة الله والاستعانة به ، وجددوا ما كان عليه رسـل الله وأنبياؤه أجمعون وكل اتباعهم المؤمنون ··· فكانت عقيدة الســـلف فى أيسر تعريف لها وبيان لمضمونها هى هذا التوحيد الخالص الذى جاء به رسـل الله وانبياؤه جميعا ، توحيدا كاملا محكما لا يتعارض فيه قول مع قول ، ولا قول مع فعل ، ولا فعـل مع فعل « فان الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة ، كما امرنا ان نقول فى صلاتنا : (اياك نعبد واياك نستعين) ــ فهاتان الكلمتان قد قيل انهما تجمعان معانى الكتب المنزلة من السماء ، وقد أمر الله بعبادته والتـوكل عليه فى مواضع عدة من كتابه منها قوله تعالى فى الفاتحة : (اياك نعبـــد واياك نستعين) «وعلم القرآن جمع فى الفاتحة ، وعلم الفاتحة فى هذين الأصلين: عبادة الله والتوكل عليه »(١) « وجماع الدين اصـلان : لا نعبد الا الله ، والا نعبده

---

(١) ابن تيمية : جامع الرسائل بتحقيق محمد رشـــاد سالم ــ المجموعة الأولى ــ القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ــ ص ٨٢ ، ٩١ ·

الا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) · **وذلك تحقيق الشهادتين** : شهادة ان لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله ، ففي الأولى الا نعبد الا اياه ، وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا ان نصدق خبره ونطيع امره · وقد بين لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر انها ضلالة · قال تعالى (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) · وكما اننا مامورون ان لا نخاف الا الله ولا نتوكل الا على الله ولا نرغب الا الى الله وان لا نستعين الا بالله وان لا تكون عبادتنا الا لله ، فكذلك نحن مامورون ان نتبع الرسول ونطيعه ونتاسى به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه · قال تعالى : (ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) ، **فجعل الايتاء لله وللرسول** كما قال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، **وجعل التوكل على الله وحده** بقوله (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله ، كما قال في وصف الصحابة رضى الله عنهم في الآية الأخرى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ··· ثم قال : (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) ــ فجعل الاتياء لله وللرسول وقدم ذكر الفضل لله لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين · وقال (انا الى الله راغبون) **فجعل الرغبة الى الله وحده** ، كما في قوله (فاذا فرغت فانصب · والى ربك فارغب) · وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اذا سالت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع · **فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله** ، كما في قول نوح عليه السلام : (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) ، وقوله (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) وأمثال ذلك · فالرسل امروا بعبادته وحده والرغبة اليه والتوكل عليه ، وطاعته والطاعة لهم · فاضل الشيطان النصارى وأشباههم فاشركوا بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، **فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ويسالونهم مع معصيتهم لأمرهم** ومخالفتهم لسنتهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين لله اهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه فلم يكونوا من المغضوب عليهم

ولا الضالين ، فاخلصوا دينهم لله واسـلموا وجوههم لله واثابوا الى ربهم ، واحبوه ورجوهوخافوه وسـألوه ورغبوا اليه وفوضوا امورهم اليه وتوكلوا عليه واطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم واحبوهم ووالوهم واتبعوهم واقتفوا اثارهم واهتدوا بمنارهم . **وذلك هو دين الاسـلام الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسـل ، وهو الدين الذى لا يقبل من احد دينا الا اياه ، وهـو حقيقة العبادة لرب العالمين** . فنسـأل الله العظيم ان يثبتنا عليه ويكمله لنا ويميتنا عليه وسائر اخواننا المسلمين » (١) .

معنى السلفية :

فليست عقيدة السلف رضى الله عنهم الا ما امر الله به من توحيـده وافراده بالربوبية والالوهية ، والاتجاه اليه وحده سبحانه فى النية والعمل ، **وهو التوحيد الذى بعث به الله كل نبى ورسول وانزله فى كل كتاب ... فهى « السـلفية » وهى « الحنيفية » وهى « فطرة الله التى فطر الناس عليهـا »** « ضرب لكم مثلا من انفسكم ، هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيمـا رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون . بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم ، فمن يهدى من اضل الله ، وما لهم من نصرين ، **فاقم وجهك للدين حنيفا** ، فطرة الله التى فطر النـاس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمـون . منيبين اليه واتقوه واقيموا الصـلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون » (الروم/٢٨ ـ ٣٢) ، « قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تدعون من دون الله ، ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم ، وامرت ان اكون من المؤمنين ، **وان اقـم وجهـك للدين حنيفا** ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذن من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا رد لفضله ، يصيب به من يشـاء من عبـاده وهو الغفور الرحيم ، قل يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتـدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليهـا وما انا عليكم بوكيـل » (يونس / ١٠٤ ـ ١٠٨) « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيمـا

---

(١) ابن تيمية : العبودية ـ تقديم وتعليق عبد الرحمن البانى ـ ط ٤ بيروت ١٣٩٧ هـ ص ١٧٠ ـ ١٧٤

ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين · قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين · لا شريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين · قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (الأنعام / ١٦١ ــ ١٦٤) · يقول شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية رحمه الله (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) ، « وراس الاسلام مطلقا شهادة ان لا اله الا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) ، وقال عن الخليل (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون · الا الذي فطرني فانه سيهدين · وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) ···· وذكر عن رسله كنوح وهود وصالح وغيرهم انهم قالوا لقومهم (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) ، وقال عن اهل الكهف (انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى · وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا) الى قوله (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقد قال سبحانه (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ــ ذكر ذلك في موضعين من كتابه · وقد بين في كتابه الشرك بالملائكة والشرك بالانبياء والشرك بالكواكب والشرك بالأصنام ، واصل الشرك الشرك بالشيطان ···· فبين ان اتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كفر · ومعلوم ان احدا من الخلق لم يزعم ان الانبياء والاحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض ، بل ولا زعم احد من الناس ان العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، بل ولا اثبت احد من بني آدم الها مساويا لله في جميع صفاته ، بل عامة المشركين بالله مقرون بانه ليس شريكه مثله ، بل عامتهم يقرون ان الشريك مملوك له : سواء اكان ملكا او نبيا او كوكبا او صنما ، كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك · الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك) فاهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) ··· وقد اخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بينه في كتابه (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ···) ، وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون · سيقولون لله ، قل افلا تذكرون) ــ الى قوله (فانى تسحرون) ، ثم قوله (ما اتخذ الله من

ولد وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) وقال (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ... ومعلوم ان المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يخالفونه فى هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء ، حتى انهم كانوا يقرون بالقدر ايضـــا ، وهم مع هذا مشركون . فقد تبين ان ليس فى العالم من ينازع فى اصل هذا الشرك ... والـــكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده ، فان هذا التوحيد الذى قرروه (اى المتكلمون) لا ينازعهـم فيه هؤلاء المشركون ، بل يقرون به مع انهم مشركون وكما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، وكما علم بالاضطرار من دين الاســـلام ... وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من ائمـــة المتكلمين ، حيث ظن ان الالهية هى القدرة على الاختراع دون غيره وان من اقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد ان لا اله الا هو ، فان المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه . بل الاله الحق هو الذى يســـتحق ان يعبـــد فهو اله بمعنى مألوه ... والتوحيد ان يعبـــد الله وحـــــده لا شريك له ، والاشراك ان تجعل مع الله الها آخر ، واذن تبين ان غاية ما يقـــرره هـــؤلاء النظار (اى المتكلمون) اهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة انما هو توحيد الربوبية وان الله رب كل شيء ، ومع هذا فالمشركون كانوا مقـــرين بذلك مع انهم مشركون ، وكذلك طوائف من اهل التصوف والمنتسبين للمعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد ، وان يشـــهد ان الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لاسيما اذا غاب العارف بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده وبمعروفه عن معرفته ، ودخل فى فناء توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، فهذا عندهم هو الغاية التى لا غاية وراءها ، ومعلوم ان هذا هو تحقيق ما اقر به المشركون من التوحيـــد ، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما فضـــلا عن ان يكون وليا لله او من سادات الاولياء ... وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة ! فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع اعراضهم عن الامر والنهى شر من القدرية والمعتزلة ونحوهم ، اولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشـــبهون المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء) والمشركين أشر من المجوس . فهذا اصل عظيم على المسلم ان يعرفه ، فانه اصل الاسلام الذى يتميز به اصل الايمان من اصل الكفر : وهو الايمان بالوحدانية والرسالة ـ شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رســـول الله ، وقد وقع كثير

To: www.al-mostafa.com

من الناس في الاخلال بحقيقة هذين الأصلين أو احدهما مع ظنه انه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة ، فاقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقرون به اقراره بانه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة احد الا هو ، وان محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما أمر ٠ فلابد من الكلام في هذين الأصلين :

الأصل الأول توحيد الالهية فانه سبحانه اخبر عن المشركين بأنهم اثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون اذن الله ، قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) ــ فاخبر أن هؤلاء الذين اتخذوا هؤلاء شفعاء مشركون ٠٠٠٠ ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى اثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى ٠٠٠

الأصل الثاني : حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلينا أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه ٠٠٠٠ قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) ٠٠٠٠ وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ٠٠٠٠ **ولابد في عبادته من اصلين : احدهما اخلاص الدين له ، والثاني: موافقة امره الذي بعث به رسله** ، ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم احسن عملا) : اخلصه واصوبه ، قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه ؟ قال : اذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ــ والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ٠ ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين مالم يأذن به الله من عبادة غيره ، وفعل مالم يشرعه من الدين ، كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ، كما ذمهم على انهم حرموا مالم يحرمه الله ، **والدين الحق انه لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه ، ثم ان الناس في عبادته واستعانته على اربعة اقسام** : فالمؤمنون المتقون هم له وبه يعبدونه ويستعينونه ، وطائفة تعبده من غير استعانة ولا صبر فتجده عند احدهم تحريا للطاعة والورع ولزوم

السنة لكن ليس لهم توكل واستعانة وصبر بل فيهم عجز وجزع ، وطائفة فيهم استعانة وتوكل وصبر من غير استقامة على الأمر ولا متابعة للسنة فقد يمكن احدهم ويكون له نوع من الحال باطنا وظاهرا ويعطى من المكاشفات والتاثيرات مالم يعطه الصنف (السابق) ولكن لا عاقبة له فانه ليس من المتقين والعاقبة للتقوى ٠٠٠٠ وشر الأقسام من لا يعبده ولا يستعينه ، فهو لا يشهد ان علمه لله ولا انه بالله ٠ **فالمعتزلة** ونحوهم ــ من القدرية الذين انكروا القدر ــ هم فى تعظيم الأمر والنهى والوعد والوعيد خير من هؤلاء الجبرية القدرية الذين يعرضون عن الشرع والأمر والنهى ، **والصوفية** هم فى القدر ومشاهدة توحيد الربوبية خير من المعتزلة ، لكن فيهم من فيه نوع بدع مع اعراض عن بعض الأمر والنهى والوعد والوعيد حتى يجعلوا الغاية هى مشاهدة توحيد الربوبية والفناء فى ذلك ويصيرون ايضا معتزلين لجماعة المسلمين وسنتهم فهم معتزلة من هذا الوجه وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة شرا من بدعة اولئك المعتزلة وكلتا الطائفتين نشأت من البصرة ، **وانما دين الله ما بعث به رسله وانزل به كتبه وهو الصراط المستقيم ، وهو طريقة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون وافضل الأمة واكرم الخلق على الله تعالى** بعد النبيين قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ٠٠٠٠ وكان عبد الله بن مسعود يقول ٠ من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، اولئك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ابر هذه الأمة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا** ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بدينهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم ٠٠٠ وقد قال عبد الله بن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال : **هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه** ثم قرأ (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ٠ وقد امرنا سبحانه ان نقول فى صلاتنا (اهدنا الصراط المستقيم ٠ صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) ، وذلك ان اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ٠ ولهذا كان يقال : تعوذا بالله من **فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل** فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ٠٠٠٠ فنسال الله العظيم ان يهدينا وسائر اخواننا صراطه المستقيم ، صراط الذين انعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١).

السلفية ... دعوة موافقة لكل عصر ، (ومعاصرة) دائما :

تلكم هى عقيدة السلف رضوان الله عليهم ، او هى عقيدة التوحيد كما جاء بها رسل الله وانبياؤه ونزلت بها كتبه ، تنزع عن النـــاس اصرارهم والأغلال التى كانت عليهم ، فلا عبودية الا لله ، ولا طاعة الا لأمره وفقـا لما جاء به رسوله صلوات الله عليه « الذين يتبعون الرســـول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون » (الأعراف / ١٥٧) .

ولا غرو ان تكون الدعوة الى الاقتداء بالسلف هى دعوة متجددة دوما ، وهى على ذلك دعوة ملائمة لعصرنا ولكل عصر ، لأنها تربط المؤمنين بالينابيع الصافية ، وتسقط عنهم رواسب القرون والأجيال من ابتداع البشر ، وتعيدهم الى كتاب الله المحكم المبين وسنة رسوله البيضاء النقية « قل اطيعـــوا الله واطيعوا الرسول ، فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتـــــم ، وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين » (النور / ٥٤) .

فالدعوة السلفية موافقة لكل زمان على الدوام ، لأنها تهدر كل ما لـم يأت به رب الناس الذى برأ النفوس ويعلم خفاياها ومكنون نزعاتها وانـزل ما يزكيها ويهديها للتى هى اقوم ، وكل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا المعصوم صلوات الله عليه .... وهكذا يتحرر المؤمنون فى كل عصر من ركام جمعـه الهوى والتقليد عبر القرون ، وخيم على القلوب والعقول جيلا بعد جيل .

ومن ثم كانت كل دعوة مخلصـــة الى تجديد امر هذا الدين ، تلح على توثيق عرى المؤمنين بمصدريه الخالدين : كتاب الله وسنة رسوله .... ولا تحاول بحال من ان توهن هذه العروة الوثقى التى لا انفصـام لهـــا ، مما قد يتصوره البعض من لفظ (تجديد) وبخاصة اتباع الديانات الأخرى والـذين

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ــ طبعة كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ــ الرياض ١٣٩٦ هـ ص ١١٣ ــ ١٢٩ ، ١٤٣ ــ ١٤٧

الغوا الاصلاح والتجديد على منهج ما لدى هؤلاء الأتباع ... ان في العبودية الخالصة لله ، والرجوع الى الكتاب والسنة وحدهما لمعـــرفة ما امر به الله وما نهى عنه ، تحريرا للعقل والنفس ، للفرد والجماعة : « قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله ، كالـــذى استهوته الشياطين في الأرض حيران ، له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا ، قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين » (الأنعام / ٧١) .

وماذا يريد المعاصرون اكثر من هذا التحرر الفكرى النفسى ، الفـردى الجماعى ، الذى يأتى به افراد الله بالألوهية والربوبية . يقول سبحانه فى النعى على اليهود والنصارى واتخاذهم من دون الله اولياء يطيعونهم طاعتهم ربهم او اكثر « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحـــدا لا اله الا هو ســـبحانه عما يشركون » (التوبة / ٣١) .

نقل ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية من سورة التوبة ما رواه الامـام احمد والترمذى وابن جرير من طريق عدى بن حاتم انه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية ، فاسرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلوات الله عليه وسلامه على اخته واعطاها فرجعت الى اخيها فرغبته فى الاسلام وفى القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عدى الى المدينة وكان رئيسا فى قومه طىء وابوه حاتم الطائى المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله عليه الصلاة والسلام عدى وفى عنقه صليب من فضة وهو يقرأ الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) قال : « فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ـ فتلك عبادتهم اياهم » (جـ ٢ ص ٣٤٨) .

فبالتوحيد الصحيح يتحرر المؤمن من متابعة كل ذى سطوة من البشر ، يقول تعالى « يايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرســـول واولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا » (النســـاء / ٥٩) ويذكر ابن القيـم رحمه الله فى بيان معنى هذه الآية « فامر الله بطاعته وطاعة رسوله ، واعاد الفعل (اطيعوا) اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما امر

به على الكتاب ٠٠٠٠ ولم يأمر بطاعة اولى الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول ايذانا بانهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول » (١) ٠

يقول ابن تيمية رحمه الله : « كل محبة لا تكون لله فهى باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله ، ولا يكون لله الا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع ٠٠٠ وقال النبى صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد) وقال (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) ٠٠٠٠ وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبه أرسل الله الرسل وانزل الكتب واليه دعا الرسول وعليه جاهد ٠ والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء فى الحديث (هو فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل) ٠٠٠ وكثيرا ما يخالط النفوس عن الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له واخلاص دينها له ٠٠٠ وعن كعب بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) ـ قال الترمذى : حديث حسن صحيح ٠ فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرص على المال والشرف فى افساد الدين لا ينقص عن افساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم ٠ وذلك بين فان الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص ، وذلك أن القلب اذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شىء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف عن أهل الاخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) ٠٠٠٠ بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فان فيه طلبا وارادة وحبا مطلقا ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ٠٠٠٠ فتارة تجتنبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا ٠٠٠ وتارة يجتنبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه بالباطل ويعادى من يذمه ولو بالحق ٠ وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وامثال ذلك من الأمور التى تستعبد القلوب والقلوب تهواها ، فيتخذ الهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ، ومن لم يكن خالصا لله بحيث يكون الله أحب اليه من كل ما سواه ويكون ذليلا له خاضعا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين اخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه الا

---

(١) ابن القيم : اعلام الموقعين ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة ـ جـ ١ ص ٣٩

الله . وهذا أمر ضرورى لا حيلة فيه ، فالقلب ان لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه كان مشركا .... ، وينقل ابن تيمية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ... ان اعطى رضى واذا منع سخط » ثم يقول « وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة او بصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه ، ان حصل له رضى وان لم يحصل له سخط . فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، **اذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده** .... فالعبد لابد له من رزق وهو محتاج الى ذلك ، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقيرا اليه واذا طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق فقيرا اليه ، ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة فى الاصل وانما ابيحت للضرورة .... وكلما قوى طمع العبد فى فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته **قويت عبوديته له وحريته مما سواه** ، فكما ان طمعه فى المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه .... واعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله ، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث يكون قلبه معتمدا اما على رئاسته وجنوده واتباعه ومماليكه واما على اهله واصدقائه واما على امواله وذخائره واما على ساداته وكبريائه كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ممن هو قد مات او يموت ، وقد قال تعالى (وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا) . **وكل من علق قلبه بالمخلوقين ان ينصروه او يرزقوه او ان يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك** ، وان كان فى الظاهر اميرا لهم مدبرا لأمورهم متصرفا بهم .... واما اذا كان القلب ــ الذى هو ملك الجسم ــ رقيقا مستعبدا متيما لغير الله ، **فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .... فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما ان الغنى غنى النفس** ، قال النبى صلى الله عليه وسلم (ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس .... قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر) ، فان الصلاة فيها دفع مكروه وهو الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل محبوب وهو ذكر الله ، وحصول هذا المحبوب اكبر من دفع ذلك المكروه .... **وكذلك طالب الرئاسة والعلو فى الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان فى الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو فى الحقيقة يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الأموال والولايات ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه**

ويعينوه .... والتحقيق ان كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله . واذ كان تعاونهما على الحلو فى الأرض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة او قطع الطريق ، فكل واحد من الشخصين ، لهواه الذى استعبده واسترقه مستعبد للآخر . وهكذا ايضا طالب المال ، فان ذلك المال يستعبده ويسترقه » (١) .

فماذا ينشد دعاة الاصلاح فى كل زمان ومكان ، اقوى من هذا التحرير للنفس من داخلها واعماقها عن طريق تصحيح الاعتقاد والايمان ؟؟ ان التحرير بكلمات تقال وفكر يصاغ وقوانين يكتبها البشر للبشر هيهات ان يبلغ ما تبلغه العقيدة الصحيحة التى تنفث العبودية لله فى اعمق الأعماق ، فتنفث معها التحرر من كل الاغيار والشركاء والأنداد ، وتقتل جراثيم الانقياد لشىء من هؤلاء .... وهذه نقطة البدء وحجر الأساس لكل دعوة للاصلاح والتصحيح .

لهذا كانت العقيدة الصحيحة التى يقتدى فيها بالسلف الصالح هى رأس الأمر وعموده فى كل دعوة لتجديد امر هذا الدين وانهاض امته ، فليس كل رجوع الى الأصل رجعية مذمومة مثلما يدين الفكر الغربى الذى يحذر الرجوع الى سلطة الكهنوت والكنيسة .... ان الأمر على العكس تماما فى دين الاسلام ، فالرجوع الى الأصل ينفى ما اقرحته الأهواء والأوهام والتقاليد على مر الأجيال وفى مختلف البيئات ، ويعيد الدين غضا طريا مستمدا من ينبوعه النقى الصافى من الأكدار !

وهكذا اتخذت كل دعوة معاصرة مخلصة للاصلاح « السلفية » اساسا ومنطقا .... فالعقيدة السلفية الصحيحة تطلق القوى والطاقات وتخلص الانسان من العبودية للانسان .... وما أصدق ربعى بن عامر حين دخل على رستم قائد الفرس ـ كما روى الطبرى فى خبر ابتداء امر (القادسية)(٢) سنة ١٤ هـ ، فساله ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا والله جاء بنا ، لنخرج من شاء: من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام . فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه .... » .

---

(١) ابن تيمية : العبودية ص ٨٧ ـ ١٠١ ، ١٣٧ ـ ١٤٢

(٢) تاريخ الطبرى ـ اخبار سنة ١٤ هـ (ابتداء امر القادسية)

والعقيدة السلفية الصحيحة كما تنفى الاستسلام والانقياد والخضوع بغير حق ، تنفى السلبية والتواكل وهجر الدنيا واعتزال الخلق ٠٠٠٠ فالتوكل المشروع غير التواكل المذموم ، وانما يعبد الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومخالطة الناس وتحمل أذاهم ، ويتقى الله فى التعامل مع خلقه ، وتبتغى الآخرة فى السعى والعمل بهذه الدنيا « **ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحسب الامكان والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق** ، فيجتهدون فى اقامة دينه مستعينين به رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل ، وكذلك اذا آن أوان البرد دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ٠ كما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ارأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقى بها : هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هى من قدر الله ٠ وفى الحديث : ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض ٠ فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة ٠ **وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية ــ وهى ربوبيته تعالى لكل شىء ــ ويجعلون ذلك مانعا من اتباع امره الدينى الشرعى على مراتب من الضلال** فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون الشريعة ، وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء) وقالوا (لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ٠ وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا ، بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض ! فانه لا يمكن ان يقر كل آدمى على ما يفعل ، فلا بد اذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى فى الأرض بالفساد أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله ، فيقال له : ان كان القدر حجة قدع كل واحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل أصل قولك ٠٠٠٠ وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه ، وانما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم : كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى ، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به !! ٠٠٠٠ وقد يقولون : من شهد الارادة سقط عنه التكليف ، ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الارادة ، فهؤلاء يفرقون بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد وانه مريد ومدبر لجميع الكائنات ، وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين

من يراه شهودا فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمـــــه فقط ولكن يسقطونه عمن يشهده فلا يرى لنفسه فعلا اصلا ، وهؤلاء يجعلون الجبر واثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه ٠٠٠٠ ثم المعتزلة اثبتت الأمر والنهى الشرعيين دون القضـــاء والقدر اللذين هما ارادة الله العامة وخلقة لأفعـــال العباد ، وهؤلاء اثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهى فى حق من شـــهد القدر اذ لم يمكنهم نفى ذلك مطلقا ٠ وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ، **لهـذا لم يكن فى السلف من هؤلاء أحد** ٠ وهؤلاء يجعلون الأمر والنهى للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يجعلون من وصل الى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهى ويقولون انه صار من الخاصة ، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) ــ فاليقين عندهم هـو معرفة هذه الحقيقة ٠ **وقول هؤلاء كفر صريح ، وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر** ، فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان **الأمر والنهى لازمان لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى ان يموت لا يسقطان عنه** لا بشهوده القدر ولا بغير ذلك ٠ فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له ٠٠٠ **وقد كثرت مثل هـذه المقالات فى المستاخرين ، واما المتقدمون من هذه الامة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم** وهذه المقالات هى محادة لله ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشـــاقة له وتكذيب لرسله ومضاده له فى حكمه ، وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد ان هذا الذى هو عليه هو طريق الرسول وطريق اولياء الله المحققين فهو فى ذلك **بمنزلة من يعتقد ان الصلاة لاتجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية او ان الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لايضرهم شرب** الخمر او ان الفاحشة حلال له لأنه صـــار كالبحر لا تكدره الذنوب ــ وتحـــس ذلك !! ٠٠٠ وهؤلاء قد يسمون ما احدثوه من البدع حقيقة ، كما يســـمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم هو الســـلوك الذى لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده فقلبه مع مافيه من غفلة عن الله جل وعلا ٠٠٠ واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله وتقديم اتباع الهوى على اتباع امر الله ، **فان الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويهواه** ، فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته وهواه ٠ فاهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما ســواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره ان يرجع فى الكفر بعـــد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى

للنار) ... واما اهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه . قيل لسفيان ابن عيينة : ما بال اهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : انسيت قوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) ـ او نحو هذا من الكلام ... ولهذا يميل هؤلاء ويغرمون بسماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة **التي لا تختص باهل الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان ، وهؤلاء الذين يتبعون اذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة** . فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله ابدا .. بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله ، قال تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ... ومن هؤلاء طائفة هم اعلاهم عندهم قدرا مستمسكون بما اختاروا بهواهم من الدين فأداء الفرائض المشهورة ، واجتناب المحرمات المشهورة، **لكن يضلون بترك ما امروا به من الأسباب التي هي عبادة** ، ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك ، مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء منهم من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة به الى ذلك ، وهذا ضلال مبين . فان الله قدر الأشياء باسبابها كما قدر السعادة والشقاوة باسبابهما ... فكل ما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة ، والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى (فاعبده وتوكل عليه) ... ومعهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك . ومنهم ومعهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة ، واستجابة دعوة مخالفة للعادة ونحو ذلك ، فيشتغل احدهم بهذه الأمور عما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك . فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لأهل السلوك والتوجه **وانما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت** ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقول (الاعتصام بالسنة نجاة) ، وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ! ... **فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة ، فانها ـ وان قالها وعمل بها من عمل ـ ليست مشروعة** ، فان الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح » (١) .

---

(١) ابن تيمية : العبودية ص ٦١ ـ ٧٥ .

هذه عقيدة السـلف في حقيقتها الصافية وآثارها الايجابية النافعة في صلاح النفس واصلاح الخلق ، تطلق طاقات العقل والنفس والبدن وفقا لأمر الله وابتغاء مرضاته ورجاء مثوبته ، ولا تقتطع الانسان من الدنيا ولا تعزله عن الناس ، وانما تقيم التوازن الرشيد باقامة ميزان القسط بين الغاية والوسيلة ، كما يقول تعالى « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين · **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين** ، قال : انما أوتيته على علم عندى ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسئل من ذنوبهم المجرمون» (القصص / ٧٦ـ٧٨) : يقول ابن خلدون « **واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ، ومن فقد المطية فقد الوصول** · وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب الى تركه **اهماله بالكلية أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية ، انما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة** حتى تعيد المقاصد كلها وتتحد الوجهة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) · فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله ، وانما يذم الغضب للشيطان واللأغراض الذميمة ، فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم · وكذا ذم الشهوات أيضا ليس المراد ابطالها بالكلية ··· وانما المراد تصريفها فيما أبيح له باشتماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الأوامر » (١) وهكذا يملك المرء شهواته لكن لا تملكه ولا يفقدها تماما ، انما يوجهها ويعليها ويجعل هواه تبعا لأمر الله ورسوله ·

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (وهى الجزء الأول من تاريخه) ـ ط ٢ ببيروت ١٩٦٧ م ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ·

السلفية : رجوع ـ الى هدى السلف منذ عهد الرسالة :

واعتقاد السلف وعملهم اللذان ينبغي أن نهتدى بهديهما قائم منذ بلغ رسول الله صلوات الله عليه دعوته وتبعه عليها صحابته « خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين » كما تقدم من · قول ابن تيمية فى رسالته التدمرية « وأبر هذه الأمة قلوبا واعمقهم علما واقلهم تكلفا » ـ كما نقل ابن تيمية عن عبد الله بن مسعود · وقد تتابع على اعتقاد السلف وعملهم الصالحون من هذه الأمة خاصتهم وعامتهم ، فعرف عنهم التوحيد فى العلم والقول ، والتوحيد فى القصد والارادة والعمل ، فكان توحيدهم مكتملا فيه الهدى والاسوة والقدرة لكل من جاء بعدهم ، ولم يبتدع ذلك أو يخترعه ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب ، وانما التزموا ما تعاقب عليهم السلف الصالح فى القرون المتوالية « وقد علم ان طريقة سلف الأمة وائمتها اثبات ما اثبته ـ الله ـ من الصفات غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل ··· ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالوا : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب وعلى الرسول البلاغ وعلينا الايمان » (١)· يقول ابن كثير عن قوله تعالى « ثم استوى على العرش » الذى تضمنه الآية « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (الأعراف / ٥٤) : « فالناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها ، وانما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعى والثورى والليث بن سعد والشافعى واحمد واسحق بن راهويه وغيرهم من ائمة المسلمين قديما وحديثا ـ وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل · والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منفى عن الله فان الله لا يشبهه شىء من خلقه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ، بل الأمر كما قال الائمة : منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال : (من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر) · وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٧ ، ٦٢ ·

الذى يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى »
(ج ٢ ص ٢٢٠) ٠

وقبل ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) بقرون وبالتالى قبل محمد بن عبد الوهاب بقرون اكثر وزمن أبعد ــ كتب ابو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى المصرى الحنفى المنسوب الى قرية (طحا) من صعيد مصر والمتوفى سنة ٣٢١ هـ كتابه فى العقيدة السلفية المعروف « بالطحاوية » ، وصاحبه كان شافعيا وهو ابن اخت المزنى صاحب الشافعى ، ثم تحول الطحاوى الى الحنفية٠ وقد شرح كتابه فى العقيدة السلفية صدر الدين على بن محمد بن ابى العز ــ وهو حنفى ايضا كان قاضى القضاة بدمشق والقاهرة وتوفى سنة ٧٩٢ هـ ٠ وشرح الطحاوى مصدر جليل فى العقيدة السلفية ومرجع اساسى لطلاب العلم وان كان الكاتب والشارح من اتباع مذهب ابى حنيفة ، فقد كان اعتقاد السلف نهج الأئمة جميعا وتابعيهم باحسان وقد طبع الكتاب اولا على نفقة عبد العزيز ال سعود مؤسس هذه الدولة ، ثم طبعته اخيرا كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ٠ وقد اجمل الكتاب مباحث التوحيد « **احدها : الكلام فى الصفات ، والثانى : توحيد الربوبية** وبيان ان الله وحده خالق كل شىء ، **والثالث توحيد الالهية** وهو استحقاقه سبحانه وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له » ثم يذكر ان « التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان : **توحيد فى الاثبات والمعرفة** ــ اى اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وافعاله واسمائه ليس كمثله شىء كما اخبر عن نفسه ، **وتوحيد الطلب والقصد** ٠٠٠٠ **وغالب سور القرآن متضمن لنوعى التوحيد ، بل كل سورة فى القرآن** » ٠ واوضح الكتاب ان « **التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، فان المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وان خالق السموات والارض واحد** ٠٠٠ ولم يكونوا يعتقدون فى الأصنام انها مشاركة لله فى خلق العالم ، بل كان حالهم فيها كحال امثالهم من مشركى الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، تارة يعتقدون ان هذه تماثيل قوم صالحين ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم الى الله ٠٠٠ وفى الصحيحين انه صلوات الله وسلامه عليه ذكر فى مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها قال (ان اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير ، اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) وفى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يموت بخمس

(ان كان قبلكم يتخذون قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك) ومن اسباب الشرك عبادة الكواكب ... وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم . وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع وانه ليس للعالم صانعان ... فعلم ان التوحيد المطلوب هو توحيد الالهية الذى يتضمن توحيد الربوبية » (١) .

صور من انحراف الاعتقاد والسلوك :

وهذا الكتاب الجليل كما يجلى الحق يبرز الباطل ، وكما يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر ، فهو يكشف اصحاب الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة ويصورهم للعيان صورا فاضحة معبرة ، فهم انواع « نوع منهم اهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر احدهم طاعة الجن له او يدعى الحال من اهل المحال **من المشائخ القصابين والفقراء الكذابين والطرقية المكارين ، فهؤلاء يستحقون** العقوبة البليغة التى تردعهم وامثالهم . وقد يكون فى هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعى النبوة بمثل هذه الخزعبلات او يطلب تغيير شىء من الشريعة ونحو ذلك ... ونوع منهم بالأحوال الشيطانية والتصوف ومخاطبته رجال الغيب وأن لهم خوارق تقتضى أنهم أولياء الله ، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول ان الرسول امره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا ! ، وهؤلاء فى الحقيقة اخوان المشركين ... ويقول بعض الناس : الفقراء يسلم اليهم حالهم ، وهذا كلام باطل بل الواجب عرض افعالهم واحوالهم على الشريعة المحمدية فما وافقها قبل وما خالفها رد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد) وفى رواية (من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد) . فلا طريقة الا طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حقيقة الا حقيقته ولا شريعة الا شريعته ولا عقيدة الا عقيدته ، ولا يصل احد من الخلق بعده الى الله ورضوانه وجنته وكرامته

---

(١) « شرح الطحاوية » وهو شرح صدر الدين على بن على بن محمد ابن ابى العز الحنفى لكتاب ابى جعفر احمد بن محمد بن سلامة الأزدى المصرى وكان شافعيا وتحول للحنفية ـ تحقيق احمد محمد شاكر ـ طبعة كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض سنة ١٣٥٦ هـ ص ٢٣ ، ٢٦ ـ ٢٨ ، ٣٥ .

الا بمتابعته باطنا وظاهرا ، **ومن لم يكن له مصدقا فيما اخبر ملتزما لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان، لم يكن مؤمنا فضلا عن ان يكون وليا لله تعالى ، ولو طار في الهواء ومشى على** الماء وانفق من الغيب وأخرج الذهب من الخشب ، ولو حصل له من الخوارق ما عسى ان يحصل فانه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعمل المحظور الا من اهل الأحوال الشيطانية ... فمن اعتقد في بعض البله مع تركه لمتابعة الرسول في اقواله وافعاله وأحواله انه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ضال مبتدع مخطيء في اعتقاده ... قال موسى ابن عبد الأعلى الصوفي : قلت للشافعي : ان صاحبنا الليث يقول : اذ رايتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . فقال الشافعي : ... بل اذا رايتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب ... **والطائفة الملامية وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن** .. ردوا باطلهم بباطل اخر ! ... واما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ويتركون الجمع والجماعات فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ... واما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق .(١)

وانما تهدف كل نهضة حاضرة او ماضية او مستقبله ان تخلص الأمة من (البلة) واتباعهم ، ومن البلاهة والضلالة ، وأن تحرر العقول والنفوس وتطلق طاقات الانسان في الفكر الرشيد الايجابي والعمل الصالح البناء ... فلا غرو ان تكون الدعوة السلفية في كل عصر هي أمل الشفاء من الأسقام والأوهام ، والسبيل لتحطيم الآصار والأغلال ، والنهوض والمسير قدما نحو الأمام الرجوع الى الكتاب والسنة والاهتداء بسلف الأمة هو ضمان المسير الى مستقبل افضل ... **وهكذا تكون السلفية دعوة معاصرة دائما** ... وكما قيل بحق : ان أصدق العبودية (لله) هو أعلى درجات الحرية (بالنسبة للانسان) !

واذا كان التقليد في أحكام الفروع بغير دليل اكتفاء بورودها في كتب المذهب ابطال للعقل وانحراف عن المصدر الأصيل للشرع ، فكيف بالتقليد في أصول الدين وعقيدته ؟ ... واذا كان زيغ (الخاصة) من المتكلمين والفلاسفة

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٥٧ ـ ٤٦٣

محدود الأثر والنطاق ، فكيف يزيغ المتصوفة وسدنة الأضرحة وهم منتشرون بين العامة ويجتذبون الكثيرين من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية ؟؟ ٠٠٠ لا عجب أن اختص دعاة السلفية هؤلاء بالانكار ، وحرصوا على بيان حقيقة بدعهم الفكرية والسلوكية أمام الناس ، وبراءة الاسلام الصحيح من أوهامهم وأهوائهم وضلالتهم وأباطيلهم ٠٠٠

ان المؤمن يعبد الله ، وتجمع لله وتوحيده له سبحانه بالربوبية والالهية الاتجاه اليه جل وعلا بمشاعر الرجاء والخوف والمحبة معا لا ينفصل أحدها عن الآخر ٠ « ولهذا قيل : (من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (أي من الخوارج اذ كان أول تجمع لهم بحروراء قرب الكوفة) ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، **ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد)** ٠ وذلك أن الحب الذي ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع هواها ، وصاحبه انما يحب في الحقيقة نفسه وقد اتخذ الهه هواه ــ فلهذا كان زنديقا ٠ ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالقائلين بوحدة الوجود ، فان هؤلاء سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ليس معه رجاء ولا خوف ، ولهذا يتنوعون ٠٠٠ (كل حزب بما لديهم فرحون) ٠ وهم (أي بعضهم) في الحقيقة ينكرون محبة الله ، ولكن يقولون : الحكمة هي التشبه به ، ولهذا كان ابن عربي (أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي ٥٦٠ ــ ٦٣٨ هـ) يجعل الولي لله هو المتشبه به في التخلق باسمائه وينكر اللذة بالمشاهدة والخطاب ٠٠٠ لأنها على صلة مشاهدة وجود مطلق ولا لذة فيها ٠ ووقع بينه وبينها شهاب الدين السهروردي (أبي حفص عمر بن محمد بن عبدالله ابن عموية من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية وصاحب كتاب (عوارف المعارف ٥٣٩ ــ ٦٣٢ هـ وهو غير السهروردي المقتول) منازعة : هل حين يتجلى لهم يخاطبهم ؟ فاثبت شهاب الدين ذلك كما جاءت به الآثار ، وانكر ذلك ابن عربي وقال : مسكين هذا السهروردي ، نحن نقول انه عن تجلي الذات وهو يقول عن تجلي الصفات ! » (١) ٠

---

(١) ابن تيمية ــ جامع الرسائل بتحقيق محمد رشاد سالم ــ المجموعة الأولى ص ١١٢ ــ ١١٣ ٠

ومن اصدق من الله قيلا اذ يقـول فى محكم تنزيله « فماذا بعد الحـــق الا الضلال ، فانى تصرفون » ! (يونس / ٣٢) ويجيب ابن تيمية عن حال الحلاج الحسين بن منصور (قتل سنة بضـع وثلاثمائة للهجرة) : هل كان صـــديقا او زنديقا ؟ وهو الذى غلا وغلا فيه اناس افتتنـوا به فكريا ، منهـم معاصرون غربيون قد يكونون ارتاوا فى قوله بالحلول مسـمه من زعمهم تجسـد الله فى المسيح ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وارتاوا فى قتله وصلبه تكرارا لما حدث للمسيح بزعمهم ايضا ، وعلى راســهم المستشرق الفرنسى المعروف لويس ما ســينيون ٠٠٠ يقول ابن تيمية فى جلاء وهو الذى اســتقر فى يقينه صراط الله المستقيم لاعوج فيه ، وعقيدة السلف بيضاء نقية « ٠٠٠ لم يكن من اولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات ومجاهدات بعضها شيطانى وبعضها نفسانى ، وبعضها مرافق للشريعة من وجه دون وجه ـ فلبس الحـق بالباطل ٠٠٠ وذكر ابو عبد الرحمن السلمى فى (طبقات الصوفية) ان كثيرا من المشايخ ذموه وانكروا عليه ولم يعدوه من مشـــايخ الطريق واكثرهم حط عليه ، وممن ذمه وحط عليه ابو القاسم الجنيد ، ولم يقتل فى حياة الجنيد ٠٠ فان الجنيد توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة ٠٠٠ واولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس واحد منهم يعظمه ، ولهـــذا لم يذكره القشيرى فى مشـــايخ رســـالته وان كان قد ذكر من كلامه كلمـــات استحسنها ٠٠٠ وكان عمرو بن عثمان (المكى) يذكر انه كافر ويقـــول : كنت معه فسمع قارئا يقرأ القرآن فقال : اقدر ان اصنف مثل هذا القرآن او نحو هذا الكلام ! وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم الى تعظيمه فيظهر عن اهل السنة انه سنى وعند اهل الشيعة انه شيعى ، ويلبس لباس الزهاد تارة ولباس الاجناد تارة ٠٠ فكل من خرج عن الكتاب والسنة كان له حال من مكاشفة او تاثير فانه صاحب حال نفسانى او شيطانى ، وان لم يكن له حال بل هو يتشبه باصحاب الاحوال فهو صـاحب حال بهتانى ٠٠٠ ومن اعتمد على مكاشـــفته التى هى من اخبار الجن كان كذبه اكثر من صدقه ٠٠٠ وكلما بعدوا عن الله ورســـوله صلى الله عليه وسلم قربوا من الشيطان ٠٠٠ ولم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل » (١) ٠

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٧ ـ ١٩٩ ٠ وانظر كيف ميز ابن تيمية رحمه الله واجزل مثوبته بين اصحاب الحال (النفسانى) واصحاب الحال (الشيطانى)، فللنفس طاقة تؤدى رياضتها وتنميتها الى تقويتها كما تؤدى رياضة البدن الى قوته ، ولو لم تتبع صاحبها الشيطان او يعبده ٠٠ ومثل هذه الرياضة وثمارها

وابن تيمية يكشف الاعتقاد فى (**الحلول**) أو (**الاتحاد**) الذى يؤمن به بعض المتصوفة ويســـتهوى آخرين وان لم يدركوا ابعاده ونتائجه ، وهو يهتك ستره ويجلى حقيقته لمن حجبت عنهم ، ويبرز كفر العارفين به المصرين عليه · **فالاتحادية « يقولون ان وجود الخالق هو وجود الخلق** ، وحتى يصرحون بأن يغوث ويعوق ونسرا وغيرها من الأصـنام هو وجودها وجود الله وانها عبدت بحق ، وكذلك (العجل) عبد بحق ، وأن موسىأنكر علىهارون من نهيه عن عبادة العجل ، وأن فرعون كان صادقا فى قوله انا ربكم الأعلى ــ وأنه عين الحــق ، **وان العبد اذا دعا الله تعالى فعين الداعى عين المُجيب** ، وان العالم هويتـــه ليس وراء العالم وجود اصـــلا ··· وهم مع هذا الكفر والتعطيل الذى هو شر من قول اليهود والنصارى ، **يدعون ان هذا العلم ليس الا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء الذى يدعونه ، وان خاتم الأنبياء انما يرى هذا العالم من مشـــكاة خاتم الأولياء ، وان خاتم الأولياء ياخذ من المعين الذى ياخذ منه الملك الذى يوحى به الى خاتم الأنبياء** ، وهو فى الشرع مع موافقته له فى الظاهر مشكاة فى الباطن ، **ولا يحتاج ان يكون متبعا للرسول لا فى الظاهر ولا فى الباطن** ·· ولم يعلموا أن افضل الأولياء من هذه الأمة ابو بكر وعمر وعثمـان وعلى ــ وهم السالفون من الأولياء لا الآخرون ، **اذ فضـــل الأولياء على قدر اتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علما وعملا · وهؤلاء الملاحدة يدعون ان الولى ياخذ من الله بلا واسطة والنبى ياخذ بواسطة ــ وهذا جهل منهم ، فان الولى عليه ان يتبع النبى ، ويعرض كل ماله من محادثة والهام على ما جاء به النبى فان وافقه والا رده اذ ليس هو بمعصوم فيما يقضى له** · وقد يلبسون على بعض الناس بدعواهم أن ولاية النبى افضل من نبوته ، وهذا مع أنه ضلال فليس هو مقصودهم ، فهو مع ضلالهم فيما ظنوه من خاتم الأولياء ومرتبته يختلفون فى عينه بحسـب الظن وما تهوى الأنفس لتنازعهم فى **تعيين القطب الفرد الغوث**

غير ما تتجه اليه العقيدة القويمة والدين الصـحيح ، فالاســـلام ينمى طاقات الانسان متكاملة متوازنة متساندة ، ويوجهها الوجهة الصـحيحة بعبادة الله عز وجلوطاعته ، ومن ثم تستثمر هذه الطاقات وتنفق لصالح الفردوالجماعة ، ولا تكون مجرد (لذة) أو (متعة) ذهنية أو نفسـية للفرد ، لا ينتفع منها فى حياته العملية ولا تساير طاقات الانسان الأخرى وتتفاعل وتتعاون معها ويشد بعضها بعضا ، كما لا ينتفع بهذه الرياضة النفسـية الفردية المجتمع ولا تؤثر فيه ولا توجه لصالحه ·

الجامع ونحو ذلك من المراتب التى يدعونها ـ وهى معلومة البطلان بالشرع والعقل ، ثم يتنازعون فى عين الموصوف بها ٠٠٠٠ » (١) ٠

فهل يقبل عقـل تظهر فيه نعمـة الله بحقيقة فمعنى العقل الذى كرم رب العالمين الانسان به ، مثل هذا التخليط والضلال والكفر ؟؟ وهل يرفض العقل والنقل تاليه المسيح ـ وهو نبى مرسل عليه السلام ، ليقبل تاليه اى انسان من البشر ؟؟ ٠٠٠٠ الحق ان ذلك مرفوض من ذوى الألبـــاب الذى يتفكرون ويعقلون ويفقهون فى كل زمان ، وهو مرفوض من العقل المعاصر بطبيعة الحال الذى يزعم لنفسه اتباع آفاق المعرفة واستبانة مناهجها وتضاعف ادواتهـا ووسائلها ٠٠٠٠ **فعقيدة السلف رضوان الله عليهم هى المقبولة عقلا ، المتفقة مع الكتاب والسنة نقلا ٠٠٠٠ وعقيدة الســلف الصحيحة هى الكفيلة باقناع المعاصرين مثلما اقنعت السالفين السابقين باحسان** ، وهى التى تنقض اباطيل الطرقيين القبوريين فتأتى عليها وتخلص العقول والنفوس من اغلالها وكابوسها وظلماتها ، وتكشف كيف التبس الحق بالباطل فادى الى الضلال البعيد والكفر « ٠٠٠ **طائفة من النساك والعباد يزعمون فى بعض المشـايخ او فيمن يقولون انه ولى الله انه لا يذنب** ، وربما عينوا بعض المشـايخ وزعمـوا انه لم يكن لأحدهم ذنب ، **وربما قال بعضهم : النبى معصوم والولى محفوظ** ! ومن غالبة **مؤلاء من يعتقد فى بعض المشـايخ من الالهية والنبوة ما اعتقدته الغالية فى على ، ويزعم ان الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ، ويعبده ويدعوه كما يعبد الله** ، ويقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فانى لا اريده ، ويذبح الذبائح باسمه ، ويصلى ويسجد الى جهة قبره ، ويستغيث به فى الحاجات كما يستغاث بالله تعالى ٠٠٠٠ وقد اتفق سلف الأمة وائمتهـا ومن اتبعهم على ما اخبر الله به فى كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التى تابوا منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، **وعصمتهم هى من أن يقـروا على الذنوب والخطأ** ، فان من ســوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم ٠٠٠٠ وهذه البدع هى وغيرها من البدع لابد ان تنافى كمال الايمان وتقدح فى بعض

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ وانظر (نصوص الحكم لابن عربى فى معنى ما ورد عن خاتم الأولياء وما توالى من عبارات منقولة فى حواشى المحقق بالمرجع نفسه : رقم ٢ ص ٢٠٥ ، رقم ١ ـ ٢ ص ٢٠٦ ، رقم ١ ص ٢٠٧.

حقائقه ، فان راس الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فلابد من اخلاص الدين لله حتى لا يكون فى القلب تاله لغير الله ، فمتى كان فى القلب تاله لغير الله فذاك شرك يقدح فى تحقيق شهادة ان لا اله الا الله ، ولابد من الشهادة بان محمدا رسول الله وذلك يتضمن تصـــديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر به ، ومن ذلك الايمان بانه خاتم النبيين وأنه لا نبى بعـــده فمتى جعل لغيره نصيبا من خصائص الرسالة والنبوة كان فى ذلك نصيب من الايمان بنبى بعده ورسول بعده .... فمن اوجب طاعة احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يامر به واوجب تصـــديقه فى كل ما يخبر به واثبت عصمته او حفظه فى كل ما يامر به ويخبر من الدين ــ فقد جعل فيه من المكافاة لرسول الله والمضاهاة له فى خصائص الرسالة بحسب ذلك ، ســـواء جعل ذلك المضاهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة او بعض القرابة او بعض الائمة والمشايخ او الأمراء من الملوك وغيرهم » (١) .

اللهم ان هذه هى حقيقة التوحيد الذى جاء به كتابك ، وبعث به رسولك صلوات الله عليه .... وان هذا هو ما يتفق مع النقل ويرضى به العقل ... ويتقبله المعاصرون كما فهمه وارتضاه سلف هذه الأمة الصالحون « رضى الله عنهم ورضوا عنه ، اولئـــك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحـــون » (المجادلة / ٢٢) .

ولا يرفض التوحيد الحق كما اعتقده السلف الا ما يرفضه العقـــل السوى .... « .... جعلوا الميت بمنزلة الاله والشيخ الحى المتعـــلق به كالنبى ، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات ، واما الحى فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه .... يطلب من الشيخ الميت اما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه او غير ذلك فيدخل السادن فيقول قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبى والنبى يقول لله والله قد بعث رسولا الى السلطان فلان ــ فهل هذا الا محض دين المشركين والنصارى ، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصرانى ولا يروج عليه ، ويأكلون من النذور ما يؤتى به الى قبورهم .... وطائفة من هؤلاء يصلون الى الميت ، ويدعو احدهم الميت فيقول اغفـــر لى وارحمنى ــ ونحو ذلك ، ويسجد لقبره ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلى اليه مستدبرا الكعبة ويقول : القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة ، وهذا يقوله

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ــ ٢٧٢

من هو اكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع ـ يقوله في شيخه ٠ واخر من اعيان الشيوخ المتبوعين اصحاب الصدق والاجتهاد في العبـــادة والزهد يامر المريد اول ما يتوب ان يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف اهـــل التماثيل ! وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجد احدهم في مساجد الله تعالى التي اذن ان ترفع ويذكر فيها اسمه ٠٠٠٠ حتى ان طائفة من اصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح كان اذا راى قبة الميت او الهـــلال على راس القبة خشي من فعل الفواحش ، فيخشون المخلوق تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والارض وجعل اهلة السماء مواقيت للناس والحج ٠٠٠ وهؤلاء اذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بابراهيم عليـــــه السـلام قال تعالى (وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون ٠ وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليـــكم سلطانا فاي الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون ٠ الذين آمنوا ولم يلبســـوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ٠٠٠٠ وهؤلاء الذين اتخذوا القبور اوثانا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله تعالى وعبـــادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ، حتى ان طوائف منهم يستخفون بحـــج البيت وبمن يحج البيت ويرون ان زيارة ائمتهم وشيوخهم افضل من حج البيت ، وهذا موجود في الشيعة والمنتسبين الى السنة ، واخرون يستخفون بالمساجد وبالصلوات الخمس فيها ويرون ان دعاء شيخهم افضل من هذا ٠٠٠ ويحلف احدهم اليمين الغموس كاذبا ولا يجترىء ان يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذبا ، ومنهم من يقول كل رزق لا يرزقه اياه شيخه لا يريده ، ومنهم من يذبح الشاة ويقول باسم سيدي ، ومنهم من يقول ان شيخه افضـــل من الانبيـــاء والمرسلين ، ومنهم من يعتقد فيه الالهية كما يعتقده النصـــارى في المســـيح ٠٠٠ وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات وكشف الكربات ، وهذا ليس من دين المسلمين ، بل النصارى تقول هذا في المسيح وحده ولم يقولوا ذلك في ابراهيم وموسى وغيرهما من الرسل مع انهم في غاية الجهل في ذلك » ٠ « ومن هؤلاء من يظن ان القبر اذا كان في مدينة او قرية فانهم ببركته يرزقون ويتصرون ، وانه يندفع عنهم الاعداء والبلاء بسببه ، ويقولون عمن يعظمونه : انه خفير البلد !! ٠٠٠٠ حتى ان العـــدو

الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم ٠٠٠٠ !! (١) ٠ ترى كيف انحط المسلمون في اعتقادهم الى هذا الدرك الأسفل ؟؟

يقول ابو الحسن الندوى في تعليل ذلك وتحليل العوامل التي أدت الى تلك الحال ، كانت الجماهير المسلمة فريسة العقائد الباطلة واعمال الشرك بضغط عوامل عديدة : منها اختلاطهم بغير المسلمين ، وتاثير العجم ، وتهاون العلماء ٠ وقد اصبح الدين الخالص والتوحيد النقي وراء حجاب رقيق ، ونشا الغلو والافراط في الاعتقاد في الأولياء والصالحين شان اليهود والنصارى حتى بدات عقيدة التوسط والتقرب بالأولياء ترسخ وينطبق عليهم ما حكاه القرآن من قول مشركي العرب الأولين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ٠ وتنشر هذه الفكرة الجاهلية في أوساط المسلمين وأصبح كثير من العلماء لا يرون باسا في الاستغاثة بغير الله والاستعانة بغير الله ، واتخذت قبور الأنبياء والصالحين مساجد وتحقق الخطر الذي كان قد انذر به النبي صلى الله عليه وسلم وشدد النهي عنه ، ولم يكن المسلمون يشعرون باي غضاضة في التخلق باخلاق الذميين والكافرين واتخاذ شعائرهم وخصائصهم والحضور في اعيادهم الدينية ومهرجاناتهم واصطناع تقاليدهم وعاداتهم ٠ فكانت الحاجة ماسة الى عالم مجاهد يتصدى لمحاربة هذه الجاهلية المشركة والدعوة الى التوحيد الخالص بكل قوة وايضاح ٠٠٠ ويكون قد حصل على حقيقة التوحيد مباشرة من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام لا من كتب المتاخرين وتعامل المسلمين الجهلاء وتقاليد الزمان وعادات الناس ، ولا يبالي في الجهر بالعقيدة الصحيحة بمعارضة الحاكمين وعدوان الناس ومخالفة العلماء ولا يخاف في ذلك لومة لائم ٠٠٠ ٠ كما يقول ابو الحسن كانت النتيجة الحتمية لهذا الاجلال والتعظيم تزايد اهمية المشاهد بازاء المساجد ، وتتحول المشاهد الى مزارات للجهلة ومراكز لقضاء الحاجات والاستغاثة بها ٠ فقد انتشرت هذه المشاهد والمزارات

لقد كانت العقيدة الصحيحة تستند الى القرآن والسنة ، وتؤيدها الروايات الصادقة عن فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، وقد تعاقب على بيانها وايضاحها ودحض الضلالات والاباطيل علماء

---

(١) نقول عن ابن تيمية في رده على البكرى وردده على الاخنائى ٠٠٠٠ اوردها ابو الحسن الندوى في كتابه : الحافظ احمد بن تيمية (وهو الجزء الثاني من كتابه : رجال الفكر والدعوة في الاسلام) ـ دار القلم بالكويت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١٧٢ ـ ١٧٦ ٠

في كل ركن من أركان العالم الاســـلامي ، ووجدت آلاف مؤلفة من القبـــور المزورة ، وتصدى الأمراء والســلاطين لوقف الممتلكات والأراضي الواســـعة عليها ، واقيمت عمارات ضخمة وقباب فخمة في أمكنة هذه القبور ومشـــاهد المشايخ ، كما وجدت أمة بأسرها من العاكفين والكناسين والخدم لهذه القبور، ونالت الرحلة اليها كل اهتمام حتى وصلت قوافل الحجاج اليها من مســافات بعيدة تفوق قوافل حجاج بيت الله احيانا في الشـوكة والزينة ، وتحول اقبال عامة المسلمين من المساجد الى هذه المشاهد ... ومن الأسباب التي ادت دورا هاما في توسيع هذه الفتن وتاصـــلها ان الدولة الباطنية حكمت قرونا طويلة في رقعة تمتد من المغرب الأقصى الى مصر والشام ، وما يعرفه الجميع ان اهل الرفض والتشيع كانوا يتصلون بالمشاهد اكثر منهم بالمساجد وبالنجف وكربلاء والمشـهد اكثر منهم بالحرمين الشريفين ... كما ان التصـوف الدخيل الذى ابتعد عن تعاليم الاسلام فالعصر الأخير سبب ازدهار المشاهد والضرائح »(١)

الدعـــوة الســـلفية

على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لكن اقتلاع ضلالات النســـك الأعجمي والعقائد الباطنيـة والانحرافات الفكرية والخلقية لم يكن يغني فيه تاليف الكتب والرســـائل ، والنقاش العلمي بالدليل لمن يقراون ويســـتطيعون ان يفهموا مثل هذا النقاش والاحتجاج ... كان يحتاج الى (دعوة) عامة و (حركة) شعبية تهز المجتمع هزا شديدا من الأعماق ، لا الى مجرد خطاب لأهل العلم ... كان يحتاج الى حركة تستوعب القاعدة العريضة امنة الناس ، وتبلغ قمة الحكم للاستعانة بالسلطان عـلى التصحيح وعلى مجابهة اعداء العقيدة الســـوية واولياء الضلال بين العامة والخاصة علماء وامراء على السواء ، فلا ينبغي أن يترك الحكم قوة ســـلبية ازاء المنكرات ، بل ربما ظاهرت اشياخ الطرق وســـدنة القبور ، وعادت دعاة التوحيد الصحيح !!

---

(١)ابو الحسن الندوى : الحافظ احمد بن تيمية ص١٣ـ١٤ ، ١٧١ـ١٧٢ و ١٧٦ ـ ١٧٧ .

هذه الأمة قرنا بعد قرن ، وقد تقدم أن من أعلام العلماء الذين أعتبرت كتاباتهم مرجعا لفهم عقيدة السلف الطحاوى الذى عاش فى القرنين الثالث والرابع الهجرى ، وشارح الطحاوية ابن أبى العز الذى عاش فى القرن الثامن ... ثم كان البلاء المبين لشيخ الاسلام ابن تيمية فى القرن الثامن (ت ٧٢٨ هـ) ، وقد قطعت كتاباته البينة وحججه الدافعة السنة المبطلين ، وفتح الله عليه البيان الفياض ما ملأ المجلدات ، ولم يترك رحمه الله فرصة الا انتهزها لبيان الحق وكشف الزيغ وتبديد الشبهة وافحام أهل الضلالة والأهواء !

ومع هذا الجهاد المحمود بالقلم والحجة والبيان ، فقد كان وضع المسلمين المتردى وعقائدهم الضالة وما يخيم على عقولهم من أوهام وأباطيل فى حاجة الى (حركة) قوية واسعة شاملة ، تعم جماهير المسلمين وتجابه خاصتهم من العلماء والحكام بمسئوليتهم ازاء الضلالات المتراكمة خلال القرون ، وتلزم السلطان بأن ينزع الناس بسلطانه عن الشرك الجلى والخفى ويعزز القرآن والموعظة والمجادلة بالقلم واللسان فى مجال الدعوة الى سبيل الله وأحقاق الحق وابطال الباطل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

دعـوة ... وحـركة :

وقيض الله للانتصار لعقيدة التوحيد الصحيحة (دعوة) و (حركة) تهز عامة الناس وعلماءهم وحكامهم جميعا على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩١ م) ... وكانت هذه (الحركية) الواسعة العميقة الفعالة هى خصيصة الرجل وميزته بين الدعاة الى عقيدة السلف من علماء الحق ومعلمى الخير الذين طالما نادوا باصلاح العقائد والأقوال والأعمال ، كم من المصلحين دعوا مثل هذه الدعوة ... فما السبب فى نجاح الدعوة الوهابية دون الأخرى ؟ السبب فى هذا ما أحاط بالدعوة الوهابية من ظروف لم تتهيأ لغيرها . فقد اضطهد فى بلده (العيينة) واضطر أن يخرج منها الى (الدرعية مقر آل سعود ، وهناك عرض دعوته على أميرها محمد بن سعود (١) فقبلها ، وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع ونشر الدعوة فى شبه جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها ،

---

(١) توفى سنة ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م .

واذ ذاك دخلت الدعوة في دور خطير : وهـــو اجتماع الســيف واللســان ، وزاد الأمر خطورة نجاح الدعوة شيئا فشيئا ودخول الناس افواجا فيها واخضاع بعض الأمراء بالقـــوة لحكمها ، وكلمـا دخلـــوا بلدة ازالوا البدع واقاموا تعاليمهم (!) حتى هددت الحركة كل جزيرة العـــرب · ولما مات الأمير ومات الشيخ تعاقد ابناء الأمير ابناء الشيخ على ان يسيروا سيرة ابويهم فى نصرة الدعوة متكاتفين ، وظلوا يعملون حتى غلبوا على مكة والمدينة وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يهـــددها بخروج الحجاز من يدها وهـــو موطن الحرمين الشريفين ··· فارسل السلطان محمود (١) الى محمد على فى مصر (٢) ان يسير جيوشه لمقاتلة الوهابيين ، كما ارسلت الجيوش لقاتلتهم ارسلت الدعاية من جميع الأقطار الاســـلامية للنيل من هذه الدعوة وحمل (العلماء) عليهـا حملات منكرة ··· وهكذا حدثت الحرب بالســـيف والحرب بالكلام ، كل هذا خدم الدعوة الوهابية بلغت الأنظار اليها ودورانها على كل لســان · وزاد فى شـــانها ان الوهابيين انتصروا على حملة محمد على الأولى بقيـادة (ابنه) طوسون · ثم اعد محمد على العدة القوية الكبيرة وسار بنفسه وحاربهم بخير سلاحه فانتصر عليهم واتم النصر ابنه ابراهيم ··· ولكن بقيت الدعوة » (٣)

هذا ما قرره باحث مسـلم ، يبدو تجاوبه مع دعـوة الشـــيخ محمـد ابن عبد الوهاب وحركته هو احمد امين (ت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ·

ومن قبله قال شكيب ارسـلان (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) عن الشـــيخ ودعوته : « ··· فصحت عزيمته على القيام بدعوة الاصلاح ، فقضى ســـتين عديدة راحلا من بلاد الى بلاد فى شبه الجزيرة ، فبشر بالدعوة موقظا النفوس، حتى استطاع بعد جهاد طويل ان يجعل محمد بن ســعود اكبر امراء نجد يقبل الدعوة ويدخل فيها فاكتسب بذلك مكانه ومنزله وقوة حربية لا يســتهان بها ، فاستفاد من ذلك استفادة جليلة ·· فتكونت على التوالى وحدة دينية سياسية فى جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التى انشاها صاحب الرسالة ، وفى الواقع فان النهج الذى نهجه ابن عبد الوهاب (وخليفة الامام محمد بن سعود)

---

(٢) هو الســلطان محمود الثانى من ســـلاطين آل عثمان وقد حكم بين سنتى ١٢٢٣ ــ ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٨ ــ ١٨٣٩ م ·

(٢) حكم مصر بين العامين ١٢٢٠ ــ ١٢٦٥ هـ / ١٨٠٥ ــ ١٨٤٩ م

(٣) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ــ القاهرة ســـنة ١٩٦٥ م ص ١٨ ــ ١٩ ··

ليشبه شـــبها كبيرا ذاك الذى نهجه الخلفاء الراشدون كابى بكر وعمر ... واقتضى الوهابيون آثار خلافة الراشدين ، وعلى ما كان فى يد ابن سعود من القوى الحربية العظيمة ، فان ذلك ما كان ليصرفه عن أن يكـــون على الدوام نازلا على راى الجماعة وشـوراها ... وكانت حكومتها مكنية عادلة فانقطع التعدى وانتشر الأمن ... وعكف على العلم والتهـــذيب فكان فى كل واحـة مدرسة وفى كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين » . ثم يذكر ارســلان ما كان من دخول الدعوة الســـلفية ودولتها مكة والمدينة ثم يقـول ... « كان يخيل الى العالم أن الوهابيين متدفقون على الشرق تدفقا وصانعون ما شـــاءه الله من الاصلاح ... » (١) .

اما الكاتب السعودى المعاصر عبد الرحمن بن سليمان الروشـــيد (٢) فيقول : « ليس الامام الشيخ فيلسوفا قابعا فى غرفة مكتبه ، او صوفيا منزويا فى خلوته ، او كاتبا نظريا يعتصر شـوارد افكاره ويستوحى ســوانح اخيلته المنطلقة ليمتع نفسه بتحقيق رغائبه المادية او اشـــواقه الروحية ، وانما كان رائد منهج وخطه عمل مترجمة الى عقد جلسات وندوات للحديث والمناقشـــة حول المعتقد واحوال المجتمع ، يصـحب ذلك امر بالمعـروف ونهى عن المنكـر ودعوة دائبة الى الله بالحسنى تتمثل فى بعث رسائل وقورة مهذبة الى العلماء والزعماء والرؤســاء ... » . والكاتب ينقل عن المؤرخ النصرانى المعاصر ــ اللبنانى الأصل الأمريكى الجنســـية ــ فيليب حتى قوله : « ان تاريخ الجزيرة العربية الحديث يبتـدىء منذ منتصـف القرن الثانى عشر الهجرى حين ظهور (حركة الموحدين) فى الجزيرة العربية وحين شاركت قوة الدين سلطة الحكم » .

ويذكر المؤرخ اليهودى البريطانى المعاصر برنارد لويس أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأمير محمد بن ســـعود واقتناعه بها وتحالف الرجلين على العمـل بهـذه الدعوة قد اعطاها « محـورا ســياسيا حربيـا » وهكذا استطاعت أن تغلب على معظم ارجاء شـــبه الجزيرة ــ ويسمى المؤلف الذى لا يتجاوز مع تلك الدعوة قط انتصارها فتحا كما يسمى انصارها طائفة او فرقة دينية Sect ، كما استطاعت كذلك كما يقول لويس ان تنتزع مكة والمدينة

---

(١) حاضر العالم الاسلامى : تاليف لوثروب ستودارد وترجمة عجـاج نويهض وتعليق شكيب ارســـلان ــ دار الفكر فى بيروت ــ ط ٤ ــ ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م ــ جـ ١ ص ٢٦١ ــ ٢٦٢ .

(٢) عبد الرحمن بن سليمان الروشيد : الوهابية حركة الفـكر والدولة الاسلامية . القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

من حكم الاشراف الذين كانوا يعترفون بالسلطة العثمانية ، بل وصلت الى حد تهديد الولايات العثمانية فى الشام والعراق (١) ٠

* * *

وهكذا تميز الشيخ ابن عبد الوهاب بحـــركته الدائقـــة الدافقة ٠٠٠ تتقل مستمر بين انحاء شبه الجزيرة (أو شبه القارة) العربية ، واتصال دائب بعامتها وخاصتها ،وابلاغ للدعوة بالحديث والكتابة ، ثم مطالبة لكل من يتبع الدعوة السلفية أن يدعو غيره ، وتأكيد لمسئولية الأمراء والعلماء حتى اذا ما اجتمع معه على العروة الوثقى الأمير محمد بن سعود قامت تلك (الدولة) المحدودة القوة سياسيا وعسكريا الغنية بالايمان المنطلقة فى الحركة واخذت على عاتقها الفتى الجهاد فى سبيل الله لأجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠٠٠ استمع الى الشيخ فى باب من كتابه « مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد » يســـميه « باب وجوب عداوة اعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين » ، فهو لا يكتفى رحمه الله بالموقف السلبى للرفض العقلى بل ينفث فى النفس العاطفة الايجابية التى تدفع الى العمل الايجابى ٠ وهو يصـــدر بابه بما يصـــوغ هذا الموقف الايجابى فى روح المسلم من كتاب الله ، فيورد قوله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، انكم اذن مثلهم » (النساء / ١٤٠) ، وقوله تعالى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » (المائدة / ٥١) ، وقـوله تعالى « يايهـا الذين امنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم أولياء » الى قوله تعالى « كفرنا بكم وبدا بيننـا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، (الممتحنة / ١ــ٤) ، وقوله تعالى « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـــوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم» (المجادلة/٢٢)٠ ثم ينقل عن الحافظ محمد بن وضاح ما كتب به اســـد بن موسى الى أســـد بن الفرات (٢) « اعلم يا اخى أن ما حملنى على الكتاب اليك ما ذكر أهل بلدك من صالح ما اعطاك الله من انصـــافك الناس ، وحســـن حالك مما اظهرت من

---

(١) Bernard Lewis : The Arabs in History, Harper Torchbooks, New York 1967, P. 161.

● وانظر شكيب ارسلان فى « حاضر العالم الاسلامى » ج ١ ص ٢٦٢ =

= (٢) الحافظ محمد بن وضاح بن بزيغ القرطبى ابو عبد الله (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٨ م) محدث فقيه رحل الى المشرق واخـــذ عن يحيى بن معين وغيره وعاد للأندلس فحدث بها مدة طويلة ، ومن تصانيفه (البدع والنهى عنها) ، وعلق =

السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر اهل السنة وقواك عليهم (اى اهل البدع) باظهار عيبهم فاذلهم الله بيدك وصاروا بيدعهم مستترين ، فابشر يا اخى بثواب الله واعتد به من افضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد واين تقع هذه الأعمال من اقامة كتاب الله تعالى واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من احيا شيئا من سنتى كنت وهو فى الجنة كهاتين. وضم بين اصبعيه ...» . فالشيخ ابن عبد الوهاب يريد الا يقنع المؤمن برفض البدع فرديا وسلبيا ، بل لابد أن يكون له موقف ايجابى اجتماعى فى (قمع) اهل البدع ومؤازرة اهل السنة بحيث يظهر اهل الحق ويستتر اهل الباطل ـ مثلما فعل اسد بن الفرات الذى ابرز الحافظ بن وضاح خبره وأورده الشيخ ابن عبد الوهاب ليكون قدوة للناس ويوضح لهم ما يطلب منهم من موقف عملى ايجابى لاينحصر قط فى الرفض العقلى ، وهذا ما تبينه الرسالة الى اسد بن الفرات اجلى بيان حيث يقول كاتبها : « فاغتنم ذلك وادع الى السنة حتى يكون لك فى ذلك الفئة وجماعة يقومون مقامك ان حدث بك حدث فيكونون ائمة بعدك فيكون لك ثوابه ذلك يوم القيامة ـ كما جاء فى الأثر . فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفا من نبيك صلى الله عليه وسلم فانك لن تلقى الله بعمل يشبهه ، واياك أن يكون لك من اهل البدع اخ او جليس او صاحب فانه جاء فى الأثر : من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه ومن مشى الى صاحب بدعة مشى فى هدم الاسلام ... وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل البدع وان الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا وكلما ازدادوا اجتهادا

علامة تونس حسن حسنى عبد الوهاب رحمه الله على مخطوطة من تاليف محمد بن وضاح وهى (النظر الى الله تعالى) وانه روى قراءة ورش عن عبد الصمد بن القاسم فغدت مقبولة بالأندلس ، وانه بابن وضاح وبقى بن مخلد صارت الأندلس دار حديث **وهو غير على بن محمد بن وضاح الشهراباتى** ابو الحسن كمال الدين نزيل بغداد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) ومن تصانيفه الأخير (الدليل الواضح فى اقتفاء نهج السلف الصالح (والرد على اهل الالحاد) ، **واسد بن الفرات** قاضى القيروان ، المجاهد فاتح صقلية (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨ م) صاحب الأسدية) المروية عن الامام مالك بن انس وفيه من اختياره وتعديله ما آثر معه المالكية (المدونة) برواية سحنون «عبد السلام» (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م) **واسد بن موسى** بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموى من حفاظ الحديث ويلقب باسد السنة اقام بمصر (ـ ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) .

وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ٠ فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وائمة الهدى من بعده » ٠

فالشيخ يرغب أذن فيما يرغب فيه الكاتب الى أسد بن الفرات وهو أسد السنة اسد بن موسى من أن **يكون للداعية الى السنة « الفة وجماعة يقومون مقامه ان حدث به حدث فيكونون أئمة بعده »** ، فهو يهدف أن تقوم بدعوته **« حركة جماعية »** ولا تكون مجرد بيان علمى نظرى ٠٠٠ وهذا ما ميز الشيخ ابن عبد الوهاب فى دعوته السلفية ، ولهذا كتب الله له من التوفيق وامتداد الأثر مالم يمكن لغيره وينقل الشيخ عن بن المبارك (١) ما رواه عن ابن مسعود **« ان لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا من أوليائه يذب عنه وينطق بعلامتها** فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله » ٠

وهكذا يلح الشيخ على وجوب **اتخاذ المؤمن موقفا ايجابيا من «الذب» عن الحق وفضح « علامة » الباطل علانية « والنطق » بذلك على الملأ فى المواطن التى** يجب فيها ذلك ، متوكلا على الله وحده فيما يتوقع أن يلقاه فى تلك المواطن »٠ كذلك روى ابن المبارك عن بعض السلف قال : «لأن أرد رجلا عن رأى سيء أحب **الى من اعتكاف شهر »** ٠ **وروى الأوزاعى عن بعض أهل العلم قولهم** « لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صدقة ولا صياما ولا جهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا ، وكانت أسلافكم تشتد عليهم السنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم ، ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبه عليها ، **فاما اذا جاهروا بها فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر ملحد »** ٠ ثم ينقل الشيخ عن ابن وضاح باسناده عن ابى أمية قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الآية « يايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم (المائدة / ١٠٥) قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ،

---

(١) عبد الله بن مبارك ـ ابو عبد الرحمن راوية زاهد ، صنف كثيرا كثيرة حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم وقال الشعر فى الزهد والحث على الجهاد ، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع علما كثيرا ، وكان ثقة مامونا اماما حجة كثير الحديث ومات بهيت منصرفا من الغزو سنة ١٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة (طبقات بن سعد) (دار صادر بيروت) ـ م ٧ ص ٢٧٢ ٠

سالت عنها رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعـا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بنفسك ودع عنك امر العوام ، فان من ورائكم اياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم» وروى باسناده عن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال «طوبى للغرباء ـ ثلاثا ، قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : ناس صالحون قليل فى اناس سوء كثير من يبغضهم اكثر مما يحبهم » وعن محمد بن سعيد باسناده عن المعافرى ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين ينكر ويعلمون بالسنة حين تطفأ » . فلا عجب ان قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله (الاسلام فى زماننا اغرب منه اول ظهوره» . ثم يختم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الباب الذى عقده «فى وجوب عداوة اعداء الله» بنقل رسالة للشيخ تقى الدين ابى العباس احمد بن تيمية « كتبها وهو فى السجن الى بعض اخوانه لما ارسلوا اليه يشيرون عليه **بالرفق بخصـومه ليتخلص من السـجن** » وكان مما جاء فيها « اما بعد فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين ايدهما الله وسـائر الاخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الايمان وادخلهم مدخل صـدق واخرجهم مخرج صـدق **وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السـلطان : سـلطان العالم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة باللسان والاعوان** ، وجعلهم من اوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن نوا اهم من الاقران ، ومن الائمة المتقين الذين جمعوا بين الصـبر والايقان ، والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والاعلان ، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن ـ لكن بما اقتضت حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز الله به اهل الصـدق والايمان من اهل النفاق والبهتان ، **اذ قد دل كتابه على انه لابد من الفتنة لكل من ادعى الايمـان** والعقـوبة لذوى السيئات والطغيان فقال تعالى : (الم ، احسـب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صـدقوا وليعلمن الكاذبين . ام حسب الذين يعلمون السيئات ان يسـبقونا ، سـاء ما يحكمون) ، فانكر سبحانه على ان اهل السيئات يفوتون الطالب الغالب وان مدعى الايمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصـادق والكاذب واخبر فى كتابه ان الصدق فالايمان لايكون الا فالجهاد فى سبيله فقال تعالى (قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسـلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وان تطيعوا الله

To: www.al-mostafa.com

ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم · انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) · وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التى يعبد الله فيها على حرف ··· فقال تعالى : (من الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هم الخسران المبين) وقال تعالى (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ···· وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى (يأيها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله لا يخافون لومة لائم) وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الايمان الصابرون على الامتحان ··· فاذا انعم الله على الانسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيرا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يقضى الله للمؤمن من قضاء الا كان خيرا له ان اصابته سراء فشكر كان خير له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له) والصبار الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، كل واحد من السراء والضراء فى حقه يقضى به الى قبيح المآل ، **فكيف اذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى من محن الأنبياء والصديقين ، وفيها تثبيت اصول الدين وحفظ الايمان والقرآن من كيد أهل النفاق والالحاد والبهتان** · فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويتم نعمه عليكم الظاهرة والباطنة وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكفرين **الذين أمرنا بجهادهم والاغلاظ عليهم فى كتابه المبين** » (١) ·

---

(١) « باب فى وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين » من كتاب «مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ تحقيق اسماعيل بن محمد الانصارى ورد فى القسم الأول (العقيدة والآداب الاسلامية) من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ـ نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٣١٢ ـ ٣٢٩ ·

والنقول التى ينقلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدل على علم وفطنة ، وهى قوية فى دلالتها وحجتها على ما يريد ذكره وبيـــانه ... فهـو يقع على ماينطق بفكره ، ويبدو وكأنحججه وبراهينه بينأطرافأناملهيديرها ويستثمرها كيف يشاء .... وعمدته وذخيرته الكتاب والسـنة واقوال السلف الصالح ، استوعبتها ذاكرته وبلغت أعماق قلبه ، فهو يقتبس منها ما يلائم المقام ويقع على القضية المعروضة وقوع الحافر على الحافر ... وأحيانا تأتى رسـالته كلها مقصورة على سرد آيات القرآن وأحاديث الرسول صلوات الله عليه مع ايضاح أو تعليق كلماته معدودة محكمة !! (١) .

والشيخ فى نقوله كلها يختار ما يعين على صياغة (الموقف الايجابى) الذى يريده لكل من يؤمن بالدعوة السلفية .. فليس فى قضية الايمان والفكر مجال لمواربة أو مداهنة أو سلبية ... والباطل يصر ويتجمع وينتفخ ويستعلى، فهل يمكن ان يجابه ويغالب بالتردد والتفرق والاستخذاء ؟؟ ... أليس التوكل على الله والاعتزاز به والرجاء فيه والخوف منه وافراده سـبحانه بذلك هى حقيقة الايمان والتوحيد ، وأليس الاجتماع على الحق والجهاد فى سـبيله من فرائض هذا الدين ؟؟ ... يقـول الشـيخ محمد بن عبـد الوهاب فى « ثلاثة الأصـول » : « أعلم رحمك الله انه يجب علينا تعلم أربع مسـائل : الأولى : العلم ـ وهو معرفة الله ونبيه ودين الاسـلام بالأدلة ، الثانية : العمل به ، الثالثة : الدعوة اليه ، الرابعة : الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم : والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ، قال الشافعى رحمه الله تعالى : لو ما أنزل حجة على خلقه الا هذه السورة لكفتهم (٢) .

متبع غير مبتدع :

واذا كان محمـد عبد الوهاب متميزا فى (حركيته) التى كانت(نهجه) فى العمـل للدعوة السـلفية ، فانه فى (موضـوع) هذه الدعوة سـلفى

---

(١) انظر مثلا فى المصـدر السابق أبواب « كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العباد » وهو أول ما جاء فى ذلك المجلد تحقيق عبد العزيز السعيد ، أحمد كحيل ، لبيب السعيد .

(٢) رسالة « ثلاث أصول » بتحقيق ناصر الطـريم وسـعود البشـر وعبد الكريم اللاحم ـ وردت فى القسـم الأول من مؤلفـات الشـيخ محمد ابن عبد الوهاب (العقيدة والآداب الاسلامية) ص ١٨٣ ـ ١٩٦ .

متبع غير مبتدع ، لا يفتأ يلح على ما بينه متبعو السلف الصالح جيلا بعد جيل، ويقتضى اثر السابقين باحسان فى معالجة قضايا الصفات وتوحيد الالهية الربوبية وعبادة الله وحده وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وانكار البدع وما الى ذلك ، وكتاباته من هذه الوجهة انما تؤكد ما سبق ان قرره الطحاوى وشارح (الطحاوية) من بعده ثم ابن تيمية وابن القيم وغيرهم رحمهم الله واجزل مثوبتهم ... والشيخ ابن عبد الوهاب يؤكد هذا فى صراحة قاطعة دون اية مواربة ، لأن اعتقاد السلف ماخوذ عن السلف من صحابة وتابعين وتابعيهم باحسان رضى الله عنهم ، واساس فهمهم جميعا الكتاب والسنة ، فالداعون الى عقيدة السلف هم دائما متبعون لا مبتدعون ، بل هم لا ينفكون عن الانكار على كل ابتداع فى هذا المجال ... يقول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى رسالته الى السويدى عالم اهل العراق (عبد الرحمن ابن عبد الله) : « **واخبرك انى ولله الحمد متبع ولست مبتدع ، عقيدتى ودينى الذى ادين الله به مذهب اهل السنة والجماعة الذى عليه ائمة المسلمين مثل الائمة الاربعة واتباعهم الى يوم القيامة** . لكنى بينت للناس اخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الاحياء والاموات من الصالحين وغيرهم وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذى لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ، وهو الذى دعت اليه الرسل من اولهم الى آخرهم وهو الذى عليه اهل السنة والجماعة ... » (١) ويقول فى رسالته الى علماء مكة بشان هدم الأبنية التى بنيت على قبور الصالحين : «... **فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الامام احمد بن حنبل** ... ومن البهتان الذى اشاعه الأعداء انى ادعى الاجتهاد ولا اتبع الائمة ... وتعلمون اعزكم الله ان فى كثير من البلدان العمل بهاتين المسالتين ـ هدم البناء على القبور والامر بترك دعوة الصالحين ـ تكبر على العامة ... وهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله مثل (الاقناع) (وغاية المنتهى) (والانصاف) اللاتى عليها اعتماد المتاخرين وهى عند الحنابلة (كالتحفة) و (النهاية) عند الشافعية ، وهم ذكروا فى باب الجنائز هدم البناء على القبور واستدلوا عليه بما فى صحيح مسلم عن على (بن ابى طالب) رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بهدم القبور وانه هدمها ، واستدلوا على وجوب اخلاص الدعوة لله والنهى عما اشتهر فى زمنهم من دعاء الأموات

---

(١) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ تحقيق صالح الفوزان ومحمد بن صالح العليقى ص ٣٦ .

بادلة كثيرة ، وبعضهم يحكي الاجماع على ذلك فان كانت المسألة اجماعية فلا كلام ، وان كانت مسالة اجتهاد فمعلومكم انه لا انكار في مسائل الاجتهاد. فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه » (١) ٠

وكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيان العقيدة الصحيحة كما جاءت في الكتاب والسنة وكما فهمها السلف الصالح رضوان الله عليهم من كتب ورسائل عامة وخاصة ، تؤكد ما قد بينته سلف الشيخ من هذه العقيدة مثل ما ذكره شرح الطحاوية او اوضحته كتابات ابن تيمية وما الى ذلك ٠ يقول مثلا في « القواعد الأربع » : « اعلم ارشدك الله لطاعته ان الحنيفية ملة ابراهيم ان تعبد الله وحده مخلصا له الدين كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٠ **فاذا عرفت ان الله خلقك لعبادته فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث اذا دخل في الطهارة** ٠ فاذا عرفت ان الشرك اذا خالط العبادة افسدها واحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله ان يخلصك من هذه الشبكة. وهي الشرك بالله الذى قال الله تعالى فيه (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وذلك بمعرفة **اربع قواعد ذكرها الله في كتابه القاعدة الأولى** : ان تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وان ذلك لم يدخلهم في الاسلام ، والدليل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ٠ **القاعدة الثانية** : انهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا اليهم الا لطلب القربة والشفاعة ٠٠٠ والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة ، الشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله ، والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الاذن كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ٠ **والقاعدة الثالثة** : ان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على اناس متفرقين في عبادتهم : منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ومنهم من يعبد الشمس ، والقمر وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ٠٠٠ **القاعدة الرابعة** : ان مشركي زماننا اغلظ شركا من الاولين ،

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠ ــ ٤١ ٠

لان الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشـدة ومشركو زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة » (١) · والشيخ يستدل فى كل قاعدة بالكتاب والسنة كالعهد به دائما · ونقوله دائما تصيب المحز وتطبق المفصل ، فهو ينقل مثلا عن قتادة بسند صحيح الى عبد الله بن عباس فى تفسير قوله تعالى « فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما ··· » (الآية ١٩٠ من سـورة الأعراف)، « شركاء فى طاعته ولم يكن فى عبادته » (٢) ·

وقد اوضح الشيخ ذلك ايضا فى « مسـائل الجاهلية » ، **ومما جاء فيه عن أهل الجاهلية** « ··· **ان دينهم مبنى على اصول اعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار اولهم وآخرهم** كما قال تعالى (وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون) ··· **وان من اكبر قواعدهم الاغترار بالاكثر ويحتجون به على صحة الشيء** ويسـتدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة اهله ، فاتاهم بضـد ذلك واوضحه فى غير موضع من القرآن ··· **(ومن مسـائلهم) الاسـتدلال على بطلان الشيء بانه لم يتبعه الا الضعفاء** ··· والاقتداء بفسقة العلماء والعباد ··· والغلو فى العلماء والصالحين ··· والتعبد بتحريم الحلال كما تعبدوا بالشرك والتعبد باتخاذ الأحبار والرهبان ، والالحاد فى الصـفات ، والالحاد فى الأسماء ، والتعطيل ، ونسبه النقائض اليه سـبحانه ، والشرك فى الملك كقول المجوس ، وجحود القدر ، والاحتجاج على الله به ، ومعارضة شرع الله بقدره ، وسبة الدهر ، والتعصب للمذهب ، وتعبدهم بترك الطيبات من الرزق ، وتعبدهم بترك زينة الله ··· الخ » (٣) ·

رسائل الشيخ للعامة والخاصة :

على ان للشيخ محمد بن عبد الوهاب طابعه فى بيانه وأسـلوبه ··· انه **ان طبيعته (الحركية) تبدوا فى كتاباته كلها ··· تبدو فى ذلك العـدد الوافر**

---

(١) رسالة (القواعد الأربع) تحقيق عبد العزيز السعيد واحمد كحيل ولبيب السعيد ـ وردت فى القسـم الأول من مؤلفات الشـيخ الامام محمد ابن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ص ١٩٩ـ٢٠٢

(٢) الباب ٤٩ من (كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد) تحقيق عبد العزيز السعيد واحمد كحيل ولبيب السعيد ـ وردت فى المصدر السـابق نفسـه ص ١٢٢ ·

(٣) « مسائل الجاهلية » تحقيق اسماعيل بن محمـد الأنصارى ـ وردت فى المصدر السابق ص ٣٢٣ ـ ٣٥٢ ·

من رسائله العامة والخاصة التى توضح عقيدة السلف ... فالشيخ لا يهدأ ولا يفتر عن الكتابة والبيان والبلاغ ، ولا يكتفى بالكتب بل يكتب الرسائل المبينة لعامة الناس ، ويكتب الرسائل الخاصة الى اناس بذواتهم من المؤمنين بدعوته او الى علماء الاسلام او ذوى الرياسة والوجاهة او غير المقتنعين بالدعوة يبين فيها عقيدة السلف ويرد على الشبهات والاعتراضات ... وبعض هذه الرسالة **توضح العقيدة للعامة وتيسر عليهم معرفتها وتخاطبهم بما يفهمون** » فاذا قيل لك ايش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، فقل **توحيد الربوبية** : فعل الرب مثل الخلق والرزق والاحياء والاماته وانزال المطر وانبات النبات وتدبير الأمور ، **وتوحيد الالهية** : فعليك ايها العبد مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والانابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من انواع العبادة » (١) .

الجهاد :

ومن طبيعة الشيخ (الحركية) ان نجد رسائله تتحدث عن (القتال) فى سبيل الايمان الصحيح والحق ومجاهدة الباطل بالسيف وتبين الحجة فى ذلك : فهو يذكر مثلا فى (مسائل الجاهلية) : « وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وهذه اعظم مسالة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتى بالاخلاص واخبر انه دين الله الذى ارسل به جميع الرسل وانه لا يقبل من الأعمال الا الخالص .. وهذه المسالة التى تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (٢) . ويقول فى رسالته الى مطوع ثرمداء : « ... قولك : ان المشركين وانما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن توحيد الالوهية ، ولم يدخل الرجل فى الاسلام بتوحيد الربوبية الا اذا انضم اليه توحيد الالوهية ـ فهذا كلام من احسن الكلام وابينة تفصيلا » (٣) . كما يكتب ايضا الى احد مطاوعه

---

(١) « رسالة تلقين اصول العقيدة للعامة » ضمن « مجموعة رسائل فى التوحيد والايمان » تحقيق اسماعيل بن محمد الانصارى ـ وقد وردت فى المصدر السابق ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢ .

(٢) « مسائل الجاهلية » فى المصدر السابق ص ٣٣٤

(٣) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٩ .

ومداه « ... **اعلم انى عرفت باربع مسائل : بيان التوحيد ، بيان الشرك** ولو كان فى كلام من ينتسب الى العلم ، تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم ابغضه ونفر الناس عنه وجاهد من صدق الرسول فيه ، **والامر بقتال هؤلاء خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** . فلما اشتهر عن هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى انه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفى الشرك **وردوا على التكفير والقتال** ... فنقول من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادى أو اكثرهم ... (وهم) متبعون ما احدثه اباؤهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله فان كان للوضوء ثمانية نواقض ففيهم من نواقض الاسلام اكثر من المائة ناقض ، فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول امته واجمع عليه العلماء (أن) من ... سب الشرع او سب الأذان اذا سمعه او فضل قراضة الطاغوت على حكم الله او سب من زعم ان المراة ترث او ان الانسان لا يؤخذ فى القتل بحرية ابيه وابنه ـ انه كافر مرتد ، قال علماؤكم معلوم ان هذا حال البوادى لانكره ولكن يقولون لا اله الا الله وهى تحميم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ... اذا كانوا اكثر من عشرين سنة يقرون ليلا ونهارا سرا وجهارا أن التوحيد الذى الذى اظهر هذا الرجل هو دين الله ورسوله لكن الناس لا يعيطوننا وان الذى انكره هو الشرك وهو صادق فى انكاره **ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على حق** ، هذا كلامهم على رءوس الاشهاد مع هذا يعادون التوحيد ومن مال اليه العداوة التى تعرف ولو لم يكفر ويقاتل ، وينصرون الشرك نصره الذى تعرف مع اقرارهم بانه شرك ... واغروهم عن صدق النبى صلى الله عليه وسلم **واحلوا دماءنا واموالنا حتى جرى على الناس ما تعرف** مع ان كثيرا منهم لم يكفر ولم يقاتل . وقررتم أن من خالف الرسول فى معشار هذا ولو بكلمة او عقيدة قلب او فعل فهو كافر ، **فكيف بمن جاهد بنفسه وماله واهله ومن اطاعه فى عداوة التوحيد وتقرير الشرك مع اقراره بمعرفة ما جاء به الرسول** ، فان لم تكفروا هؤلاء ومن اتبعهم ممن عرف ان التوحيد حق وان هذه الشرك فانتم كمن افتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل راس الابرة من البول وزعم ان من يتفوط ليلا ونهارا وافتى للناس ان ذلك لا ينتقض ... » (١) وقد

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤ـ٢٧ وانظر ايضا ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

سبق ايراد ما ذكره الشيخ فى رسالته الى علماء مكة عن هدم البناء على القبور والأمر بترك دعوة الصالحين وكبر ذلك على العامة ، وبيانه الحجة على هدم ما بنى على القبر « وبعضهم يحكى الاجماع فان كانت المسألة اجماعا فلا كلام ، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم انه لا انكار فى مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه ... » (١) . والشيخ يفرق رحمه الله بين اقامة الحجة باعتبارها شرطا لتكفير المعاند ومجاهدته وبين تسليم من بلغته الحجة بها « وقيام الحجة نوع وبلوغها نوع وقد قامت عليهم » (٢).

والشيخ محمد بن عبد الوهاب جزاه الله خيرا موفق فى بلاغته عند بلاغه ، وهو يبين الشرك والكفر بيانا جليا لا شبهة فيه ، ويختار له ما سماه القران به من أوصاف جامعة ، تنفر كل من شرح الله صدره لحقيقة الاسلام من أدنى شوائبه ومن طابعه فى بيان هذا الوضوح والايضاح ، وهذا التوفيق فى تسمية الأشياء باسمائها ، فضلا عن تدعيمه كل قول يقوله بآيات الكتاب المبين والأحاديث الصحيحة البينة الدلالة ... ومن ذلك اختياره لفظ (الطاغوت) الجامع لعبادة غير الله عز وجل على اختلاف ضروبها وصورها ، والمنفر لكل انسان من الخضوع لأى طاغوت . يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى احدى رسائله الشخصية : « ... واعلم أرشدك الله ان الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة هى توحيد الله وحده والكفر بالطاغوت كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ... » (٣) وهو ينقل من ابن القيم رحمه الله « الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع » وهو يعدد الطواغيت « والطواغيت كثيرة » ورءوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس الى عبادة النفس ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما انزل الله(٤)

---

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٣) القسم الخامس (الرسائل الشخصية) من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٤٥ .

(٤) رسالة (ثلاثة اصول) من القسم الأول (العقيدة والآداب الاسلامية) من المصدر السابق ص ١٩٥ .

وقد أفرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة في « معنى الطاغوت ورءوس أنواعه » ، وكان مما جاء فيها « ... فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها فأما معنى الايمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الاله المعبود وحده دون سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه **وتحب أهل الاخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتعاديهم** . وهذه ملة ابراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها ، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) . **والطاغوت عام** ، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت » ثم تعدد الرسالة رءوس الطواغيت وهم الخمسة المذكورون آنفا وانما جاء بدلا ممن « دعا الناس الى عبادة النفس » في الرسالة الأخيرة « **الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى** » والدليل قوله تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) » . وقد أوردت هذه الرسالة دليلا من الكتاب الكريم يدعم اعتبار الخمسة المذكورين رؤساء للطواغيت ثم ختمت الرسالة بقول الشيخ : « ... **واعلم أن الانسان ما يصير مؤمنا بالله الا بالكفر بالطاغوت** . والدليل قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) . الرشد دين محمد صلى الله عليه وسلم والغي دين أبي جهل ، والعروة الوثقى شهادة أن لا اله الا الله وهي متضمنة للنفي والاثبات : تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له » (١) فهل بعد هذا البيان يرتضي مؤمن الغي ويرفض الرشد ويكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا فيدع العروة الوثقى الى بيت العنكبوت ويترك عبادة الله الى عبادة الطاغوت « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت

---

(١) رسالة (معنى الطاغوت ورءوس أنواعه) وردت ضمن (مجموعة رسائل في التوحيد والايمان) ـ المصدر السابق ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨ .

اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمـــون • ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم • وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » (العنكبوت / ٤١ـ٤٣) ، « له دعوة الحـــق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغة ، وما دعاء الكافرين الا في ضلال • ولله يســـجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال • قل رب السموات والأرض قل الله ، قل افاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعـــا ولا ضرا ، قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار • انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، **فاما الزبد فيذهب جفـاء واما ما ينفع النـــاس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال** • للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يســتجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ، اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد • أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولو الألباب » (الرعد/ ١٤ ـ ١٩) •

الدعوة السلفية باطل القبوريين والمتصوفة

ولم تكن دعوة الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب الى افراد الله بالعبادة والاخلاص في توحيده توحيـــد الربوبية والالهيـة معا لتمر كمقررات نظرية لا تصادم الواقع المنحرف القائم وتهز قواعده ، ولم تكن (حركية) الشـــيخ **لتقنع بالتقرير النظرى العلمي دون التطبيق على الواقع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** ، ومن ثم كان دينه دائما يجابه الباطل على ارضه صراحة بانه عين الباطل الذى يعنيه في كلامه وينعى عليه ، ولا يترك امر العقيدة وقضية الايمان والكفر للاستنتاج والظن !

يقول الشيخ رحمه الله في رسالة « تفسير كلمة التوحيد » : « اعلم رحمك الله ان هذه الكلمة (لا اله الا الله) هي الفارقة بين الكفر والاســـلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها ابراهيم عليه الســـلام

كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون ، **وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها** ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون · ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته ··· **فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا (السر) و (الولاية)** ، والاله معناه الولى الذى فيه السر ـ وهو ما يسمونه (**الفقير**) و (**الشيخ**) وتسمية العامة (**السيد**) واشباه هذا ، وذلك انهم يظنون ان الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى ان يلتجىء الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ··· فقول الرجل (لا اله الا الله) ابطال للوسائل واذا اردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين ـ الأول : أن تعرف ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلهم واباح اموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ـ وهو انه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يدبر الامور الا الله وحده ···· شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم فى الاسلام ولم يحرم دماءهم ولا اموالهم ، وكانوا ايضا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون اشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل · ولكن الأمر الثانى هو الذى كفرهم واحل دماءهم واموالهم وهو انهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وتوجيد الألوهية **هو أن لا يدعى ولا يرجى الا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا لملك مقرب ولا نبى مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر** ـ واشباه ذلك · وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ـ مثل الملائكة وعيسى وامه وعزير وغيرهم من الأولياء ـ فكفروا بهذا مع اقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر ··· فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف ان الله هو الخالق الرازق المدبر ، لكن هؤلاء الصالحون مقربون ، ونحن ندعوهم وتنذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، فقل : كلامك هذا مذهب ابى جهل وامثاله فانهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ··· فالله الله يا اخوانى ، تمسكوا بأصل دينكم واوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا اله

الا الله واعرفوا معناها واحبوها واحبوا اهلها واجعلوهم اخوانكم ولو كانوا بعيدين . اكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من احبهم او جادل هذا على الله وافترى ، فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليهم الكفر بهـــم والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم واولادهم . فالله الله يا اخواني تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا ... **وانت ترى المشركين من اهل زماننا ــ ولعل بعضهم يدعي انه من اهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة ــ اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله ــ مثل معروف او عبد القادر الجيلاني واجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير واجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله المستعان . واعظم من ذلك واطم انهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وادريس (ويقال له الاشقر) ويوسف وامثالهم ، والله سبحانه وتعالى اعلم »** (١) . ويؤكد الشيخ رحمه الله ذلك في رسائله الخاصة مثلما يؤكدها في رسائله وكتاباته العامة « ... **فالطاغوت هو الذي يسمى السيد الذي يقضي (اي يدعي) وينذر له ويطلب منه تفريج الكربات غير الله تعالى** .... وقد ذكر في (الاقناع) في باب حكم المرتد اجمـــاع المذاهب كلهم على ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم انه كافر مرتد حلال المال والدم ... فكذلك الذين يدعون شمسان وامثاله واجناسه لاشك في كفرهم»(٢) .

ويقول الشيخ في رسالة لاهل المغرب « فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الامور التي اعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضـــاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقـدر عليها الا رب الارض والسموات ، وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ــ الى غير ذلك من انواع العبادة التي لاتصلح الا لله . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لانه سبحانه اغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمـــل الا ما كان خالصا ... واخبر (سبحانه) انه من جعل بينه وبين الله وسائط فسالهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك

---

(١) رسالة « تفسير كلمة التوحيد » ضمن (مجموعة رسائل في التوحيد والايمان) ص ٣٦٣ ــ ٣٦٩ .

(٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) ص ١٤٥ ــ ١٤٨ .

بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله ... فلا يشفع عنـــده أحد الا باذنه ... والشـــفاعة حق ولا تطلب فى دار الدنيا الا من الله تعالى ... وهـذا الذى ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الأربعة وغيرهم ممن سـلك سبيلهم ونهج على منهجهم . واما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها اعيادا وجعـل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التى أخبر بوقوعها النبى صلى الله عليه وسلم وحذر منها ... » (١) . ويقول الشـــيخ فى رسـالته لطوع ثرمداء « ... كتبوا ، علماء سدير ، مكاتبة وبعثها لنا (ابراهيم الذى وجهه الشـــيخ اليهم) وهى عندنا الآن ولم يذكروا فيها الا توحيد الربوبية ... ان هؤلاء ما عرفوا التوحيد وهم منكرون دين الاســـلام ، وكذلك أحمد بن يحيى راعى رغبه عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه ... وكذلك ابن اســـماعيل ، انه نقض ما ابرمت فى التوحيد ، وتعرف أن عنـده الكتاب الذى صـــنفه رجل من أهل البصرة : كله من أوله الى آخره فى انكار توحيد الألوهية واتاكم به ولد محمد بن ســـليمان راعى وثيثيه وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا ، وهذا الكتاب مشهور عند المويس واتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس اليـه ويقولون هذا كلام العلماء ! فاذا كنت تعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس الا عند توحيـد الألوهية ، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهارا فى صدر الناس عن التوحيد يقرأون عليهـم مصنفات أهل الشرك ... » (٢) « ... فصار ناس من الضالين يدعون اناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل عبدالقادر الجيلانى وأحمد البدوى (٣) وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل

---

(١) المصدر السابق ص ١١١ ــ ١١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٩ ــ ٢٠ .

(٣) عبد القادر الجيلانى (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م) من شـيوخ الصوفية وتتبعه الطريقة القادرية ، وقد فتح له زاوية فى بغداد ، وهناك قرارات باسمه فى فاس وغيرها . وأحمد البدوى شهاب أبو العباس (ت ٦٥٧ هـ / ١٢٧٦ م) الشيخ الصوفى المعروف ، ولد فى فاس وتوفى فى طنطا من أعمال مصر ومدفنه مقصود ولأتباعه طريقة تنسب اليه . وعدى بن مسافر شرف الدين أبو الفضائل (ت ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م) هـو صاحبه الطريقة العـدوية ، ولد بناحيـة بعلبك وأقام زمنا بالمدينة ثم انتقل الى ناحية الموصل فبنى زاوية تعبد فيها وتوفى بها وغالى فيه اتباعه غلوا شنيعا .

العبادة والصـــلاح ، فانكر عليهـم اهل العلم غاية الانكار وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والانذار من جميع المذاهب الأربعة فى سـائر الأقطار والأمصار ، فلم يحصل منهم ازدجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار » ٠ ولما كان بعض اعداء الدعوة الى التوحيـــد الخالص قد اعتمـدوا على بعض الكتب فى المراء والجدال بغير حق ، فقد اقبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب يمحص مقالتهم ويرد عليها ويقيم الحجة مؤيدا دعوته باقوال السلف والكتب المعتمدة عند اهل المذاهب ليؤكد انه متبع وليس مبتدع فى فهمه لعقيدة التوحيد كما جاء بها الكتاب والسنة ٠

يقول الشيخ فى رســـالته التى نقلنا منها ما ســـبق مباشرة قبل هذه السطور : « ٠٠٠ وانا اقول كلام اهل العلم رضى ، وانا انقله اليك وانبهك عليه فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظرا مع نفسك ومع غيرك ٠٠٠ قال الشيخ تقى الدين فى (الرسالة السنية) التى ارسلها الى طائفة من اهل العبادة ينتسبون الى بعض الصالحين ويغلون فيه ، فذكر حديث الخوارج ثم قال : فاذا كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب الى الاســلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام قد يمرق من الدين ، وذلك بامور منها : الغلو الذى ذمه الله ــ مثل الغلو فى عدى بن مسافر او غيره بل الغلو فى على بن ابى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه ، فكل من غلا فى نبى او صحابى او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالوهية مثـــل ان يقول يا سيدى فلان اغثنى او انا فى حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل ، فان الله سبحانه انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه اله آخر والذين يدعون مع الله الهة اخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصـــورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون انها تنزل المطر وتنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عنـد الله ، فبعث الله الرسل وانزل الكتب تنهى ان يدعى احد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثه ٠٠٠ وقال فى (الاقناع) فى باب حكم المرتد فى اوله : فمن اشرك بالله او جحد ربوبيته او وحدانيتـه ــ الى ان قال : او اســتهزا بالله ورسله ، قال الشيخ : او كان مبغضا لرسوله او لما جاء به اتفاقا او جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسالهم كفر اجماعا ٠٠٠ واما الحنفية فقال الشيخ قاسم فى شرح (درر البحار) النذر الذى يقع من اكثر العوام وهو ان يأتى الى قبر بعض الصلحاء قائلا : يا سـيدى فلان ان رد غائبى او عوفى

مريضي او قضيت حاجتي فلك كذا وكذا ـ باطل اجماعا لوجوه ، منها ان النذر للمخلوق لا يجوز ، ومنها انه ظن ان الميت يتصرف في الامور واعتقاد هذا كفر ، الى ان قال : اذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام باجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد أحمد البدوي ... اما المالكية فقال الطرطوشي في كتاب (الحوادث والبدع) بعد أن نقل ما رواه البخاري في شأنه ذات انواط وهي سدرة كان المشركون يعكفون حولها وينوطون بها اسلحتهم : فانظروا رحمكم الله ايئما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهي ذات انواط فاقطعوها ... واما كلام الشافعية ، فقال الامام محدث الشام ابو شامة في كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) ... وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الاسلام المنتمين الى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الايمان من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله تعالى(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ـ الآية . وبهذه الطرق وامثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد واسراج مواضع في كل بلد يحكى لهم حاك انه راى في منامه أحد ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون انها يتقربون الى الله ثم يجاوزون ذلك الى ان يعظهم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة ... ثم ذكر كلاما طويلا الى ان قال اسال الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ولا يجعلنا ممن اضله فاتخذ الهه هواه ... وقد قرر الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذه النقول في رسالة اخرى وجهها الى علماء الاسلام(١)

والشيخ محمد بن عبد الوهاب يبين عقيدة التوحيد الصحيحة في رسائله الخاصة لأنصاره ، ولعلماء الاسلام في مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرهم في شبه الجزيرة وخارجها من المشرق والمغرب (٢) ، وللوجهاء المبرزين في اقوامهم ، كما لا يغفل في رسائله عن أعداء دعوته ، فيحاورهم ويقيم عليهم الحجة . ومن ذلك رسالة كتبها الشيخ رحمه الله الى سليمان بن سحيم الذي كان قد شنع على الشيخ ودعوته ، وكان مما جاء فيه في تعداد ما سقط فيه

---

(١) المصدر السابق ص ٦٦ ـ ٧٢ وانظر ايضا ص ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(١) انظر مثلا في المصدر السابق ص ٣٦ ـ ٤٩ .

ابن سحيم : « الوجه الثاني : « ... انك تقول اني أعرف التوحيد وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر ، والناس يشهدون عليك انك تروح للمولد وتقراء لهم وتحضرهم وهم يغنون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتاكل اللقم من الطعام المعد لذلك ، فاذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم ؟ ... الثالث : ان تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر تعليق التمائم صاحب (الاقناع) في اول الجنائز ، وانت تكتب الحجب وتاخذ عليها شرطا حتى انك كتبت لامراة حجابا لعلها تحبل وشرطت لك أحمرين وطالبتها تريد الأحمرين فكيف تقول اني اعرف التوحيد وانت تفعل هذه الأفاعيل ؟ وان انكرت فالناس يشهدون عليك بهذا . الرابع : انك تكتب في حجبك طلاسم وقد ذكر في (الاقناع) انها السحر والسحر يكفر صاحبه ، فكيف تفهم التوحيد وانت تكتب الطلاسم ؟ وان جحدت فهذا خط يدك موجود . الخامس : أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهذا الذي تقر انه من الشرك ، ينذرونهم ويندبونهم ويجعلونهم وسائط ، وانت وابوك تقولان تعرف هذا لكن ما سالونا !! فاذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون ما تنصحانهم ولو لم يسالوكم . السادس : انا كما انكرنا عبادة غير الله بالغتم في عداوة هذا الأمر وانكاره ، وزعمتم انه مذهب خامس وانه باطل ، أن انكرتما فالناس يشهدون بذلك وانتم مجاهرون به . فكيف تقولون : هذا كفر ولكن ما سالونا عنه ، فاذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم انه غير الدين واني بمذهب خامس ! فاذا كنت تعرف التوحيد وتقر أن كلامي هذا حق فكيف تجعله تغييرا لدين الله وتشكونا عند اهل الحرمين ؟ والأمور التي تدل على انك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا اله الا الله لا تحصر ، لكن ذكرنا الأمور التي لا تقدر أن تنكرها .. وانت وابوك تظهران للخاص والعام » (١) .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب صريح في الانكار على الذين يتخذون الشيوخ الأحياء ، ربابا من دون الله مثلما هو صريح في الانكار على الذاوين في القبور ، فالذين يدعون (الولاية) وسدنة هذه القبور من الأحياء والعلماء الذين يقرون التوسل بالأحياء والأموات والذين يقدسون الأولين ويطيعون الآخرين دون دليل شرعي كلهم متورطون في مثل ما تورط فيه الذين يدعون

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

من في القبور ويستغيثون بهم ، وينذرون لهم ويذبحون ٠٠ لأن جوهر التوحيد قد ابطله هؤلاء واولئك على السواء ، يعقد الشيخ بابا في « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » بعنوانه « من اطاع العلماء والأمراء في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله » ، ويصدره بقول ابن عباس : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر !! » ثم ينقل ما روى عن عدي ابن حاتم في صدد قوله تعالى « اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ٠٠٠ » (التوبة / ٣١) ، حين قال رسول الله صلوات الله عليه : انا لسنا نعبدهم ، فاجابه عليه الصلاة والسلام : أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟؟ فقال عدي : بلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فتلك عبادتهم » رواه احمد والترمذي وحسنه ٠ ثم يستنبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما في النصوص التي اوردها من مسائل ، آخرها قوله « **الخامسة : تغير الأحوال الى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي افضل الأعمال ــ وتسمى الولاية ، وعبادة الاحبار هي العلم والفقه** ٠ ثم تغيرت الحال الى أن **عبد من دون الله من ليس من الصالحين** ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين » (١) ٠

وكما يذكر الشيخ بن عبد الوهاب (**الصوفية**) بأوصافهم المميزة وخصائصهم في حملته عليهم ، يصرح احيانا باسمهم الذي عرفوا به ، ويوضح معتقداتهم الباطنية ، ويحمل بقوة ــ اجزل الله مثوبته عن امة الاسلام ــ على عامة المتصوفة من اتباع الطرق وخاصتهم من اهل الفكر المصنفين ، ويدين شطحات هؤلاء وهؤلاء على السواء ٠٠٠ فهو يذكر في احدى رسائله الشخصية « فقراء الشيطان الذين ينتسبون الى الشيخ عبد القادر رحمه الله وهو منهم بريء ٠٠٠ » (٢) كما يقول في رسالته لطوع اهل المجمعة عن رسالة سليمان بن محمد بن سحيم التي ارسلها الى اهل البصرة والحسا يشنع فيها على الشيخ « ٠٠٠ ولا يخفاك اني عثرت على أوراق عند ابن غراز فيها اجازات له من عند مشايخه وشيخ مشايخه رجل يقال له عبد الغني ويثنون عليه في اوراقهم ويسمونه العارف بالله ، وهذا اشتهر عنه انه على دين ابن

---

(١) القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (العقيدة والآداب الاسلامية) ص ١٠٢ ــ ١٠٣ ٠

(٢) القسم الخامس من المصدر السابق (الرسائل الشخصية) ص٥٢ ٠

عربي الذي ذكر العلماء انه اكفر من فرعون ، حتى قال ابن المقري الشافعي من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر ... » (١) وينقل عن البزازي الحنفي ما جاء في (فتاواه) : « اذا رفض صوفية زماننا هذا في المساجد مختلطا بهم جهال العوام الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الاسلام والايمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ، يقول : هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم » (٢) . وجاء في رسالة وجهها الشيخ الى اهل الرياض ومنفوحة حين كان يقيم في (الدرعية) : « وكذلك ايضا من اعظم الناس ضلالا متصوفه في معكال وغيره مثل ولد موسى بن جدعان وسلامة بن نافع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض وقد ذكر اهل العلم أن ابن عربي من ائمة اهل مذهب الاتحادية وهم اغلظ كفرا من اليهود والنصارى ، فكل من لم يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم يتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الاسلام ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته » (٣) . وينقل الشيخ عن (الاقناع) في اثناء (بابحكم المرتد : « ومن اعتقد ان لاحد طريقا الى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، او انه لايجب عليه اتباعه ... او قال انا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن او في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، او قال ان من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ــ كفر في هذا كله (٤) . ويقول الشيخ رحمه الله عن نفسه « ولست ولله الحمد ادعو الى مذهب صوفي او فقيه او متعكم او امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم بل ادعو

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٩ وانظر ايضا ما ورد ص ١٩٣ : وابن عربي : وهو محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وقد ولد في مرسيه بالاندلس وتوفي بسفح جبل قاسيون في دمشق وهو صوفي لقب بالشيخ الأكبر وكان من الباطنية في الاعتقاد ومن مصنفاته (الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية) . (ترجمان الأشواق) ، (فصوص الحكم) ، (محاضرة الأبرار) ... الخ . وابن الفارض عمر بن علي توفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م متصوف شاعر اوضح نزعته في تائيته التي تضمنها ديوانه ، وله ميمية في الخمرة أي المعرفة الالهية بزعمه .

(٤) المصدر السابق ص ٦٨ .

الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي اوصى بها أول أمته وآخره وأرجو أني لا أرد الحق اذا اتاني » (١) ٠

ومنهج الشيخ في تعليم عقيدة التوحيد هو نهج السلف في الاهتداء بهدي الكتاب والسنة في العلم بالتوحيد ، والاعراض عن اصطلاحات المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة على السواء : « وذلك أن مذهب الامام احمد وغيره من السلف انهم لا يتكلمون في هذا النوع (صفات الله) الا بما يتكلم الله به ورسوله : فما اثبته الله لنفسه اثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نفوه مثل المثل والند والسمي وغير ذلك، واما ما لا يوجد عن الله ورسوله اثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهه وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه ٠٠٠ » (٢) ٠ والشيخ يوضح في بيان جلي وحجة قوية اسباب نفوره من تشقيقات المتأخرين واصطلاحاتهم : « واما المتأخرين فقلوبهم متفرقة ، فالعربية وثوابها قد اخفت من قوى اذهانهم شعبة ، والأصول شعبة ، وعلم الاسناد واحوال الرواة شعبة ، وفكرهم في كلام شيوخهم شعبة ــ الى غير ذلك من الأمور ٠ فاذا وصلوا الى النصوص النبوية ــ ان كان لهم همم تسافر اليها ــ وصلوا اليها بقلوب واذهان قد كلت من السير ، وهذا شأن من استفرغ قواه في الأعمال غير المشروعة (اذ) تضعف قوته عند العمل المشروع » (٣) ٠

والشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر الانحراف في الشريعة كما ينكر الانحراف في العقيدة ، فشريعة الله هي الحق والعدل ومن مال عنها فقد جار

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٢ : وابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م تلميذ ابن تيمية وناشر علمه وقد سجن معه وله (اعلام الموقعين) و (زاد المعاد في هدى خير العباد) و (الطرق الحكمية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل) وغير ذلك كثير ٠ والذهبي محمد ابن أحمد شمس الدين المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م ابن كثير امام في التفسير بالحديث والتاريخ صاحب لتفسير (والبداية والنهاية) ٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٠ ــ ١٣١ ٠

(٣) « مبحث الاجتهاد والخلاف » في القسم الثاني من مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ــ م٢ تحقيق عبد الرحمن بن محمد السدحان وعبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ص ٣٢ ٠

الى الباطل والظلم .. يعدد الضـــلالات التي وقع فيها عامة اهـل البوادي فيذكر منها « ... فلما بينت ما صرحت بهم آيات التنزيل وعلمه الرسول امته واجمع عليه العلماء (في) ... من فضل فراضـة الطاغوت على حكم الله ، او سب من زعم أن المرأة ترث ، او ان الانسان لا يؤخذ في القتل بجريرة ابيه وابنه ـ انه كافر مرتد ، قال علماؤكم معلوم ان هذا حال البوادي لا ننكره ولكن يقولون لا اله الا الله وهي تحميهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ... » (١) . وهكذا شاع في اهل البوادي وقتذاك ما كان عليه اهل الجاهلية من تقرير حق الذكر لأنه الذي يقاتل ويحمي القبيلة وهدار حق الأنثى لأنها لا تفعـــل فعله ، وما كان عليه اهل الجاهلية في الثار من اقرب قريب للقاتل ان لم يكن القاتل في متناول يدهم جمعهم الى قتل القاتل قتل اقرب الناس اليه امعانا في التنكيل .. ولم يقصر الشيخ رحمه الله في بيان أن من ينصرف عن شريعة الله وهو يعلمها ويصر على تركها يصل ضلاله الى اصل العقيدة ولا يكون مقصورا على احكام الفروع ، ففي هـــذا ايثار لحكم الهـوى والطاغوت « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقـولون للذين كفـــروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد لهم نصيرا » (النســاء / ٥١ ـ ٥٢) ، « الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » (النساء / ٦٠ ـ ٦١) ، « افرأيت من اتخذ الهه هواه واضـــله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله . افلا تذكرون » الجاثية / ٢٣) .

* * *

هذا البيان الحاسم القاطع للتوحيد والشرك ، وهذه المواجهة الصريحة للذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ودعوا الأحياء والأموات وانصرفوا عن احكام ربهم وجعلوا الههم هواهم ، وهذه (الحركية) النشـطة

---

(١) القســم الخامس من مؤلفات الشـــيخ الامام محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) ص ٢٦ وانظر ايضا ص ٤١ .

فى البلاغ والمواجهة ، والموالاة والمعاداة ، كان لابد معها ان يقع الصدام بين اهل الحق واهل الباطل » والذى قلب الناس علينا الذى قلبهم على سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وقلبهم على الرسل من قبله (كلما جاء امة رسولها كذبوه) ومثل ما قال ورقة للنبى صلى الله عليه وسلم : والله ما جاء احد بمثل ما جئت به الا عودى ... » (١) ، « فهذا هو الذى اوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتىآل بهم الأمر الىأن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا واموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الائمة ، متمثلين لقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)..(لقد ارسلنا رسلنا بالبيناتوانزلنا معهمالكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوى عزيز) » (٢) ، « ذكر ابن عبد الهادى فى مناقب الشيخ لما ذكر المحنة التى نالته بسبب الجواب فى (شد الرحل) ، فالجواب الذى كفروه بسببه ذكر ان كلامه فى هذا الكتاب ابلغ منه ، فالعجب اذا كان هذا الكتاب عندك والعلماء فى زمن الشيخ كفروه بكلام دونه ، فكيف بالمويس وامثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد ؟ » (٣) . وقد تقدم ما اثاره على الشيخ هدم ما بنى على القبور ، وهو الذى ذكره فى رسالته الى علماء مكة المكرمة « جرا علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان فى ارضنا على قبور الصالحين فلما كبر هذا على العامة لظنهم انه تنقيص للصالحين ... نهيناهم عن دعواهم وامرناهم باخلاص الدعاء لله، فلما اظهرنا هذه المسالة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جدا وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب اخر التى لا تخفى على مثلكم اعظمها اتباع هوى العوام مع اسباب اخر ، فاشاعوا عنا انا نسب الصالحين وانا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر الى المشرق والمغرب ، وذكروا عنا اشياء يستحى العاقل من ذكرها ... » وقد اوضح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب موقفه وادلى بحجته « فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله مثل (الاقناع) و (غاية المنتهى) و (الانصاف) اللاتى عليها اعتماد.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

المتأخرين ... ذكروا في باب الجنائز هدم البناء على القبور واستدلوا عليه بما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه لهدم القبور المشرفة وأنه هدمها ، واستدلوا على وجوب اخلاص الدعوة لله والنهي عما اشتهر في زمنهم من دعاء الأموات بأدلة كثيرة . وبعضهم يحكي الاجماع على ذلك . فان كانت المسألة اجماعا فلا كلام ، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا انكار في مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ذكر عليه » (١) . وهو ينقل عن ابن القيم رحمه الله في (الهدى النبوي) في الكلام على حديث وفد الطائف لما أسلموا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لا يهدمها سنه . ولما تقدم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال : ومنها أنه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها شعائر الشرك والكفر ... وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على ازالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق ... فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبرا بشبر ... وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء وغلب السفهاء ، وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » (٢) وقد أوضح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب عدوان أعداء دعوته وشمول من لم يظهر منه تكفير هؤلاء أو قتالهم » ... وأغروهم بمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم واحلوا دماءنا وأموالنا ، حتى جرى على الناس ما تعرف ، مع أن كثيرا منهم لم يكفر ولم يقاتل ... » (٣) هذه هي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى العقيدة السلفية ، تؤكد كل ما فهمه السلف الصالح من عقيدة التوحيد كما جاءت في الكتاب والسنة ، وتشهد بأن الشيخ كان متبعا وليس بمبتدع في موضوع الدعوة ومضمونها ، وان كانت لظروف البيئة في ذلك الوقت وطبيعة الشيخ (الحركية) أيضا آثارها في أسلوب الدعوة وخصائصها الفكرية والعلمية .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٧ .

التاثير المستمر للدعوة في المسلمين :

توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م، وكان حليفه الأمير محمد بن سعود قد توفي قبله سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥ م وخلفه ابنه عبد العزيز بن محمد الذي استشهد سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م بعد أن شهد انتشار الدعوة السلفية الاصلاحية وامتداد الدولة السعودية في شبه الجزيرة العربية وقد قامت على قواعد الاسلام الصحيح كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، لكن تعرضت الدولة الوليدة لتآليب العثمانيين ومكائدهم خلال عهدي سعود (الكبير) بن عبد العزيز الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م وعبد الله بن سعود من بعده وقد توفي سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م ، وقد استطاعت الدولة الناشئة أن تواجه حملتي محمد على الأولين بقيادة طوسون محمد على نفسه سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م حتى فاوض طوسون بن محمد على للصلح وعقدت هدنة استفاد منها محمد على وجيشه الذي واصل الهجوم في حملته الثالثة بقيادة ابراهيم بن محمد على سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م ، وثبت المجاهدون أمام المهاجمين في الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م على الرغم من تفوق الآخرين عددا وعدة الى أن غدا استمرار المقاومة في تلك الظروف فوق طاقة البشر ٠

ولكن كانت (الدولة) قد عرض لهـا ما عرض ، فقد بقيت (الدعوة) شعلة مضيئة ينتشر نورها الهادي داخل شبه الجزيرة على الرغم من اشتداد حلكة الظلمات ، بل يتجاوز شبه الجزيرة الى خارجها من أرض الاسلام على مر الزمان حتى أيامنا الراهنة يقول لوثروب ستودارد : « **ان خاتمة هذا الدور السياسي كانت فاتحة الدور الديني ، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الوهاجة الى كل ناحية من نواحي** الأرض ٠ ومافتىء الوهابيون منذ قضى على قوتهم السياسية يبثون روح الحركة الدينية في مئات الالوف من الحجيج الوافدين في كل عام الى مكة والمدينة من كل قطر من اقطار العالم الاسلامي ، فيقتبس هؤلاء نارا وهابية ثم يعودون الى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله في سبيل الاصلاح ٠ وهكذا قد استطاع الوهابيون أن يبذروا بذورا تلاها الاختمار الشديد للثورة الدينية في كل فج اسلامي حتى بلغت دعوتهم الدينية اقصى المعمور ٠٠٠ وخلال جيل تلا اتسعت الدعوة الوهابية بأفقها ومضطربها اتساعا كبيرا ،

وتطورت تطورا عظيما ، حتى صارت تعرف باليقظة الاسلامية · ثم اتسعت دعوة اليقظة الاسلامية بافقها ايضا حتى تعددت متجهاتها ومناحيها ، واهم هذه المتجهات انما هى الدعوة الكبرى المعروفة بالجامعة الاسلامية ··· فالدعوة الوهابية انما هى دعوة اصلاحية خالصة بحتة ، غرضها اصلاح الخرق ونسخ الشبهات وابطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التى وضعها ارباب فى عصور الاسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هى الرجوع الى الاسلام والأخذ به على اوله واصله ولبابه وجوهره ، اى انها الاستمساك بالوحدانية التى اوحى الله بها الى صاحب الرسالة صافية ساذجة والاهتداء والائتمام بالقران المنزل مجردا، واماما سوى ذلك فباطل وليس فى شىء من الاسلام · ويقتضى ذلك الاعتصام كل الاعتصام باركان الدين وفروضه وقواعد الآداب (ثم ذكر تحريم الحرير والقهوة والدخان ···) وغير ذلك مما بعضه من اسباب السرف وبعضه الآخر من المضار المفسدة لسلامة العقل ··· » (١) ·

وقد وقع تأثير انصار الدعوة السلفية فى الجيش المحارب لها نفسه ··· يروى **عبد الرحمن الجبرتى** مؤرخ مصر الحديثة فى كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) (٢) عن بعض (الأكابر) فى الجيش المحارب للدولة السعودية الأولى ممن (يدعون الصلاح والورع) ما شهدوه فيمن قدموا لحربهم « والفضل ما شهدت به الأعداء » ــ يقول : « والقوم اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع · واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم اذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم طائفة للحرب وتتاخر الأخرى للصلاة . وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته ! وينادون فى معسكرهم : هلموا الى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور ، التاركين الصلاة الأكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين الحرمات ··· وكشفوا عن كثير من قتلى

---

(١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ــ ترجمة عجاج نويهض ــ ط ع ــ بيروت سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م ــ جـ ١ ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤ ·

(٢) انظر اخبار سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) وعبد الرحمن الجبرتى مؤرخ ولد فى القاهرة وتعلم فى الأزهر وان تنسب اصلا الى (جبرت) وللجبرتية من مسلمى الحبشة رواق بالأزهر ، توفى سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٢٢ م ويتناول تاريخه الفترة بين ١ ١١ هـ / ١٦٩٠ م والعام السابق لوفاته ·

العسكر فوجدوهم غلفا غير مختونين » !! ورأى (اكابر) الجيش فى جنوده يؤيد ما كان يصفهم به محاربهم جند الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى، اذ ينقل عنهم الجبرتى « ... واكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا . وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضينا (اى محط جيشنا) اذان ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين » (١) !! .... ولا ينال من روايات الجبرتى أن

---

(١) يقدم الجبرتى صورة معبرة لسلوك الجيش حين استنفر وتجمع فى القاهرة قبل سفره ــ ذلك الجيش الذى يزعم انه ذاهب لجهاد أعداء الدين ، وجنوده « ياكلون ويشربون جهارا نهارا فى رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ، ويمرون بالأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الاقصاب والشبكات التى يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوى فى الضمورة فيجدونها مغلقة فيسألون عن (القهوجى) ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلى لهم القهوة ويسقيهم ، فربما هرب (القهوجى) واختفى منهم فيكسرون الباب ويعيثون بالاته واوانيه فما يسعه الا المجىء وايقاد النار !! واشنع من ذلك انه اجتمع بناحية عرضيهم وجناحهم الجمع الكثير من النساء الخواطى والبغايا ونصبوا لهم خياما واخصاصا . وانضم اليهم بياع (البوظة) و (العرقى) والحشاشون والغوازى والرقاصون وامثال ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق واهل الاهواء والعياق من أولاد البلد ، فكانوا جمعا عظيما ياكلون ويشربون المكسرات ويزنون ويلوطون ويشربون (الجوزة) ويلعبون القمار جهارا فى رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكليف وخلصوا من الحساب» !!! . ويأتى أحدهم وبيده شبك الدخان فيدنى مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه وينفخ فيه على سبيل السخرية والهزيان بالصائم » .. فاذا ما رحل ذلك الجيش (الغازى) ورست قواته فى ثغر ينبع « نهبت الودائع والأموال والأقمشة وسبوا النساء والبنات بالبندر ويبيعوهن على بعضهم البعض » !!! ... فلا غرو اذن أن ينعى الجبرتى على مفتيى الدولة العثمانية فتاواهم فهو يذكر عقب خبر سقوط الطائف اثناء الحملة الأولى سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) ما كان من تسمى السلطان العثمانى (بخادم الحرمين) « لأن عساكره افتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج (!) واخرجتهم منها ، لأن المفتى افتاهم بأنهم كفار ــ لتكفيرهم المسلمين ويجعلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس وان من قاتلهم يكون مغازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل . ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة ... » ويعلق الجبرتى ذلك بقوله الحق « وذلك ونحوه من الخور » !

هواه لم يكن مع حاكم مصر محمد على ، فما كرهه فيه وصرفه عنه غير جوره وعتوه وانحراف أعوانه وجنده ، فلا غرو أن يبدو متجاوبا مع الدعوة السلفية وهو الذى تعلم القرآن والسنة والعقيدة والشريعة بالأزهر واضطلع بالتدريس فيه ، يقول مثلا : « ولغط ناس فى خبر الوهابى واختلفوا فيه ، فمنهم من يجعله خارجيا وكافرا ·· ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه » ! وينقل الجبرتى نص ما « أرسل الوهابى الى شيخ الركبَ المغربى (من) أوراق تتضمن دعوته وعقيدته » وقد استغرق هذا البيان عن الدعوة السلفية صفحات من كتاب الجبرتى ، ويعلق على البيان بشهادته التى يجهر فيها بالحق وهو العالم الأزهرى الذى يدخل فيمن أخذ الله ميثاقهم « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » فيقول بتثبيت المحقق وعلم الفقيه : « **ان كان كذلك فهذا ما ندين الله به نحن ايضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين المتعصبين !!**

وقد بسط الكلام فى ذلك ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان) والحافظ المقريزى فى (تجريد التوحيد) (١) والامام اليوسى فى (شرح الكبرى) (٢) و (شرح الحكم) لابن عباد (٣) ، وكتاب جمع الفضائل وقمع الزذائل) وكتاب (مصايد الشيطان) وغير ذلك » ··· ويصف الجبرتى ثمار حكم الدولة السعودية فى شبه الجزيرة وفى الحجاز بوجه خاص فيقول (٤) : « عند ذلك

---

(١) هو عين المقريزى المؤرخ تقى الدين أحمد بن على المولود بالقاهرة وقد توفى بها سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، ومن كتبه الموجزة غير المشهورة « تجريد التوحيد المفيد » ألفة سنة ٨٤١ هـ أى قبل وفاته بسنوات قليلة ـ انظر « مؤلفات المقريزى الصغيرة » لجمال الدين الشيال فى كتاب « دراسات عن المقريزى » الذى أصدرته وزارة الثقافة بمصر ـ الهيئة العامة للتاليف والنشر سنة ١٩٧١ م ·

(٢) هو الحسن بن مسعود نور الدين ابو على اليوسى (ت ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م) ، فقيه مالكى مبرز وقد نعت بغزالى عصره ، وينتمى لقبيلة بنى يوسى من البربر ، وقد تعلم فى سجلماسة ودرعة ومراكش وتوفى بتمرسنت له (شرح القصيدة الدالية) وغيره ·

(٣)هو ابو عبدالله محمد بن عباد ، فقيه صوفى ولد بالأندلس (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ م) واشتهر بشرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى (غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية) ، وله ايضا (الرسائل الكبرى) فى التصوف· وابن عطاء الله السكندرى متصوف شاذلى اشتهر بكتابة (الحكم) (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) ·

(٤) فى أخبار سنة ١٢٢١ هـ وما بعدها ·

امنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف ، وانخفضت الأسعار وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق الى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال ، حتى بيع الأردب من الحنطة باربعة ريال » . وكان الشريف غالب (١) امير مكة وقتذاك قد عاهد على الدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى على اثر ظهور امرها وتتابع انتصاراتها ، وأقسم اليمين على ذلك في الكعبة « وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتتباك في المسعى بين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ، ودفع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ...» وابطل الامام سعود (الكبير) حين دخل مكة في ٨ من المحرم سنة ١٢١٩ هـ / اول مايو سنة ١٨٠٤ م ما كانت عليه العادة من قيام اربع جماعات حسب المذاهب الأربعة عند كل صلاة « فقد كانت العادة ان يصلي بالجماعة في المسجد الحرام احد الائمة من اهل المذاهب الأربعة ثم يتلوه غيره ، فامر بابطال تلك العادة وان لا يصلي في المسجد الا امام واحد ، فصار يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي ـ وهكذا بقية الأوقات ، ويصلي الجمعة مفتي مكة عبد الملك القلعي الحنفي » . وكتب الامام سعود الى السلطان العثماني سليم الثالث (١٢٠٣ـ١٢٢٢ هـ / ١٧٨٩ـ١٨٠٧م) « من سعود بن عبد العزيز الى السلطان سليم : اني دخلت مكة وامنت اهلها على ارواحهم واموالهم ، بعد ان هدمت ما هناك من اشياء الوثنية . والغيت الضرائب الا ما كان منها حقا . وثبت القاضي الذي وليته انت طبقا للشرع الاسلامي . فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء الى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور ، فان ذلك ليس من الدين في شيء » ، ويذكر الجبرتي في مجمل اخبار سنة ١٢٢٣ هـ « ومنها : انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك ، فانه لم يمنع احدا ياتي الى الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من ياتي بخلاف

---

(١) الشريف غالب من اسرة (الأشراف) الذين كانوا يحكمون مكة وقتذاك ، وقد دانوا بالتبعية للحكم المملوكي في مصر ، فلما فتح العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م بعث شريف مكة (بركات) ابنه الى القاهرة ليقدم مفاتيح الحرمين الشريفين للسلطان سليم الأول هناك ، فاضيف الى القابه (خادم الحرمين) واقر الاشراف على ولايتهم وجعل مصر تمد الحجاز بالمال والمون كل عام وكان موقف الأشراف مذبذبا ازاء الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ، واضطر الشريف غالب الى المعاهدة والموالاة على اثر ما كان للدولة من غلبة ، ثم غدر وازر الحملة التي ارسلها حاكم مصر .

ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع ـ مثل المحمـــل والطبل والزمر وحمـل الأسلحة ٠ وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم احد بشىء » ٠ ويتابع الجبرتى حديثه عما جرى فى مكة على اثر دخـــول الشريف غالب فى طاعـة الدولة الســـعودية الأولى « ٠٠٠ وابطال المكوس والمظالم ٠ وكانوا قد خرجوا عن الحدود فى ذلك ، حتى ان الميت يأخذون عليه خمسة (فرانسة) او عشرة بحسب حاله ، وان لم يدفع اهله القدر الذى يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنـــه ، ولا يتقرب اليـه الغاسل ليغســله حتى يأته الاذن !! وغير ذلك من البدع والمكوس المظالم التى احدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشترى ، ومصادرات الناس فى اموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا بداره فما يشـعر على حين غفلة منه الا والأعوان يامرونه باخلاء الدار وخروجه منها ويقولون: سيد الجميع محتاج اليها ، فاما ان يخرج منها حملة وتصير من املاك الشريف واما ان يصالح عليها بمقدار ثمنها او اقل او اكثر ٠ فعاهده (اى عاهد الشريف امير الدولة السعودية الأولى) علىترك ذلك كله واتباع ما امر الله تعالى به فى كتابه العزيز من اخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والســـلام وما كان عليه الخلفاء الراشـــدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون الى آخـــر القـرن الثالث » ٠ لكن الشريف غالب ـ على ما يروى الجبرتى ـ لم يف بما وعد به « واستمر باخذ العشور من التجـــار ، ٠٠٠ يقول : هؤلاء مشركون ، وان اخذ من المشركين لا من الموحـــدين » !! ٠٠ فقارن رحمك الله بين سلوك وسلوك فى الحكم !

وتاثير الدعوة السلفية بعد ان تحققت لها السلطة الشرعية وصارت دولة قد انتشر بين الحجاج ، فقـــد عاد « الحجاج المغاربة ومعهم مولاى ابراهيـم ابن السلطان سليمان سلطان المغرب (١) ، واخبروا انها قضوا مناسكهم ، وحجوا وزاروا المدينة ، واكرمهم (الوهابية) اكراما زائدا » ٠٠٠ وحين ذهبت الدولة ، واخذ بعض الأمراء وقادة المجاهدين فيها الى القاهرة واسكنوا هناك فى جهات متفرقة (٢) فتركوا اطيب الأثر بين المصريين ، وغدت بيوتهم مزارا لهم ٠٠٠ ومما يحمل الطراقة والمفارقة معـــا ، ان كثير من زائريهـــم كانوا يطلبون (البركة) منهم !!!

---

(١) السلطان سـليمان ابو الربيع من اسرة العلويين التى لا تزال تحكم المغرب ، وقد عرف بتقواه وعدله (١٢٠٦ ـ ١٢٣٧ هـ / ١٧٩٢ ـ ١٨٢٢ م)٠

(٢) يذكر الجبرتى انه حاكم مصر احضر بواقى (!) الوهابية بحريمهم

كلمـــا ازداد المســـلمون تنـورا وتعلمـا وثقـافة ، كلمـــا ازداد تفهمهـــم لعقيدة الســـلف واقبـــالا عليهـــا ... وهكذا فان الاسلام الصحيح وعقيدته وأحكامه الشرعية التى جاء بها الكتاب والسنة ، وانما تحيا وتزدهر حيث يسود النور والمعرفة ! والاسلام الصحيح المستمد من ينبوعه الصافى الفياض (معاصر) دائما ، فان كتابه « لا تنقد عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد » كما وصفه الرســـول الذى بعثه الله بهـذا الدين وانزل عليه الكتاب صلوات الله عليه ... والذين زعموا أن الدين انما عاش فى ظلمات العصور الوسطى فحسب أو يعيش فى ظلمات كظلماتها ، وانه فى العصور الحديثة مخدر أو معوق للفرد والمجتمع ، لم يعرفوا الاسلام الصحيح النقى ، ولم يعرفوا حضـارته الزاهرة المتألقة فى العصـور الوســطى التى اقترنت بالظلمات عند غير المسلمين . ومن ثم لم يتبينوا قدرة الاســـلام المتجددة على الهداية والتقويم واطلاق الطاقات وبعث النهضات فى كل زمان ومكان .

وأولادهم على نحو الأربعمائة نســـمة واســـكنوا (بالقشلة التى بالأزبكية ، وابن عبد الله بن سعود بدار عند (جامع مسكة) هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ (أى علماء الأزهر) وغيرهم ، ويمشون فى الأســـواق ويشـترون البضـــائع والاحتياجات » . و (القشلة) منزل العسكر وقد تكون مأخوذة من (قشـــلاق) التركية أو من Castella الايطالية ومعناها قلعة . وذكر المقريزى عن (جامع مسـكة) أنه « قرب (قنطرة اقسنقر) التى على الخليج الكبير خارج القاهرة انشـأته السيدة مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) واقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ » واقيم الجامع على حكر للسيدة نفسها « فلما عمرت الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الأمراء والأعيان وانشأوا به الحمامات والأســواق وغير ذلك ... ونشأت (مسكة فى دار السلطان وصارت قهرمانة لبيت السـلطان يقتدى برأيها فى عمل الأعراس الســـلطانية والمهمات الجليلة التى تعمـل فى الأعيان والمواسم وترتيب شئون الحريم السلطانى وتربية أولاد الســـلطان ، وطال عمرها وصار لها من الاموال العظيمة ما يجل وصفه وصنعت برا ومعروفا كبيرا واشتهرت وبعد صيتها » (المقريزى : الخطط ـ القـــاهرة ١٣٢٥ هـ ـ جـ ٣ ص ١٨٩ ، جـ ٤ ص ١٣٣ .

ان المسلم المتدين في عصرنا يغلب أن يكون « سلفيا » في عقيدته وعبادته، لأن « السلفية » هي القريبة الى عقله المعاصر ، كما كانت قريبة لكل عقل في زمان ... وقد أثرت السلفية في مجتمعات المسلمين الحديثة والمعاصرة بما تناقله الحجيج عما ساد الحجاز من أمن تحت الحكم السعودي ... وبلغت الدعوة السلفية أنحاء بعيدة من العالم الاسلامي بجهود الجماعات السلفية التي قامت في الكثير من بلدان المسلمين ـ وسيأتي الحديث عنها قريبا ، وكان لهذه الجماعات أثرها بين مسلمي العصر في نشر الاتجاه الذي يدعو الى العودة الى الكتاب والسنة في تفهم العقيدة والتعرف على أحكام الشريعة . كما أعان انتشار التعليم والثقافة على النفور من الخرافة والحرص على تصفية ما علق بالعقيدة والعبادة من أكدار وأوهام ...

وهكذا لم تعد « السلفية » ترادف الكفر كما « شنع المبطلون وأرجف أصحاب الأهواء والمطامع ، بل عرف مسلمو العصر أنها تعني العقيدة الصحيحة الخالصة الصافية ، وتعني العبادة الشرعية البريئة من البدع والمحدثات ... حتى رأينا كاتبا صحفيا مصريا في أيامنا كان ماركسيا ثم اتجه الى الاسلام هو (جلال كشك) ، يفرد أربع مقالات مطولة في مجلة (الحوادث) اللبنانية للحديث عن (الوهابيين) ، بعد أن تعاطف معهم في كتابات له سابقة مثل كتابه (القومية والغزو الفكري) ... لقد تهكم في كتابه من دعاة القومية العربية الذين رأهم « وبقدر ما يعجبون بثورة (لورنس) ويجعلونها بداية القومية ، نراهم يتنكرون للثورة الوهابية لمجرد أنها رفعت لواء الاسلام » .. والحق أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خاطبت المسلمين أجمعين وان قامت بين مسلمي شبه الجزيرة بصفة أساسية بحكم وجود دعايتها فيها ، وكان تأثيرها أقرب الى المسلمين العرب خارج شبه الجزيرة بحكم الجوار واللغة . وقد حملت الهدى والرشد والعزة للمسلمين والعرب بطبيعة الحال نتيجة لظروف قيامها لكنها لم تتجه يوما الى قصر الدعوة على العرب وحدهم أو حصرها فيهم . ويسير جلال كشك قدما في مقالاته الأربع نحو اجتلاء الحقيقة وتجليتها (١) ، فيقول في مقالته الأولى : « سيقول الذين في قلوبهم مرض : ولكن جيش الزناة العصاة انتصر ، وهزم جيش المسلمين النقاة الذين أرادوا أن يعيدوا العرب الى عصر الطهارة الأولى ـ عصر المجاهدين المؤمنين

---

(١) نشرت بمجلة (الحوادث) اللبنانية على التوالي ابتداء من ٢٧/٤/١٩٧٩ م .

المنتصرين الذين نشروا راية الاسلام وفي ظلالها قام مجد العرب (١) · وهناك الف سبب بالطبع للاتجاه الذى اتخذه التاريخ ، ولكن هل صحيح انتصر العصاة ؟ اسألوا التاريخ والتفتوا حولكم : ماذا بقى من الدولة العثمانية المنتصرة ، وماذا بقى من (الوهابى) الذى هزم ؟ لم يكن العصر العثمانى على الوهابيين الا الزبد الذى يذهب جفاء ، اما ما جاء به (الوهابى) فقد مكث فى الأرض يعطى ثمره كل حين » ··· ثم يقول فى مقالته الأخيرة من تلك الدراسة تعليقا على كلام الجبرتى عن المجىء (ببواقى الوهابية) الى مصر : « ومعذرة يا شيخ المؤرخين ، ان الحركات العقائدية الصادقة ليس لها (بواقى) فهى لا تستأصل لأنها كامنة فى ضمير الأمة لا يمكن اقتلاعها مهما تعرضت لصنوف القهر والبطش بل سرعان ما تنبث من جديد ! ألم يقل العرب (لم نر ابرك من بقية السيف) ! وها هو التاريخ شاهد ، فكم بقى من آل سعود ، وكم بقى من آل السلطان محمود ، او محمد على وابراهيم وطوسون ؟؟ كلهم انقرضوا ، وسيبقى آل سعود كما قال مؤرخ غربى الى ما شاء الله ··· ومن نسل تركى الذى هرب ليلا ستمتد الدوحة السعودية ، ومن الرياض ستنطلق حركة جديدة · ولو امتد العمر بالجبرتى حتى كتب الجزء الخامس (من تاريخه) لسجل عودة الوهابيين قبل انقضاء ستة أعوام الى الرياض ثم سيطرتهم على شرق الجزيرة » !!

ونستطيع أن نتبين كيف يسير الزمن لصالح الدعوة « السلفية » ، حين نتذكر أن مؤرخا وسياسيا مصريا كان أحد أقطاب الحزب الوطنى وصاحب كتاب (تاريخ الحركة القومية) الذى يضم عدة مجلدات ، وهو ينتمى لجيل سابق ويطلق عليه جلال كشك (أستاذنا) وهو عبدالرحمن الرافعى (٢) « لا شك لعبت كتاباته دورا خطيرا وسيئا للغاية فتشويه طبيعة المواجهة بين محمد على والحركة الوهابية » ــ على حد قول الصحفى المعاصر · يقول فى المجلد الذى خصصه لمحمد على عن محمد بن عبد الوهاب ودعوته فقال : « دعا محمد بن عبدالوهاب

---

(١) يعنى الكاتب أن (مجد العرب) لم يقم تاريخيا الا بفضل الاسلام وعلى اساس هدايته وفى ظل حكمه ··· وكل تطلعات العرب الى المجد على غير هدى الاسلام وانما كانت صيحات جوفاء واضغات أحلام وأوهام السراب!

(٢) توفى بمصر مؤخرا فى الستينات من هذا القرن الميلادى كما أذكر

الى الأخذ بتعاليمه (!) فنالت دعوته نجاحا بين اهل نجد ، وأخذ يكسب الأعوان والأنصار خلال عدة سنوات دون أن تأبه له الحكومة العثمانية · ولكن حدث يوما ان قدمت اليه امرأة متهمة بالزنا وثبتت عليها التهمة فأمر برجمها ···· ولم تكن العقوبة مما تستسيغه النفوس (!!) فأحدثت استياء شديدا ، وانتهى نباها الى حاكم الحسا الذى تمتد سلطته الى العينية فأرسل يتهدد الشيخ بالقتل اذا لم يرجع عن طريقته » ! وهكذا يتبين بجلاء ـ كما قرر جلال كشك بحق فى مقالته الأولى عن الوهابيين «ضعف معلوماته المؤلف عن الوهابية ، بل حتى ضعف معلوماته عن الاسلام ! ··· وكأنه لم يسمع بهذه العقوبة (عقوبة رجم الزانى والزانية والمحصنين) من قبل ولا يعرف انها من حدود الاسلام ، طبقت قبل محمد بن عبد الوهاب باثنى عشر قرنا ··· ومن حقنا ، بل من واجبنا ، ان ناسف لأن هذه معلومات الرافعى فى الثلاثينات من القرن العشرين الميلادى ـ وقت نشر كتابه عن محمد على) ، بالمقارنة مع معلومات سلفه العظيم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى العقد الثانى من القرن التاسع عشر (الميلادى) ! فان قيل أن الرافعى كان يكتب فى ظل عضبة الملك فؤاد (١) على الوهابيين الذين عادوا فوجدوا الجزيرة فى مطلع القرن العشرين ··· فهو عذر اقبح من ذنب الجهل ، لأن الجبرتى عارض وقال الحقيقة كاملة فى ظل استبداد محمد على ، بل وفى ظل حالة حرب كان يخوضها هذا المستبد » ·

وانما كان عبد الرحمن الرافعى فيما قرره فى « تاريخ الحركة القومية » يتابع خطى زعيم الحزب الوطنى محمد فريد (ت ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) الذى خلف مصطفى كامل مؤسس الحزب (ت ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م) ، فقد كتب محمد فريد فى مؤلفه (تاريخ الدولة العلية) عن محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية « الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة (!) عبد الوهاب (!) وهو رجل ولد بالدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز (!) وكان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة » ثم ينقل محمد فريد بيانا للشيخ عن دعوته

---

(١) هو احمد فؤاد بن الخديوى اسماعيل تولى السلطة على مصر ١٣٣٩هـ واتخذ لقب (ملك) ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م وتوفى سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وهو والد فاروق آخر حكام مصر من أسرة محمد على ·

يذكر انه نقله من كتاب (الخطط الجديدة التوفيقية) لعلى مبـارك (١) ، يعقب بقـــوله : « ولما رأى السلطان محمـــود انه من الضرورى قمع هذه الفتنـــة التى يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الاسلام ـ الأمر الـــذى جعـــله الأوربيون مطمع انظارهم للتمكن من خضم عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم ، ولبعد ولايات الشام وبغداد عن مركز الفتنة (١) كلف محمد على باشـــا والى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها واســترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من ايدى زعمائها وارسل اليه فرمانا بذلك فى ذى القعدة سنة ١٢٢٢ هـ/ الموافق ديسمبر سنة ١٨٠٧ م » . ثم يذكر محمد فريد « استئصال شـــافة الوهابيين » فى نظره على يد ابراهيم بن محمد على الذى عاد لمصر فى ٢١ من صفر سنة ١٢٣٥ هـ / الموافق ١٠ من ديسمبر سنة ١٨١٩ م . وهكذا يرى محمد فريد خطر تفرق كلمة المسلمين فى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما يتيح ثغرة للمطامع الأوربية الاستعمارية ، ولا يرى أن تخلف المسلمين وانحطاطهم ببقائهم على الخرافات والأوهام هو اكبر ثغرة يمكن أن تنفذ منها تلك المطامع وتستغلها لصالحها اكبر استغلال ! ... وقد ينبغى أن لا يغيب عن الأذهان موقف الحزب الوطنى من الدولة العثمانية ، ونهجه الســياسى فى محاربة الاحتلال البريطانى بمصر بالاستناد الى الولاء للدولة العثمانية وتأكيد تبعيـــة مصر الشرعية لهـــا .

والكاتب الصحفى جلال كشك يقول ابناء فورة حماس فى الحلقة الأخيرة من دراسته عن الوهابيين « ولا احد يســـتطيع أن يبالغ فى شـــخامة التحول التاريخى الذى كان يمكن أن يتحقق لو قام تحالف بين محمـــد على والدولة السعودية المستقلة ضد السلطان عندما بدأ محمد على فتوحاته للشام » ، وهو فى هذا على رأى المؤرخ المصرى المبرز محمد شفيق غربال (٢) ... ويبـــدو فى هذا الرأى تسوية بين الدولة السعودية بشـــبه الجزيرة ودولة محمد على بمصر وهى تسوية تهدر الأساس العقيدى الاسلامى للدولة الاسلامية والأساس

---

(١) مهندس مصرى تولى نظارة المعارف للخديوى اسماعيل بن ابراهيم ابن محمد على (عزل اسماعيل ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م وتوفى ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م) وكان لعلى مبارك جهوده فى اقامة القناطر الخيرية ودار العـلوم ودار الكتب المصرية وغير ذلك . وقد توفى على مبارك سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م .

(٢) انظر كتاب غربال : (محمد على) من سلسلة « اعلام الاســـلام » التى اصدرتها دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

العثماني للدولة العلوية ، وتسوى بين الدولتين لمجرد انهما دولتان ناشئتان اقيمتا بجهود (عصامية) من مؤسسيها !! ولو صحت التسوية لاستوت دول الأرض جميعا ـ اسلامية ونصرانية ويهودية ، وشيوعية ورأسمالية وغيرها ـ لمجرد انها دول قامت ، أيا كان اساس قيام كل منها !! ... والحق انه ما كان يمكن ان يقدم بحال مثل هـذا التحالف والتناقض بين الدولتين على هـذا النحو ... ولو كان عند الدولة السعودية السلفية قابلية للتحالف لأجل المصالح وبهدف تامين الدولة الناشئة ولو تنكرت للأسس العقيدية التى قامت عليها لكان الأولى أن تبقى على تحلفها مع غالب شريف مكة وتغض الطرف عن مخالفاته الشرعية ومظالمه للرعية !! ... ثم ما الذى يبرز أن يتحالف السعوديون مع محمد على ضد السلطان العثمانى ، وقد اقاموا دولتهم لتكون دولة اسلامية شرعية ، وتسنوى فى نظرتها مخالفات الدولة العثمانية مع الدولة العلوية فى انحرافهما عن الحكم الشرعى الواجب ، وان كان لابد من تفضيل للتحالف فقد يبدو اسلم منطقا أن تؤثر التحالف مع الدولة العثمانية !! وانما يفكر فى ايثار تحالف السعوديين ومحمد على الذين يحلمون بالدولة القومية العربية ، وانما كان الشغل الشاغل للدولة السعودية الأولى هو الاسلام الصحيح !! وعلى كل حال ، فان الدولة العثمانية كانت هى التى بادرته الى اعلان العداء والحرب ، وجندت لذلك محمد على الذى وافقها على ما تريد لحاجات ومارب ومصالح ومطامع !!

ويذكر الكاتب فى ختام دراسته أن « الشهادة واجبة لمحمد على والأمراء السعوديين الذين ادركوا فى السنوات الأخيرة انهم كانوا جميعا ضحايا (لعبة الأمم) ، وأن الخطر البريطانى الزاحف يفرض عليهم الوحدة ونسيان الماضى .. فما أن اجبر محمد على بحكم المواجهة مع بريطانيا وروسيا فى الشام على تخفيف وجوده فى الجزيرة العربية حتى حرص على أن يتولى الأمير خالد ابن سعود حكم الحجاز ... فلما انسحب كليا بموجب معاهدة سنة ١٨٤٠ م حرص على دعم الوجود السعودى بالجزيرة فاطلق سراح الأمير فيصل بن تركى من سجنه بالقلعة فى القاهرة الى الحكم فى نجد ... فدخل الرياض فى ٢٢ مايو سنة ١٨٤٢ م (ربيع ثان ١٢٥٩ هـ) وبقى فى الحكم ٢٢ سنة » .

ومن الواضح أن (محمد على) لم يخفف ضغطه على السعوديين ويترك لهم فرصة للعودة الى الحكم بشبه الجزيرة العربية الا نتيجة اضطرار ، وقد

فعل ذلك تحقيقا لمصالحه السياسية لا اقتناعا بدعوتهم ومبادئهم .... ولم يكن اعادة الحق الى نصابه وارجاع المنفى والأسير الى بلدهما ليعني حلفا من جانب العائد الى بلده المستعيد لحقه مع محمد علي ، وما كان من المعقول ان يمتنع عن الرجوع الى بلده وحكمه حتى ينفي شبهة التحالف .... وتفسير كل شيء على انه لعبة مطية استعمارية ينبغي الا يعني اعفاء المسئول عن الوزر والجرم ، والتسوية بين الجاني والمجني عليه بدعوى انهما كانا معا ضحية « لعبة الأمم » !!

ولكن يبقى مع هذا كله (جلال كشك) صاحب هذه الدراسة ، عنوانا لاتجاه المثقفين المعاصرين نحو تصحيح المفاهيم السائدة وتفهم الدعوة السلفية والاقبال على عقيدة الاسلام الصحيحة كما جاء بها الكتاب والسنة وادراك حقائق التاريخ ورفض كل ما زيف به الاسلام وتاريخه !!

تاثير الدعوة السلفية على علماء الدين والمفكرين المسلمين وعلى تعليم الدين في المجتمعات المعاصرة :

يمكن اجمال عقيدة الاسلام كما أوضحتها الدعوة السلفية بناء على ما جاء في الكتاب والسنة في أصلين كبيرين : **اخلاص العبادة لله** ، وتوحيده توحيد الربوبية بالاقرار له بالخلق والرزق وما اليهما وتوحيد الألوهية بافراده بالعبادة والطاعة ــ وهذا معنى شطر شهادة الاسلام « **لا اله الا الله** ، **ثم اتباع ما جاء به رسول الاسلام** صلوات الله عليه لعبادة الله وطاعته ، حتى يؤدى ذلك على هدى الكتاب والسنة وبناء على ما أمر به الذى نزل الكتاب المبين وبعث النبى صلى الله عليه وسلم نورا واسوة ورحمة للعالمين دون مروق أو ابتداع ــ وهذا معنى الشطر الآخر من شهادة الاسلام « **محمد رسول الله** » صلوات الله عليه . وهذه العقيدة في جلائها ورشدها كانت قد حجبها ركام من الشوائب والأباطيل والضلالات خلال القرون ، فلما جلتها الدعوة السلفية للأبصار والبصائر ونفت عنها الأكدار ووصلت الناس بينابيعها الصافية الفياضة ، كان لذلك آثاره الجلية على المتخصصين في علوم الدين والمفكرين المسلمين كما كان له آثاره على المسلمين العاديين في المجتمعات المعاصرة ، على الرغم من تصدى البعض منهم للدعوة السلفية ولا سيما حين صدمت الناس في أول عهدهم بها بما هم عليه من باطل وما تغلغل في مجتمعاتهم من أوهام وما توارثوه من ضلالات !!

وكان ممن تاثر بالدعوة السلفية من علماء الاسلام وآمن وعمل لهـــا **القاضى محمد بن على الشوكانى** باليمن المتوفى سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، وهو لم يلتق بالشيخ محمد بن عبد الوهاب شخصيا لكن بلغته دعوته التى عمـت شبه الجزيرة بل تجاوزتها الى غيرها من انحاء العالم الاسلامى • والشوكانى هو صاحب الكتاب الجليل النافع المعروف « نيل الأوطار » الذى شرح فيـــه كتاب « منتقى الاخبار » وهو كتاب جامع للكثير من احاديث الأحـــكام التى انتقاها محمد الدين عبد السلام بن تيمية (المتوفى سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) وهو جد الامام المشهور تقى الدين احمد بن تيمية ، وله كتاب قيم فى اصول الفقـه ايضا هو « ارشاد الفحول الى تحقيق الحق فى علم الأصـــول » الى جانب مؤلفات كثيرة اخرى ، منها « القول المفيد فى حكم التقليد » • وقد اجتهد فى استنباط الأحكام الشرعية من السنة فى « نيل الأوطار » غير متقيـــد بمذهب فقهى ، وحارب التقليد ودعا الى الاجتهاد فثار جدال عنيف بينه وبين معاصريه من العلماء ولا سيما فى صنعاء • وقد الح فى الدعوة الى تصحيح العقيـــدة وترك البدع ولا سيما ما يفعله القبوريون والمتصوفة ، فهو يقول مثلا فى « نيل الأوطار » :

« وكم سرى عن تشـــييد ابنية القبـــور وتحسينها من مفاسد يبـــكى لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للاصنام ، وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجا لنيل المطالب ، وسالوا منها ما يسال العباد من ربهم ، وشدوا اليها الرحال وتمسحوا واستغاثوا ، وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه ، فانا لله وانا اليه راجعون • ومع هـــذا الفكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف ، لا عالما ولا متعلما ولا اميرا ولا وزيرا ولا ملكا ! وقد توارد الينا من الأخبـار ما لا يشك معه ان كثيرا من هؤلاء القبوريين او اكثرهم اذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجرا ، فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى تلعثم وتلكا وابى واعترف بالحق ، وهذا من ابين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثانى اثنين وثالث ثلاثة ! فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين ، اى رزء للاسلام اشد من الكفـر ، واى بلاء لهذا الدين اضر عليه من عبادة غير الله ، واى مصيبة يصاب بها المسلمون

تعدل هـــذه المصـــيبة ، وأى منكر يجب انكار ان لم يكن انكار هذا الشرك المبين ؟؟ !! » (١) ٠

واذا كان صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى قلب شبه الجزيرة قد وصل الى اليمن على هذه الدرجة من الوضوح والقوة ، وكان له مثـــل ذلك الاثر الفعال ، فكيف بصوت الشوكانى هناك ؟؟ ٠٠ لقد كان له دون شك دويه واثره فى اقناع الكثيرين باليمن ٠٠٠ وفى مصر اشاد بالشوكانى الشـــيخ محمد عبده « هذا الشوكانى لما كسر قيود التقليد صار عالما وفقيها » ! (٢) ٠

* * *

وفى مصر كان تأثر محمد عبده (المتوفى ســـنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) بالدعوة السلفية واضحا ، وكان تأثر تلميذه محمد رشيد رضا (المتـــوفى سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) بهذه الدعوة أوضح وأقوى ٠٠٠٠ يقول رشـــيد رضا عن محمد عبده انه « كان اشعريا صوفيا ثم صار بالتدريج سلفيا » (٣) يقول محمد عبده أن أول ما عنى به ودعا اليه هو « **تحرر الفكر من قيـــد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجـــوع فى كسب معارفه الى ينابيعه الأولى** ٠٠٠ » (٤) فقد هاجم محمد عبده البـدع وما دخل على عقيدة الاسلام الصافية من فساد باشراك الأولياء وسكان القبـور مع الله ــ على الرغم من نزعة صوفية كامنة فى أعماق الرجل اشار اليهـــا تلميذه رشيد رضا كما سلف ، كما هاجم التقليد ودعا الى فتح باب الاجتهاد ، ففى دروسه فى التفسير التى كان يلقيها فى الرواق العباسى بالأزهر ، كان ينتهز كل اشارة لآية ولو من بعيد تندد بالشرك فيفيض فى الحملة على عبادة الصالحين وزيارة القبور والشفاعة والتوسل وما الى ذلك ٠ فيطيل الوقوف

---

(١) الشوكانى : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ــ المطبعـــة الأميرية بالقاهرة ــ جـ ٣ ص ١٣٤ ٠

(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ــ طبعـــة دار المنـــار بالقاهرة ــ ص ٩٤٢

(٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ــ مطبعة المنار بالقـاهرة جـ ١ ص ٢٠ وما بعدها ٠

(٤) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ــ القاهرة سنة ١٩٦٥ م ص ٣٢٧ ٠

مثلا عند قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا اشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب) (البقرة/١٦٥) ، فيقسم الشيخ الأنداد الى قسمين · هؤلاء الشفعاء الذين اتخذهم الناس وسيلة للقرب من الله يستقضونهم فى الحوائج ، وهؤلاء الذين يقلدون فى الدين يتخذ قولهم شرعا من غير حجة ولا برهان · وتظهر فلسفته فى بيان الأضرار النفسية من هذه العقائد ، فهى تورث الذل وتخضع الناس للحكام الظالمين وتحط النفوس الى الدرك الأسفل ، ثم هى تضر اجتماعيا باعتماد الناس على هؤلاء الأولياء بتركهم القوانين الطبيعية التى جعلها الله اسبابا لابد منها لحصول المسبب ، فالزراعة انما تنجح بالحرث والتسميد والبذور والسقى لا بالاستغاثة بولى ، والحرب انما تكسب باتخاذ سلاح مجهز على آخر طراز كسلاح العدو واعداد العدة الكاملة كما يفعل العدو لا بالاستعانة بأهل القبور ، وفضيلة المسلم ان يستعين بعد ذلك كله بالله وحده يطلب منه ان يثبت قلبه ويلهمه التوفيق · وهكذا كان يفيض مفندا آراء من يقول بالتوسل والشفاعة (التى نفاها الاسلام) والتقليد · وينتهز فرصة وجود جماعة من العلماء عنده فى يوم مولد النبى ودعوته للعشاء عند احد المحتفلين فيبين لهم أن هذه الموالد كلها منكرات ويتمنى لو انفق ما يصرف فى الموالد على تعليم الفقراء ، (ويمتنع) الشيخ وحده (عن العشاء) · ويضع تفسيرا لجزء (عم) للناشئة فيلقى كل وسيلة للحملة على كل ما يشوب التوحيد من شرك بعبادة المشايخ والقبور والأضرحة ···· راجيا أن ينشأ الشباب نشأة دينية صحيحة خيرا مما عليه آباؤهم » (١) ·

وحين كان محمد عبده منفيا فى بيروت عقب الثورة العرابية وما انتهت اليه من الاحتلال البريطانى لمصر ، قام بالتدريس سنة ١٣٠٣هـ فى (المدرسة السلطانية) هناك حيث أملى على طلابه « رسالة التوحيد » ، وقد كان وقتها فوق الثلاثين بقليل ، وما يزال متأثرا بالنهج الأشعرى فى كتب التوحيد الا ان رسالته تحمل نبض الدعوة السلفية ، فهو يقول مثلا « والذى علينا اعتقاده أن الدين الاسلامى دين توحيد فى العقائد لا دين تفريق فى القواعد ، العقل من

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤ ·

اشد اعوانه والنقل من اقوى اركانه ، وما وراء ذلك فنزغات شـــياطين او شهوات سلاطين ، والقرآن شاهد على كل بعمله قاض عليه فى صوابه وخلطه ... ونهانا (الكتاب عن التقليد بما حكى عن أحوال الأمم فى الأخذ بمـــا عليه اباؤهم ، وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك واستتباعه لهدم معتقداتهم ... فان التقليد كما يكون فى الحق يأتى فى الباطل ، وكما يكون فى النافع يجعل فى الضار ، فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بحال الانسان » (١) .

لكن يبدو واقتفاء محمد عبده للنهج الأشعرى فى دراسة التوحيـــد فى كلامه عن « احكام الواجب » من القدم والبقاء ونفى التركيب (٢) .

والتدليل المنطقى على هذا وتطبيق هذه الصفات على « واجب الوجود » وهو الله سبحانه . ولم يكن هذا هو نهج السلف رضوان الله عليهم فى الكلام عن الله عز وجل وصفاته ، ويجلى ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمـــه الله فيقول فى رسالته لمطوع المجمعة « ... ان مذهب الامام أحمد وغيره من السلف انهم لا يتكلمون الا بما يتكلم الله به ورسوله ، فما اثبته الله لنفســه او اثبته رسوله اثبتوه ــ مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجىء وغير ذلك ، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نفوه مثل المثـل والند والمسمى وغير

---

(١) محمد عبده : رسالة التوحيد بتحقيق محمود ابو رية ــ ط ٤ ــ دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧١ م .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ ــ ٤٤ . وانظر ايضا ما ذكره عن « خـلق القرآن » وأنه قد انتصر له « جمع من خلفاء العباسيين وأمسك عن القـــول المتمسكين بظواهر الكتاب والسنة او المتعففين عن النطق بمـا فيه مجـــاراة البدعة ، واهين من ذلك رجال من أهل العلم والتقوى وسفكت فيه دماء بغيـر حق ، وهكذا تعدى القوم حدود الدين باسم الدين » ص ٣١ ، وقد كتب محقق الكتاب فى الحاشية نقلا عن رشيد رضا : « التحقيق أن كلا القولين (اى خلق القرآن وازليته) مبتدع لم يقل به احد من الصحابة والتابعين » ويرى محمـــد عبده ان « اباء بعض الائمة أن ينطبق بأن القرآن مخلوق كان منشؤه مجـــرد التحرج والمبالغة فى التأدب من بعضهم » جـ ١١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وذكر محمـــد عبده للشيخ محمد محمود الشنقيطى « اننى خالفت فى هذه المسألة بخصوصها لأهميتها ولاشتباه كثير من الناس فيها » ــ تاريخ الأستاذ الامام جـ ١ ص ٩٣ .

والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة ضعف في العقل وتقرير بالشرع ، لأن استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة ، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة ذلك ، وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله اثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه ... والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم » (١) .

ومحمد عبده يرتئي التوقف فيما ورد في القرآن من صفات الله ، بل يكان يميل الى عدم أخذ الألفاظ بظاهرها . يقول « فالذي يوجبه علينا الايمان هو أن نعلم انه موجود لا يشبه الكائنات ، ازلي ابدي (٢) حي عالم مريد قادر ، متفرد في وجوب وجوده وفي كمال صفاته وفي صنع خلقه ، وانه مثلكم سميع بصير وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع باطلاق اسمائها عليه . اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ـ ونحو ذلك من الشئون التي اختلف عليها النظار وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز الخوض فيه اذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه . والاستدلال بشيء منه بالألفاظ الواردة ضعف بالعقل وتقرير بالشرع ، لأن استعمال اللغة لا تنحصر في الحقيقة ، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة لا تراعي فيه الوجودات بكنهها الحقيقي ، وانما تلك من مذاهب فلسفة أن لم يضل فيها أمثلهم فلم يهتد فيها فريق الى مقنع . فما علينا الا الوقوف عندما تبلغه عقولنا ، وان نسأل الله أن يغفر لمن امن به وبما جاء به رسله ممن تقدمنا من الخائضين » (٣) .

ويتناول محمد عبده « افعال العباد » ومسالة « كسب » العبد لأفعاله التي قال بها الأشاعرة مقابل « خلق الأفعال » عند المعتزلة فيقول « .... فجاءت الشريعة الاسلامية بمحو (الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن ماثلهم) ورد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية الى الله وحده ، وتقرير امرين عظيمين هما ركنا السعادة وقوام الأعمال البشرية : الأول أن العبد

---

(١) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ـ القسم الخامس (الرسائل الشخصية) ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢) يؤثر السلف وتابعهم وأن يسمى الله بما سمى به نفسه ، فيقولون هو (الأول والآخر) بدلا من (ازلي ابدي) .

(٣) رسالة التوحيد ص ٦٢ .

يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته ، والثانى أن قدرة الله هى مرجع لجميع الكائنات وأن من آثارها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريده وأن لا شيء سوى الله يمكن له أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه · جاءت الشريعة لتقرير ذلك وتحريم أن يستعين العبد بأحد غير خالقه فى توفيقه الى اتمام عمله بعد احكام البصيرة فيه وتكليفه بأن يرفع همته الى استمداد العون منه وحده بعد أن يكون قد أفرغ ما عنده من الجهد فى تصحيح الفكر واجادة العمل ، ولا يسمح العقل ولا الدين لأحد أن يذهب الى غير ذلك · وهذا الذى قررناه قد اهتـــدى اليه سلف الأمة فقاموا من الأعمـــال بما عجبت له الأمم » (١) ·

ثم يعرض محمد عبده لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقـــول : « نادى فى الوثنيين بترك أوثانهم ونبذ معبوداتهم ، وفى المشبهين بالتطهـر من تشبيههم ، وفى الثنوية بافراد الله ولحد بالتصرف فى الأكوان ورد كل شيء فى الوجود اليه ، أهاب بالطبيعيين ليمدوا بصـــائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة يتتوروا سر الوجود الذى قامت به ، صاح بذوى الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة فى الاستكانة الى سلطان معبود واحد هو فاطر الســموات والأرض والقابض على ارواحهم ···· تناول المنتحلين منهم لرتبة التوسـط بين العباد وبين ربهم الأعلى فبين لهم بالدليل وكشف لهم بنـــور الوحى أن نسبة اكبرهم الى الله كنسبة أصغر المتقدين بهم ، مطالبهم بالنزول عمـــا انتحلوه لأنفسهم من المكانات الربانية الى أدنى سلم من العبودية والاشتراك مع كل ذى نفس انسانية فى الاستمانة برب واحد يستوى جميع الخـــلق فى النسبة اليه لا يتفاوتون الا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم وفضيلة ، وفخر يوعظه عبيد العادات واسراء التقليد ليعتقوا ارواحهم مما استعبدوا به ،

---

(١) المرجع نفسه ص ٧١ ــ ٧٢ يشير محمد عبده فى آخـر كلامه الى أن هذا كان ما تحول عليه امام الحرمين ابو المعالى عبد الملك بن أبى محمـــد عبد الله بن يوسف الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، وهو متكلم على مذهب الأشعرى وله نزعة صوفية ، له كتاب « الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » ، « الشامل فى أصول الدين » ، « لمع الأدلة فى قواعد عقـائد أهل السنة والجماعة » ، « البرهان فى أصول الفقه » ، « نهاية المطلب فى دراية المذهب » ، وله « رسالة فى التقليد والاجتهاد » ·

ما أودع فيه من المواهب الالهية ودعا الناس اجمعين ذكورا وأناثا عامة وسادة الى عرفان انفسهم ٠٠٠٠ وان الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهـــم من الأكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الاعتـــدال ويحلوا اغلالهم التى اخذت بايديهم عن العمل ٠٠٠٠ ولغة كل انســـان الى والوقوف عند حدود الشريعة العادلة ٠٠٠ » (١) ٠

ويذكر محمد عبده عن « الاسلام » انه اجتث جذور الوثنية وما اليها ، « مما لو اختلف عنها فى الصورة والشكل او العبادة واللفظ ، لم يختلف عنها فى المعنى والحقيقة ٠ تبع هذا طهارة العقول من الأوهام الفاسدة التى تنفك عن تلك العقيدة الباطلة ثم تنزه النفوس عن الملكات الســيئة التى كانت تلازم تلك الأوهام ، وتخلصت تلك الطهارة من الاختلاف فى المعبودية وعليهم وارتفع شان الانسان بما صار اليه من الكرامة بحيث اصبح لا يخضع لأحد الا لخالق السموات وقاهر الناس اجمعين ، وأتيح لكل أحد بل فرض عليه ان يقول كما قال ابراهيم (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين) ٠٠٠٠ تجلت بذلك للانسان نفسه حرة كريمة ، واطلقت ارادته من القيود التى كانت تعقدها بارادة غيره : سواء كانت ارادة بشرية ظن انها شعبة من الارادة الالهية ، او انها هى كارادة الرؤســـاء والمسيطرين ، **ارادة موهومة اخترعها الخيال كما يظن فى القبور والأحجار والأشجار والـكواكب ونحوها ، وامتكث عزيمته من اسر الوسائط والشفعاء والمتكهنة والعـــرفاء وزعماء السيطرة على الأسرار ومنتحلى حق الولاية على اعمال العبـد فيمـا بينه وبين الله الزاعمين انهم واسطة النجاة وبايديهم الاشقاء والاســـعاد ٠**
وبالجملة فقد اعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين » ٠ صـــــار الانسان بالتوحيد عبد الله خاصة ، حرا من العبودية لكل ما سواه ، فكان له من الحق ما للحر على الحر ، لا على فى الحق ولا وضيع ، ولا تفـــاوت بين الناس الا بتفاوت اعمالهم ، ولا يقربهم من الله الا طهارة العقل من دنس الوهم وخلوص العمل من العوج والرياء ٠٠٠٠ انحى الاسلام على التقليد وحمـــل عليه حملة بددت فيالقه المتغلبة على النفوس واقتلعت اصوله الراســخة فى المدارك ونسفت ما كان له من دعائم واركان من عقائد الأمم » ٠ وتذكر حواشى الرسالة ان محمد عبده ذكر من دعائم التقليد فى درسه الشفهى : احتـــرام

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٣٨ ــ ١٣٩

المرء لآبائه واسلافه وشيوخه ومعلميه ، واعتقاد عظمة السابقين من رجال الدين (ويقصد المتصوفين الية من علماء وصالحين) ، ثم الخوف من انكار الناس عن قول الحق « فمن لم يحترم نفسه ويمرنها على الأخذ بما يعتقد انه الحق وان خالف الآباء والمعلمين والأحياء والأموات وغير المعصومين من الخطأ فلا يمكنه ان ينطلق من قيود التقليد » . كما تذكر الحواشي أن صاحب الرسالة بين مفاسد المنتسبين الى « الطرق الصوفية » واختلافهم عندما ذكر « الاختلاف في المعبودين وعليهم » (١) .

ويقول في صدد الكرامات ان البحث في جواز وقوعها هو نوع من « البحث في متناول همم النفوس البشرية وعلاقتها بالكون الكبير وفي مكان الاعمال الصالحة وارتقاء النفوس في مقامات الكمال من العناية الالهية ، وهو بحث دقيق ... واما محور الجواز العقلي وان صدور خارق للعادة على يد غير نبي مما تتناوله القدرة الالهية فلا اظن انه موضوع نزاع يختلف عليه العقلاء . وانما الذي يجب الالتفات اليه هو ان اهل السنة وغيرهم في اتفاق على انه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي لله معين بعد ظهور الاسلام ... ان هذا الأصل المجمع عليه مما يهذي به جمهور المسلمين في هذه الأيام حيث يظنون ان الكرامات وخوارق العادات اصبحت من ضروب الصناعات تنافس فيها الأولياء وتتفاخر فيها همم الأصفياء وهو مما يتبرأ منه الله ودينه واولياؤه واهل العلم اجمعون » !

وكان محمد رشيد رضا اعلم بنهج السلف واحرص على الالتزام من شيخه محمد عبده رحمه الله ، فقد عمد الى مزيد من العناية بالسنة في تفسير القرآن بعد وفاة شيخه محمد عبده ، ولا يقنع ببيان الدلالة العامة للآيات ومراميها الأخلاقية والاجتماعية . يقول رشيد رضا في مفتتح الجزء الأول من « تفسير المنار » : « وانني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها او في حكمها » فقد اشتغل رشيد رضا بدراسة السنة ، وتبين اهميتها ومكانتها

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٥٠ ـ ١٥٢ وانظر الهامشتين ص ١٥٠ ، ص ١٥٢ .

والحاجة اليها ، كذلك عنى فى تفسيره بالتوسع ايضا « فى تحقيـــق بعض المفردات او الجمل اللغوية وفى الاكثار من شواهد الآيات وتحقيق مســائل تشتد حاجة المسلمين اليها او حل بعض المشكلات » ، وهو فى بيان مســائل العقيدة تتضح سلفيته النقية التى لا تشوبها شائبة ، فهو يقول مثلا « الكافرون بآيات الله تعالى صنفان : صنف يكذبها كلها ولا يؤمن بشىء منها ، وصـنف يشرك بالله غيره فيخله ما هو خاص به عز وجل لا يقدر عليه سواه ، يدعوى ان الله تعالى هو الذى اعطاهم القدرة الغيبية على ذلك وصرفهم فى العـــالم كرامة لهم ، اى هو الذى اشركهم معه كما كان المشركون يقولون فى حجهم : لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وانما يتحامون الفـــاظ العبادة والشرك والخلق دون معانيها ، فيكذبون على الله تعالى وعليهم بما يكذبهم به كتابه المنزل ونبيه المرسل ... ان افساد هؤلاء الخرافيين للبشر فى دينهم ودنياهم لأشد من افساد المنكرين للآيات المكذبين بها ، ذلك بانهم هم اكبر اسباب الانكار والتكذيب بزعمهم ان الأنبياء ومن دونهم من الصالحين يتصرفون فى الخلق بما يخالف سنن الله تعالى فيه او يبدلها بغيرها ويحولها عمـــا وضعت له ، وزعمهم ان الله هو الذى دعا الناس الى هذا الاعتقاد وجعـــله اساس دينه ، فكذبوا بالدين من اساسه . فدعوى تصرف الأنبياء والصالحين فى الكون قول على الله بغير علم ، وهو اشد انواع الكفر بالله لأن ضرره متعد بما فيه من اضلال الناس باعتقاد باطل تتبعه عبادة باطلة غير مشروعة . اما الذين يشركون بالله فى عبادته بجهلهم لآياته وتقليد امثالهم من الجاهلين فى خرافاتهم فلا علاج لهم الا تعليمهم توحيد الله الخالص فى ربوبيته والوهيتـه بآيات القرآن دون نظريات كتب الكلام ، وتعليمهم وظائف الرسل وكونهم بشرا اختصهم الله بوحيه لتبليغ عبادة ما ارتضـــاه لهم من الدين بالقول والعمل ، وحصر اختصاصهم بالتعليم والارشاد تبشيرا وانذارا وتنفيذ احكام شرعـه فيهم بالعدل والمساواة ، ولم يؤتهم من التصرف الفعلى فى خلقه ما يقدرون به على هداية اقرب الناس واحبهم اليهم بالطبـــع كالوالد والولد والزوجة ومن دونهم من اولى القربى » (١) .

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى ـ المكتب الاســلامى : بيروت ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

وهو يقول عن « الكرامات » : « واذا كان لا يجب على مسلم أن يؤمن بوقوع كرامة كونية خارقة للعادة بعد محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فلا يفد مسلما فى دينه ان يعتقد كما يعتقد اثر عقلاء العلماء والحكماء من أن ما يدعيه الناس من الخوارق فى جميع الأمم اكثره كذب وبعضه صناعة علم أو تاثير نفس أو شعوذة سحر ، واقله من خواص الأرواح البشرية العالية وعلامته ان يكون علما صحيحا موافقا للمعقول الشرعى والمعقول القطعى ، أو عملا نافعا مشروعا ، وأن يكون من صدر عنه مؤمنا عاقلا صالحا • فكل ما ينقله المتصوفة مخالفا لذلك من التصرف الضار بالناس فى دينهم أو صحتهم • فهو ــ ان صح ــ من تاثير الأنفس الخبيثة » (١) •

ويقول فى موضع آخر : « •••• ثم نكس المسلمون على رءوسهم الا قليلا منهم واتبعوا سنن من قبلهم من اهل الكتاب وغيرهم فى التقليد لآبائهم ومشايخهم المنسوبين الى بعض ائمة علمائهم والذين نهوهم عن التقليد ولم يأمروهم به ، فابطلوا بذلك حجة الله تعالى على الأمم التى وكل الله دعوتها اليهم وصاروا حجة على دينهم ، فكيف يدعون اليه وحجته القرآن وهم يحرمون الاهتداء به ، حتى ان ادعياء العلم الرسمى (اى اصحاب الشهادات من المعاهد الرسمية) فيهم ينكرون اشد الانكار على من يدعونهم الى اتباع كتاب الله وهدى رسوله وسيرة السلف الصالح من اهله ، ونحن معهم فى بلاء وعناء نقاسى منهم ما شاء الجهل والجهد من استهزاء وطعن وايذاء وتهكم بلقب (المجتهد) الذى احتكره الجهل لبعض المتقدمين من العلماء •••• وانما تروج البدع فى سوق التقليد الذى يتبع اهل كل ناعق •••• ونحن دعاة العلم الصحيح والاهتداء بالكتاب والسنة احق منهم باتباع الأئمة ، ولا نعنى بالاهتداء بالكتاب والسنة ان كلا منهم امام مجتهد مطلق كمالك والشافعى فهذه اعلى درجة فى العلم ، والعلم درجات كما قال الله عز وجل ، وقد كان يوجد فى السلف قبل تدوين المذاهب عوام وخواص كلهم يهتدون بهما (اى بالكتاب والسنة) • وصاحب (المنار) قد وقف نفسه على الرد على جميع الملاحدة والبهائية والقاديانية والقبوريين وسائر مبتدعة عصرنا ، وهو لم

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣١ •

يدع مذهبا له يدعو اليه ولم يخالف اجماع الأمة ولا فرق عنده بين الأئمة ـ ولله الحمد والمنة » (٢) ٠

وتنتظم زوّخ السلفية وريحانها من كل كلفة وعبارة مما سبق ، وكل كتابات محمد رشيد رضا في (المنار) ومؤلفاته تفهد بفهمه السلفي الدقيق واخلاصه في الدعوة الى تصحيح الاعتقاد بحيث يطابق ما فهمه السلف من الكتاب والسنة ، وكلامه عن التقليد يذكرنا بكلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى حيث يقول « ولست ولله الحمد ادعو الى مذهب صوفي او فقيه او متكلم او امام من الأئمة الذين اعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل ادعو الى الله وحده لا شريك له وادعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي اوصى بها اول امته واخرهم ، وارجو اني لا ارد الحق اذا اتاني بل اشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان اتانا منكم كلمة من الحق لاقبلناها على الراس والعين ولاضربن الجدار بكل ما خالفها من اقوال ائمتي حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقول الا الحق ٠٠٠٠ والحاصل ان صورة المسالة : هل الواجب على كل مسلم ان يطلب علم ما انزل الله على رسوله ولا يعذر احد في تركه البتة ؟ ام يجب عليه ان يتبع (التحفة) (١) مثلا ، فاعلم ان المتاخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد انكروا هذا غاية الانكار وانه تغيير لدين الله واستدلوا على ذلك بما يول وصفه من كتاب الله الواضح ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البين لمن نور الله قلبه ٠ والذين يجيزون ذلك او يوجبونه يدلون بشبه واهية لكن اكبر شبههم على الاطلاق انا لسنا من اهل ذلك ولا نقدر عليه ، ولا يقدر عليه الا المجتهد ، وانا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون ، ولأهل العلم في ابطال هذه الشبهة ما يحمل مجلدا ٠٠٠ واما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس ان من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء باهل العلم

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥ ٠

(١) يقصد كتاب « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » لأحمد بن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م ، فقيه شافعي مصري و « المنهاج » هو « منهاج الطالبين » في الفقه الشافعي لمحي الدين يحيى بن شرف الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ٠

وزخرفه بانواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان وزخـــارفه (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) ، فان الذي انا عليه وادعوكم اليـــه هو في الحقيقة الاقتداء باهل العلم فانهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن اشهرهم كلاما في ذلك امامكم الشافعي قال : لابد أن تحيط علما بما يخالف الحديث فكل ما خالفه فاشهدكم اني قد رجعت عنه ، وايضا انا في مخالفتي هذا العالم لم اخالفه وحدى ٠٠٠ قلت : انا لم اخالف الشافعي من غير امام اتبعته بل اتبعت من هو مثل الشافعي او اعلم منه قد خالفه واستدل بالاحاديث ٠٠٠٠ واتبعت قول الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ٠٠٠٠ ولا خلاف بيني وبينكم ان اهل العلم اذا اجمعوا وجب اتباعهم ، وانما الشان اذا اختلفوا هل يجب علي أن اقبل الحق ممن جاء به وارد المســـــالة الى الله والرسول مقتديا باهل العلم او انتحل بعضهم من غير حجة وازعم ان الصواب في قوله ؟؟ فانتم على هذا الثاني ــ وهو الذي ذمه الله وسماه شركا وهـــو اتخاذ العلماء اربابا ، وانا على الأول ادعو اليه وانا ناظر عليه ٠٠٠٠ » (١) ٠

ويذكر محمد رشيد رضا في شان (الطرق الصوفية) انه « طالما فكـر مصلحو الاصلاح من عقلاء المسلمين في اصلاح شان المنتمين الى الطرق الصوفية وانقاذهم من خيالاتها الفاسدة وبدعهم الفاضحة ، بل اخراجهم من حجر الضب الذي دخلوه وهم لا يشعرون ، فلم يهتد احد الى ذلك سبيلا ٠ ولما هاجرت الى مصر سنة ١٣١٥هـ كان اول اصلاح سمعت اليه أن حاولت اقناع شيخ مشايخ الطرق الصوفية (الشيخ البكرى) بالقيام بهذا الاصلاح ٠٠٠٠ ثم علمت بعد طول السعي ان ما حاولت من الاستعانة بهذه السلطة الرســـمية على هـــذا الاصلاح الروحي يكاد يكون من محالات العادات !! وقد جرت المذاكرة مـــرة بيني وبين صديقي السيد عبد الرحمن الكواكبي وكان يرى ان اصلاح هـــذه الطرق او الاصلاح من بابها محال ، فقلت : ارايت اذا اقنعنا بعض اخواننـــا الصادقين في حب الاصلاح العالمين بطرق الارشاد بان يكونوا شيوخا لهـذه الطرق المشهورة ــ الا يستطيعون أن يقفوا بعـــــامة اهل طريقتهم عند حدود

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ القسم الخامس (الرسائل الشخصية) ص ٢٥٢ ــ ٢٥٨ ٠

السنة ويربوا طائفة من المريدين تربية جديدة ؟ فقال : اننا جربنا ذلك فاقتنعنا رجلا من امثل هؤلاء الذين تعنيهم بنحو مما ذكرت ، فكان عاقبة امره معهم ان افسدوه ولم يصلحهم ، فانس بهذه الرياسة واثرها فخسرناه بها !! » (١) .

وقد اسس محمد رشيد رضا مجلة (المنار) فكانت منبرا للدعوة الى تصحيح العقيدة والتزام تعاليم الشريعة الصحيحة وشنت على البدع والخرافات والتقليد والتعصب للمذاهب حربا لا هوادة فيها ولا مداراة . ثم اسس رشيد رضا جمعية كانت تهدف الى تاسيس كلية تسمى « دار الدعوة والارشاد » لتخريج دعاة للاسلام يجوبون بلاد المسلمين والنصارى والوثنيين يدعون للاسلام الصحيح : وتعرض محمد رشيد رضا للاذى والعنت فى سبيل ما آمن به والح فى الدعوة اليه فما وهن ولا تراجع ، يقول رحمه الله : «توفى الاستاذ الامام رحمه الله اثر معارك من جهاده فى الاصلاح ما هدأ على ناره معه غيرى ، وحملت ما تصديت له من الضرر غير متململ ولا ضجر .... ثم كنت مهددا بعده بالنفى من هذه البلاد كما هددت فى آخر عهده . وقد وطنت نفسى على النفى وعزمت على السفر الى الهند ولم اتحول عن خطتى قيد شعرة » وقد اتهم رحمه الله بالاتصال بالوهابية والدولة السعودية ـ وكان الاستنصار باهل الحق تهمة واثما . ويذكر الاستاذ احمد عبد الغفور عطار أن « الامام محمد عبده كان يثنى على الوهابية فى دروسه ... وكتب محمد رشيد رضا وهو علامة جليل فى مدح الوهابية وسفر مجلته (المنار) للوهابية وخدمة الوهابيين . ولم يكن لكل ما كتبه ولا لنشاطه اى اثر فى العقلية العربية من ناحية الوهابية بل لم يكن له اثر فى العالم العربى الا نادرا والا فرديا ، لان سمعته كانت مشوهة فقد وصف بانه اجير للوهابيين كما زعموا » كما ان شيخه محمد عبده « لم يكن لرأيه غير اثر يسير لا يتجاوز محيط خواص تلاميذه » ـ فى راى الاستاذ عطار ، « وسلك مجددون فى محيط خواص تلامذته » ـ فما راى الاستاذ عطار ، « وسلك مجددون فى سورية وغيرها مسلك المصريين ، فكتب علامة الشام محمد كرد على بحثا عظيما بعنوان (اصل الوهابية) فى مجلة (المقتطف) سنة ١٣١٨هـ/١٩٠١م واعاد نشره فى كتابه (القديم والجديد) المطبوع بمصر سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م

---

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٠

.... وكتب غير محمد كرد على ، ولكن كان ما كتبوا محدودا ، فقراؤهم بين الشباب قليل .... » (١)

وانا احسب ان ما ظنه الأديب السعودى اثرا محدود انما قصد به الاثر السريع القريب ، ومن شان التحولات الفكرية ان تستغرق وقتا ، ولربما التهم ما كتبه محمد رشيد رضا ومحمد كرد على وامثالهما كثرة كاثرة من الأجيال التالية لزمن اولئك ما كانوا ليؤملوا ان يصل قراؤهم الى مثل عددهم ، ولربما انصرف عن قراءة هؤلاء فى زمنهم اناس لضعف روح التدين فى افرادهم او للمناخ البعيد عن التدين جملة الذى ساد فى وقت معين ، وليس لضعف بيان هؤلاء الكتاب او حجتهم .... كما شاعت بين الأجيال التالية بفضل دعاة السلفية المصلحين جزاهم الله خيرا كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكانى وامثالهم اثابهم الله وكتب لهم اجر كل من انتفع بعلمهم الى يوم القيامة ، لا ينقص ذلك من قدر اجور هؤلاء المنتفعين شيئا .

* * *

اما السيد عبد الرحمن الكواكبى المتوفى سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٢م صاحب كتابى (ام القرى) و (طبائع الاستبداد) فكان كما قال عنه صديقه محمد رشيد رضا بحق « كان يرى ان اصلاح الطرق (الصوفية) او الاصلاح من بابها محال » !!

وللكواكبى كتاب صغير جليل ، لم يذع امره الا اخيرا مع ان طبعته الأولى كانت فى حياة الكواكبى « عقب قدومه الى مصر » ـ كما يقول صديقه محمد رشيد رضا ، وهو يحدد لهذه الطبعة حوالى ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م . هذا الكتاب هو « ام القرى » الذى جعله الكواكبى مضبطة لاجتماعات مؤتمر تصور عقده فى مكة المكرمة « مهد الهداية » كما وصفها ويضم المؤتمر « سراة الاسلام » وقد اسماه الكواكبى « مؤتمر النهضة الاسلامية » وجعل امانه سنة ١٣١٦ هـ

---

(١) احمد عبد الغفور عطار : محمد بن عبد الوهاب ـ ط ٣ بيروت سنة ١٩٧٢ م ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

وهدفه دراسة « الأسباب الظاهرية للخلل الطارىء على المسلمين والضعف النازل بهم .... غير سر القدر الخفي عن البشر » . ويلاحظ أن المؤلف قد وجه « هذه المذكرات » الى من كان من « أمة الهداية » على حد تعبيره « أما اذا كنت من أمة التقليد واسراء الأوهام ... فلم تطق تتبع المطالعة وتحكيم العقل

والنقل في المقدمات والنتائج فاناشدك الاهمال الذي الفناه وان تطرح هذه المذكرات الى غيرك ليرى فيها رأيه » . وواضح أن التعبير « بأمة التقليد » يكشف عن تأصل الدعوة السلفية التي في نفس الكاتب ، كما يكشف عن ذلك اختياره اسم « جمعية تعليم الموحدين » للجمعية التي ارتأى المؤتمرون اقامتها لتكون مؤسسة دائمة تعمل على معالجة علل ضعف المسلمين والمجال الذي اختارته لنشاطها هو التعليم والتثقيف بصفة خاصة ومركزها الرسمي « مكة المكرمة » وتمتد شعبها في انحاء العالم الاسلامي . كذلك فقد ذيل الكوكبي قرارات المؤتمر بقرار أخير يذكر انه قد وجد « بعد البحث الدقيق والنظر العميق في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعداداتهم أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم ، بناء عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقا ... » ، وحتى لا يكون في هذا القرار شبهة تحيز ، فقد بسطت في ذلك الذيل أسباب القرار وعددت ستة وعشرين سببا لذلك ، بعضها يتعلق بمركز الجزيرة بالنسبة لدعوة الاسلام وتاريخ الاسلام ، وبعضها يتعلق بموقع الجزيرة الجغرافي ، وبعضها يتعلق بسكانها ، وقد ورد في السبب الثاني عشر « عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حقيقيا سلفيا بعيدا عن التقليد والتشويش » .... ولهذا كله دلالته التي لا تخفي في ايمان الكوكبي بنهج السلفية في تفهم الاسلام واقتناعه بأن أقرب من يكون اليه عرب الجزيرة ، وما وصلت الجزيرة لذلك الا بالدعوة السلفية .

وقد ذكر الكوكبي ضمن مناقشات الاجتماع الثاني للمؤتمر المنعقد في « أم القرى » على لسان « المحقق الدنى » ـ اذ اعطى المؤلف كل عضو في المؤتمر الذي تصوره (وصفا) مميزا يشتمل على نسبته الى بلده بدلا من ذكر

اسبه (١) ـ قوله : « ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية ان يكونا سببا للفتور (اي الضعف) العام ، بل لابد لذلك من سبب اعم واهم ... (و) الذى يجول في فكرى ان الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا اهله ! وذلك ان الدين انما يعرف بالعلم ، والعلم يعرف بالعلماء العاملين ، واعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية الى خير الدنيا والآخرة ... فبعض ضعيفى العلم وفاقدى العزم تطلعوا الى هذه المقـــلة التى هى فـــوق طاقتهم ... ومن العادة ان يلجا ضعيف العلم الى التصوف كما يلجا فاقـــد المجد الى الكيد وكما يلجا قليل المال الى زينة اللباس والاثاث . فصار هؤلاء المتعالون يدلسون على المسلمين بتاويل القرآن بما لا يحتمله النظم الكريم ... ثم جاءوا الامة بوراثة اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسنم مقامات اخترعوها ... وبالامعان نجدهم قد جاءوا مصداقا لما ورد في الحـــديث الصحيـــح : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ـ وفى رواية : خدوا هذه بهذه ـ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) . وذلك ان هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله او جله عن اصحاب التلمود وتفاسيرهم ، ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ، ومن البابوية ووراثة السر ، ومن مضـــاهاة مقامات البطاركة والكرديناليه ... ومظاهر القديسين وعجائبهم ... والرهبنة ... اي التظاهر بالفقر ورسومه ... ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم فى اليستهم وشعورهم

---

(١) يقول الكوكبى فى مستهل بيانه لما جرى فى الاجتماع الأول انه كان قد اعد للتوزيع على الأعضاء الاثنين والعشرين ـ غير الكوكبى ـ اوراقا منها قائمة « اختصر فيها تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنســـبة والمذهب والمزية الخصوصية » ومن ذلك « السيد الفراتى » ـ وهـــو الكوكبى نفسه نظرا لأن الفـــرات يمر فى شمالي ســـورية وموطن الكواكبى حلب ، و « الفاضل الشومى » ـ والشام قد تطلق اطلاقا عاما على سوريا ولبنـــان وفلسطين جميعا وقد تطلق بوجه خاص على دمشق ، و « البليغ القـدسى » ، و « العلامة المصرى » و « المحدث اليمنى » و « الحافظ البصرى » و « العـالم النجدى » و « المحقق المدنى » و « الأستاذ المكى » و « الحـــكيم التونسى » و « المرشـــد الفاسى » و « الســـعيد الانكليزى » و « الرياضى الكردى » و « المجتهد التبريزى » و « المدقق التركى » ... الخ والاوصاف الواردة فى هذه الأسماء الرمزية لها من دلالة .

٠٠ والبيع واحتفالاتها ، والتوبخات ووزنها ، والترقات واصولها ، واقـــامة الكتائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع لديهـا وتعليق الآمال بسكانها ، واخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة من احتـــرام الذخيرة وقدسية العكاز ، وكذلك امرار اليد على الصدر عند ذكر الصانحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب ، وانتزعوا (الحقيقة) من السر ، و (الخلافة) (اى تعيين خليفة الطريقة) من الرسم (اى رســـم القسس فى الكنيسة من قبل الأساقفة) والسقيا من تناول القربان والولد (مولد الشيخ) من الميلاد (ميلاد المسيح) ، وحفلته من الأعياد ، ووضع الأعلام من حمـــل الصلبان ٠٠٠ ووضع الاستهداء من نصوص الكتاب والســـــنة من حظـــر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وســـــد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود ـــ الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليدا لهؤلاء شيرا بشبر واقتفاء لأثرهم حجرا حجرا ٠٠٠ وقد فعل المدلسون ذلك ســـحرا لعقول الجهلاء واختلا بالقلوب الضعفاء كالنساء وذوى الأهـــواء والأمراض القلبية او العصبية من العامة ، والأمراء اللينى القياد طبعـــا الى الشرك ٠٠٠ ولأن التعبد باللهو واللعب اهون على النفس والطبـــع من القيام بتكليفـــــات الشرع ، كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب (وما كان صلاتهم عنـــد البيت الا مكاء وتصدية) ٠٠٠ **وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقا وشـــــهيقا وخلاعة ونعيقا** ٠ والحاصل ان بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصـــدون ، ولا سيما **بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير واستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل** والتقشف الشيطانى ، وبتزيينهم لهـــــم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ، ما انـــزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى او تابعى ، ظاهرها ادب وباطنهـــــا تشريع وشرك ، وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العـــــلم والعمل بظاهر الشرع ، **وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم واصحاب القبور** ٠ وقد تجاسروا على وضع احاديث مكذوبة اشاعوها فى مؤلفاتهم ٠٠ وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب ٠٠ ترهيبا بتهديدهم معاكســيهم او مسيئى الظن بهم باضرارهم فى انفسهم واولادهم واموالهم ضررا يتعجلهم فى دنياهم قبل آخرتهم ، وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق فى بغداد ومصر والشام وتلمسان قديما ، ولكن لا كسوقها فى القسطنطينية منذ اربعة قرون الى الآن ٠٠٠ فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسعرهم نفوذا عظيما به افسدوا كثيرا من الدين ، وبه جعلوا

كثيرا من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زورا بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيرا من الجوامع مجامع للبطالين ·· وبه جعلوا زكاة الامة ووصاياها رزقا لهم ، وبه جعلوا مداخيل أوقاف الملوك والامراء عطايا لاتباعهم ···» (١) · وهكذا لم يجعل الكواكبى اقوال المتصوفة وافعالهم مجرد ابتداع فى الدين ، بل جعلها علاوة على ذلك مضاهاة للنصارى !! كذلك يذكر الكواكبى ضمن ضبط مناقشات الاجتماع الثالث على لسان « الرياضى الكردى » : « وكذلك نرى وعاظا مقتصرين على البحث فى النوافل والقربات المزيدة فى الدين ، ورواية الحكايات الاسرائيليات ، ومثلهم المرشدون اهل الطرائق مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ، ورواية كرامات الانجاب والنقباء والأبدال ، وعلى ضبط وزن التمايل واصول الانشاء » !! (٢) ·

ويكتب الكواكبى فى مضبطة الاجتماع الرابع على لسان « العالم النجدى » ــ واختيار العالم النجدى لهذا القول لا يخلو من دلالة : « ومن اهم قواعد ديننا ان نعتقد ان محمدا عليه السلام بلغ رسالته لم يترك ولم يكتم منها شيئا ··· ومن اهم قواعد ديننا ايضا انه محظور علينا ان نزيد على ما بلغنا اياه رسول الله او ننقص منه او نتصرف فيه بقولنا ، بل محتم علينا ان نتبع ما جاء به الصريح المحكم فى القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول او فعله او اقره وما اجمع عليه الصحابة ، ان ادركنا حكمة ذلك التشريع او لم نقدر على ادراكها وان نترك ما يتشابه به علينا من القرآن (٣) فنقول فيه (آمنا به ، كل من عند ربنا) (وما يعلم تأويله الا الله ··· ويل البشر ، يغلب عليهم الاشراك بالله ، فيخصصونه تعالى شانه بتدبير الأمور الكسلية والشئون العظام كالخليقة وتقسيم الأرزاق والآجال ، وكانهم يجلبونه عن تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت امره مقربين واعوانا ووسطاء من ملائكة وجن

---

(١) الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبى تحقيق محمد عمارة مع دراسة له عن حياة الكواكبى وآثاره ــ القاهرة ١٩٧٠ ــ القسم المتضمن كتاب الكواكبى « أم القرى » ص ١٦٠ ــ ١٦٤ ·

(٢) المصدر السابق ص ١٧٣ ·

(٣) يقصد الكواكبى ترك الخوض فى المتشابه لا ترك اعتقاده والايمان به ·

وارواح وبشر وحيوانات وشجر وحجر ، وانه جعل لهم وللنواميس الكونية وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلا وتاثيرا في الأمور الجزئية ايقاعا او منعا ، واعطاهم شبيئا من القوة القدسية وعلم الغيب ! وتوهم هذا ناشيء عن قياسهم ملكوت ذى الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الامور وتفويضهم ما دون ذلك للعمال والأعوان واستعانتهم بالأخصاء والخدام ... ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وافكار الأمم الحاضرة لا يستريب فيما قررناه ان آفة البشر الشرك ... وكفى بالقران برهانا ، فقد قال تعالى : (ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ، وقال تعالى : (بل اياه تدعون) . وقال تعالى : (فلا تدعوا مع الله احدا) ، وقال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ــ الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار واشراك المطلق .. فالناس سريعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم انهم شركاء وانداد الله ، فيعبدونهم ــ اى يعظمونهم ــ ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ويتوقعون من سخطهم الشر . وقد قال تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) والله صادق الوعد نافذ الحكم ... انه جلت قدرته لا يرضى أن يشاركه في ملكه احد كما قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) .. واصل معنى مادة الشرك لغة الخلط ، واستعمالا اسم للاشراك بالله ، وفي اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في (ذاته) او (ملكه) او (صفاته) » (١) ... وهكذا اسبغر الكواكبى عن اعتقاده عقيدة السلف كاملة غير منقوصة صريحة دون اى لبس ... بل انه يقول : « ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لبث عشرة اعوام يقاسي الأهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط ، وسمى امته الموحدين وانزل الله القران ربعه في التوحيد ، وتاسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجعلت افضل الذكر لحكمة ان المسلم مهما رسخ في الايمان يبقى محتاجا الى نفس الشرك عن فكره احتياجا مستمرا وذلك لما قلناه من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه فنسال الله تعالى الحماية ...

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٨ ــ ١٩٣ .

نجد ان الله تعالى قال فى حق اليهود والنصارى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) مع انه لم يوجد (منهم) من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية او الاحياء والاماتة ... انما شاركوا الله تعالى فى التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم اتباعهم ذلك فوصفهم الله انهم اتخذوا اربابا من دون الله ، ونجد ايضا ان الله تعالى سمى قريشا مشركين مع انه وصفهم بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) أى يخصصون الخالقية لله ، ووصف توسلهم بالأصنام الى الله بالعبادة فحاكى عنهم قولهم (ما نعبدهم والا ليقربونا الى الله زلفى) . والمغفلة من المسلمين يظنون ان هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبـــادة ولا من الشرك ويسمون المتوسل بهم وسائط ... ونجد ان الله تعالى قال (فلا تدعوا مع الله احدا) واصل معنى الدعاء النداء ... والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون) ... وبما ذكر وغيره من الآيـات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركا به ، حتى صرح النبى صـلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله انه شركا ... فلينظر الآن : هل فقدنا فى الاسلام شيء من هذه الأعمال واشباهها فى الصورة او الحكم ؟؟ ومن لا تأخذه فى الله لومة لائم لا يرى بدا من التصريح بأن حالة السواد الأعظم من اهـل القبلة فى غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجـوه ، وان الدين عندهم عاد غريبا كما بدا كشان غيرهم من الأمم فمنهم الـذين اســـتبدلوا بالأصنام القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها وأرخوا عليها الستور ، يطوفون حولها مقبلين مستلمين اركانها ، ويهتفون باسماء سكانها فى الشدائد ، ويذبحون عندها القرابين يهل بها عمدا لغير الله وينذرون لها النذور ، ويشدون للحج اليها الرحال ، ويعلقون بسكانها الآمال يستنزلون الرحمـــة بذكرهم وعند قبورهم ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع أن يتوسطوا لهم فى قضاء الحاجات وقبول الدعوات ، وكل ذلك من الحب والتعظيم لغـير الله والخوف والرجاء من سواه ... ومنهم طائف يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكرا مشوبا بانشاد المدائح والمقالات بشعراء المتأخرين التى اهون ما فيها الاطراء الذى نهانا عنه النبى عليه الصلاة والسلام حتى لنفسه الشريفة فقال : (لا تطروني كما اطرت اليهود والنصارى انبياءهم ... ومنهم جماعة لـم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا احكاما سموها علم الباطن او علم الحقيقة او

علم التصوف ـ علما لم يعرف شيئا منه الصحابة والتابعون واهل القـــرون الأولى المشهود لهم بالفضل في الدين ـ علما نزعوا مسائلة من تأويلات المتشابه من القرآن ... وانتزع هؤلاء المداحون ايضا بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار ... ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يات بها الاسلام فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصا فهم اكملوه ... او كان النبى عليـــــه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم اتموها لنا ، او كتم شيئا مـن الدين واسر به الى بعض اصحابه ابى بكر وعلى وبلال رضوان الله عنهـــم وهؤلاء اسروا به الى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم فافشـــوه لن ارادوا من المؤمنين ! تعالى الله ورسوله عما يافكون . وهل ليس من الكفـــر باجماع الأمة اعتقاد ان النبى عليه السلام نقص التبليغ او كتم او اسر شـيئا من الدين ؟؟ ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا ، فجعـلوا منه التغنى والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول وليس الأخضر والأحمر واللعب بالنـــار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك البسطاء ويسترهبون الحمقـاء .. ومنهم قوم يعتبرون البلادة سلاحا والخمول خيرا والخيـــل خشوعا والصرع وصولا والهذيان عرفانا ، والجنون منتهى المراتب السبع للكمال !! ومنهـــم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب .. فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها اما شرك صراح ، او مظنات اشراك حكمها فى الحكمة الدينية حـــكم الشرك بالاشكال . وما جر الأمة الى هذه الحالات الجاهلية وبالتعبير الأصح رجع بها الى الشرك الأول الا الميل الطبيعى للشرك ، مع قلة علمـاء الـــدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد ... فالتبعة كل التبعة على العلمـــاء الراشدين » (١) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٤ ـ ٢٠٠ ويضيف الكوكبى على لسان الشيخ السندى فى الاجتماع السادس عن « صوفية الزمان الذين يهـونون الدين كل التهوين » انهم يقولون « ان العلم حجاب ، وبلمحة نفع الصالحة ، وبنظرة من المشد الكامل يصير الشقى وليا ، وبنفحة فى وجه المريد او تفلة فى فمه تطيعه الأفعى وتخدمه العقرب وتدخل تحت امره قوانين الطبيعـــة ... وان الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب ، وان الاعتقاد اولى من الانتقاد ، وان الاعتراض يوجب الحرمان .. الى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التى تجعله نوعا من اللهو الذى تستانس به نفوس الجـــاهلين » ـ المرجع السابق ص ٢٢٠ .

وهكذا يقدم الكواكبى صورة حية جلية لبدع الشرك المعاصر ، اعطاها من تفاصيل الواقع ما جعلها صورة حقيقية ناطقة معبـــرة ، ـ هى ابلغ فى مخاطبة العقول والقلوب من اية تقريرات نظرية جافة ، وقد كان هذا شـــان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حين ينعى على المسلمين ما تورطـوا فيه من شرك ، فيسوق اليهم من وقائع حياتهم اليومية ما يبين ويقنع ويلـزم الحجة كل ذى عقل سليم وفكر صحيح ٠

ثم نرى الكواكبى ينطق « المحدث اليمنى » فى الاجتماع الخامس بمـا يريد أن يوجه اليه قراءة فى شأن بدعة « التقليد » التقليد الفقهى ، بعـد أن افاض فى شأن بدع التصوفة فى العبادة التى تجر الى الشرك والكفر ٠ انـه يقول : « العلماء عندنا **لا يجسرون على ان يفتوا فى مسالة مطلقا مالم يذكروا معها دليلا من الكتاب او السنة او الاجماع ، حتى ولو كان المستفتى اعجميا اميا لا يفهم ما الدليل ، وطريقتهم هذه هى طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والائمة المجتهدين والفقهاء الاولين من اهل القرون الاربعـة اجمعين ٠٠٠٠** فهذا الامام مالك (١) رضى الله عنه يقول : ما من احد الا وهو ماخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠٠ وحكى فى (اليواقيت والجواهر) ان ابا حنيفة (٢) رضى الله عنه كان يقـول : (لا ينبغى لمن لا يعرف دليلى أن ياخذ بكلامى) ٠٠٠٠ وروى الحاكم البيهقى أن الشافعى (٣) رضى الله عنه كان يقول : (اذا صح الحديث فهـو مذهبى) ، وفى رواية : (اذا رايتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضـربوا بكلامى عرض الحائط ، وانه قال يوما للمزنى (٤) : (يا ابراهيم لا تقلدنى فيما اقول وانظـر

---

(١) هو الامام ابو عبد الله مالك بن انس الأصبحى توفى سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م اضطلع بالتدريس فى المسجد النبوى فى (المدينة المنورة) وله (الموطأ) المعروف ٠

(٢) هو الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت توفى سـنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م اضطلع بالتدريس فى الكوفة ٠

(٣) هو الامام محمد بن ادريس الشافعى توفى سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م ولـد فى غزة ونشا فى مكة وتلقى من مالك وزار بغداد ثم قصد مصر وتوفى فيهـا وله « الرسالة » و « الأم » ٠

(٤) هو اسماعيل بن يحيى المزنى تلميذ الشافعى توفى بمصر سـنة ٢٦٤هـ / ٨٧٨م ٠

فى ذلك لنفسك فانه دين ، وكان يقول : (لا حجة فى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ويروى عن احمد بن حنبل (١) رضى الله عنه انه راى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال : (تكتب رأيا لعلى ارجع عنه) ! وكان يقول : (ليس لأحد مع الله ورسوله كلام) ! وقال لرجل : (لا تقلدنى ، ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعى(٢)ولا ابا حنيفة ولا غيرهم،وخذ الاحكام من حيث اخذوا من الكتاب والسنة) ، واسس مذهبه على ترك التاويل والترفيع بالراى واتباع الغير ... ونقل الثقات أن سفيان الثورى (٣) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فاغرقها جميعا . وروى عن ابى يوسف وزفر (٤) رحمها الله تعالى أنهما كانا يقولان : لا يحل لأحد أن يفتى بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا .... نعم لم يبق فى الامكان أن ياتى الزمان بامثال ابن عمر وابن عباس او النخعى وداود وسفيان ومالك وزبير (٥) وجعفر (٦) اما النعمان والشافعى او احمد والبخارى رضى الله عنهم اجمعين ، ولكن متى كلف الله عباده بدين لا يفقهه الا امثال هؤلاء النوابغ العظام ؟ اليس اساس ديننا القرآن وقد قال الله تعالى عنه فيه (انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون) ، وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرانا عربيا) ، وقال تعالى (ولقد

---

(١) هو الامام أحمد بن حنبل المحدث الفقيه توفى سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م وهو صاحب « المسند » المشهور فى الحديث ، ولد وتوفى فى بغداد .

(٢) هو الامام عبد الرحمن الأوزاعى المتوفى سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م ولد فى بعلبك ، وهو اقرب الى اهل الحديث كما يدل المنقول عنه .

(٣) هو الامام عبد الله سفيان الثورى المحدث المجتهد الزاهد ولد بالكوفة وتوفى فى البصرة سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م .

(٤) من أتباع ابى حنيفة وان خالفاه فى بعض المسائل ، وابو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم ولد بالكوفة وتوفى فى بغداد سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، وزفر ابن الهزيل توفى سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م .

(٥) هو ابراهيم بن زبير النخعى من فقهاء الكوفة واشهر تلاميذه حماد ابن ابى سليمان شيخ ابى حنيفة .

(٦) هو الامام زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المتوفى سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م واليه ينسب المذهب الزيدى المعروف .

(٧) هو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب توفى سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م .

انزلنا اليك آيات بينات) ، وقال تعالى (افلا يتدبرون القـــرآن) ، فما معنى دعوى العجز والتمثل حين قالوا (قلوبنا غلف) حمانا الله تعالى ... الائمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهـاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير ... وما أحد منهم دعانا الى الاقتداء بـه مطلقا » (١) .

* * *

فاذا ما انتقلنا الى جيل من المفكرين المسلمين أحدث عهـدا واقرب الى زمننا ، وجدنا احمد امين الكاتب المصرى الذى تخرج من مدرسة القضـــاء الشرعى واضطلع بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وارتقى عمادتهـا وتوفى سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م بعد ان أخرج موسوعة معروفة فى تاريخ الفكر الاسلامى هى « فجر الاسلام » « وضحاه » « وظهره » .. وقد الف كتـابا عن زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ... وضع فى صدر كتابه فصلا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو يهش لدعوته ويقول فى اولى صـفحات هـــذا الفصل : « ... **واهم مسالة شغلت ذهنه ـ ذهن الشيخ ـ فى درسه ورحلاته هى مسالة التوحيد التى هى عماد الاسلام ، والتى تبلورت فى (لا اله الا الله) والتى تميز الاسلام بها عما عداه ... ومن اجل هذا سمى هو واتباعه انفسهم (بالموحدين) ، اما اسم (الوهابية) فهذا اسم اطلقه عليه خصومهم واستعمله الاوربيون ثم جرى على الالسن** ، وقد رأى اثناء اقامته فى الحجاز ورحلاتـه ان هذا التوحيد الذى هو مزية الاسلام الكبرى قد ضاع ودخـــــله كثير من الفساد . فالتوحيد اساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا العـــــالم والمسيطر عليه وواضع قوانينه التى يسير عليها والمشرع له ، وليس فى الخلق من يشاركه فى خلقه ولا فى حكمه ولا من يعينه على تصريف امور لأنه تعالى ليس فى حاجة الى عون أحد مهما كان من المقربين اليه ، هو الذى بيده الحكم وحده وهو الذى بيده النفع والضر وحده لا شريك له ، فمعنى لا اله الا الله : ليس فى الوجود ذو سلطة حقيقية تسير العالم وفقا لما وضـــع من قوانين الا-

---

(١) هو الامام الحافظ محمد بن اسماعيل البخارى وتوفى فى حرتنك من اعمال سمرقند سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م .

هو ، وليس في الوجود من يستحق العبادة والتعظيم الا هو ، وهذا هو محور القرآن ٠٠٠٠ اذن فما بال العالم الاسلامي يعدل عن هذا التوحيـــد المطلق الخالص من كل شائبة الى أن يشرك مع الله كثيرا من خلقه ، فهؤلاء الأولياء يحج اليهم وتقدم لهم النذور ويعتقد انهم قادرون على النفع والضر ، وهـــذه الأضرحة لا عداد لها تقام في جميع اقطاره يشد الناس اليها رحالهم ويتمسحون بها ويتذللون لها ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم ٠٠٠ » ، وحين يذكر الكاتب ما كان من أمر « النخلة » في منفوحة باليمامة التي كان يعتقـــد الناس في قدرتها على تزويج العوانس ، و « الغار » في الدرعية التي يحـــج الناس اليها للتبرك ، يذكر أمثال ذلك في مصر من « شـــجرة الحنفي » التي يتبرك بها ، الى « نعل الكلشني » وهي نعل قديمة في تكية الكلشني يتـــداوى الناس من العشق بالماء يضعونه فيها ويشربونه ، و « بوابة المتـــولي » التي تعلق بها الشعور والخيوط لينال الخير من علقها ٠٠٠٠ وهكذا ، فان الشجا يبعث الشجا ، والهم يثير الهم ٠ يقول الكاتب « انها تصد النـــاس عن الله الواحد وتشرك معه غيره وتسيء الى النفوس وتجعلها وضيعة ممزقة ٠٠٠٠ وأساس آخر يتصل بهذا التوحيد كان يفكر فيه محمد بن عبد الوهاب وهو أن الله وحده هو مشرع العقائد وهو وحده الذي يحلل ويحرم فليس كلام أحـــد حجة في الدين الا كلام الله وسيد المرسلين ٠٠٠٠ وهكذا اشغلت ذهنه فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك ، وفكرة التوحيد في التشريع فـــلا مصدر الا الكتاب والسنة ، هذا هو أساس دعوة محمد بن عبد الوهاب ٠٠٠ » ثم يقول بالنسبة لما جاء على هذا الأساس « فكانت دعوة محمد بن عبدالوهاب حربا على كل ما ابتدع بعد الاسلام الأول من عادات وتقاليد ، فلا اجتمـــاع لقراءة مولد ، ولا احتفاء بزيارة قبور ، ولا خروج للنساء وراء الجنازة ، ولا اقامة اذكار يغنى فيها ويرقص ، ولا محمل يتبرك به ويتمسح ٠٠٠٠ كل هذا مخالف للاسلام الصحيح يجب أن يزال ٠٠٠٠ والكتب المملوءة بالتوســـلات ضارة بالعقائد كدلائل الخيرات وما في البردة ٠٠٠٠ لقد كان محمد بن عبـد الوهاب ومن نحا نحوه يرون أن ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسيهم ليس له من سبب الا العقيدة ٠٠٠ وكانت لا اله الا الله معناها الســـمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء ، وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١ ــ ٢٢٥ ٠

ومن استنكار المنكر والأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب ٠٠٠٠ ثم لم يتقين شيء الا العقيدة فتدنوا من سمو التوحيد الى حضيض الشرك ، فتعـــددت الهتهم من حجر وشجر واعواد خشب وقبور وأولياء ، وركنـــوا الى ذلك فى حياتهم العامة فالزرع ينجح لرضا ولى ويخيب لغضبه ، والبقرة تحيا اذا نذرت للسيد البدوى أو مثله وتموت اذا لم تنذر ، وهكذا فى الأمراض والعلل والغنى والفقر ! ٠٠٠ ولا يصلح آخر الاسلام الا بما صلح به أوله » ٠ ويذكر احمـد امين أن دعوة الشيخ حيثما سادت « قلت السرقة والفجور وشرب الخمـــور وأمن الطريق وما الى ذلك » ، كما يرى « ان الدعاية التى احكمت ضـدها ، وتعلق الناس بالدولة العثمانية ٠٠٠ » هما ولذان اثرا على راى عامة الناس فيها « ولو لم يفهموا جوهر الدعوة » ، ومن دوافع الناس الى الحكم الخاطىء على تلك الدعوة فى راى الكاتب أنها « حيث استولت على بلد نفذت تعاليمهـا بالقوة ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها ٠٠٠ » ونسى أن ثمة أمورا ترسخت بالعامة ومرور الزمن لا يقلع الناس عنها فى يسر ولا يقتنع غالبيتهم بالحجة والموعظة بل لا بد من عمل حاسم سريع مهما كان مصادما لما توارثه النـاس والفوه ، بل ان فى هذه الصدمة وحدها قد يكون الشفاء بالنســـبة لعـــامة الناس ٠ ولكن احمد امين ان كان له ذلك الراى بالنسبة « لسياسة » الدعـوة فان رايه فى موضوعها ان **الوهابيين (مع انه اعتبر هذه التسمية مرجعهـــا خصومهم) لم يعباوا الا بازالة البدع والرجوع بالدين الى اصله** » ٠ كذلـك أرتاى احمد امين « أن محمد بن عبد الوهاب لم ينظر الى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه فى اصلاحه الى الحياة المادية كما فعل معاصـــره محمد على » ، ويغفل الكاتب عن أن القياس مع الفارق وأن لكل مقام مقالا ، وأن الحاجات المادية لمجتمع ابن عبد الوهاب فى زمنه كانت محدودة ، وعـدد سكان شبه الجزيرة كان محدودا ، وأن ترتيب أولويات الاصلاح يختلف حسب ظروف الواقع من جهة ، كما أن اصلاح العقيدة هو الأساس المتين لكل اصلاح آخر من جهة اخرى ، كذلك فان تتابع الأحداث على الدولة الســـعودية الأولى وحشد الدولة العثمانية القوى لحربها لم يمكنها من الاستقرار ومعالجـــــة الاصلاح المادى فى مختلف جوانبه ، وحسبها عنايتها بتأمين الطرق ورفـــع المغارم والمظالم وتحقيق سعة الأقوات ورخص الأسعار كما شهد الجـــبرتى وغيره ، على أن احمد امين يحاول قدر طاقته الا يكون متجنيا على الشيخ فهو يعقب على مقارنته بين الشيخ ومحمد على « فعنده أن العقيدة والروح همـــا

الأساس وهما القلب ان صلحا صلح كل شيء وان فسدا فسـد كل شيء ، وطبيعي أن يكون هذا هو الفرق بين رئيس الدين في نجد ورئيس الحكم في مصر » ... وهو بطبيعة الحال لم يتصد لتقويم الاصلاح المادي لمحمد علي في مصر كما تصدى لتقويم الاصلاح الديني لمحمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة ، فهو لم يؤرخ في كتابه لمحمد علي ، ولعله شاء أن يجنب نفسه مزالق الفكر مع حكام مصر وقتذاك . ويذكر أحمد أمين أخيرا عن الحكومة السعودية المعاصرة انها « اختطت لنفسها طريقا وسطا وشاقا بين القوتين (قوة رجال الدين في نجد ، وقوة التيار المدني ـ على حد تعبير أحمد أمين) ... وبدأت تنشر التعليم المدني بجانب التعليم الديني وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث » (١) .

ولا يذكر أحمد أمين هنا أن « التيار المدني » الذي يعنيه ليس تيارا بعيدا عن الدين متنكرا له ، وان الافادة من منجزات الحضارة هو من الحكمة التي انى وجدها المؤمن فهو أحق الناس بها ـ كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحق انه أخطأ في تسميته هذا التيار « بالمدني » وكان المدنية في جانب والدين في جانب ، ونفس الملاحظة تقوم بالنسبة لما ذكره أحمد أمين عن « التعليم المدني » ، فتراث المفكرين والعلماء المسلمين حافل بمنجزاتهم ومؤلفاتهم في الرياضيات وبخاصة الجبر والهندسة وحساب المثلثات وفي الفلك وفي الفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان وفي الطب والجراحة والصيدلة ، وما الى ذلك . كذلك فان المسلمين ما فتئوا حريصين على تنظيم ادارتهم الحكومية منذ الدولة الاسلامية الأولى ، ولطالما أخذوا انفسهم بالتماس أسباب القوة لادارتهم وجيشهم باقتباس ما لا يتعارض مع دينهم عند غيرهم ، وليس استخدام « المنجنيق » و « الدبابة » و « الضبور » و « الكبش » و « النفط » في ميدان الحرب ، وتنظيم « الديوان » و « الخراج » في مجال الادارة الى عناوين ومؤشرات على طريق طويل سلكه المسلمون السابقون لاقامة صرح شامخ للحضارة الأصيلة المتكاملة الزاهدة .

* * *

(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص ١٠ ـ ٢١ .

والكاتب المصرى الآخر الذى عاصر أحمد أمين وعرف بكتـــاباته عن « عبقريات » أعلام الاسلام وبغيرها من دراساته الاسلامية فضلا عن شـــعره وهو : عباس محمود العقاد المتوفى سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م يبدو متعاطفا مـع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بل انه ممن يرى أن مصادماتها ومصادمة أعدائها لها كان مما أعان على انتشار خبرها بين الناس ، يقول فى كتـــابه « الاسلام فى القرن العشرين » : « النهضة فى مصر بدأت عند أوائل القـــرن التاسع عشر (الميلادى) ، ولكنها بدأت فى الجزيرة العربية قبل ذلك بنحـــو ستين سنة بالدعوة الوهابية التى تنسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبدأت نحو هذا الوقت فى اليمن بدعوة الامام الشوكانى صاحب كتاب (نيل الأوطار) وكلاهما ينادى بالاصلاح على نهج واحد وهو العود الى السنن القديم ورفض البدع والمستحدثات فى غير هوادة · **وانما تسامع الناس بحركة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وظلت الدعوة الشوكانية مقصورة على قراءة الفقه والحديث أن الوهابيين اصطدموا بجنود الدولة العثمانية ··· ولم تذهب صـيحة ابن عبد الوهاب عبثا فى الجزيرة العربية ولا فى أرجاء العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه ، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار المجار وسرت تعاليمـــه الى الهند والعراق والسودان وغيرهما من الأقطار النائية** ، وأعجب المسلمين أن سمعوا أن علة الهزائم التى تعاقبت عليهم انما هى فى ترك الدين لا فى الـدين نفسه ، وأنهم خلقاء أن يستجدوا ما فاتهم من القوة والمنعة باجتناب البـــدع والعودة الى دين السلف الصالح فى جوهره ولبابه » (١) ·

وقد ينم كلام العقاد عن أن نجاح الدعوة السلفية هو فى استهوائهـــا الناس بما أعجبهم وأرضاهم عن دينهم وسهل امامهم سبيل العودة الى مجدهم بالعودة الى دينهم وتجنب البدع والمحدثات ، لكن العقاد قد أكد صراحـة فى كتبه المتعددة أن عقيدة التوحيد الخالص لله هى أساس الاسلام ، وأن هـــذا التوحيد هو الذى يكفل للمسلمين نقاء الفكر وقوة النفس · كذلك فان العقاد قد ذكر فى معرض كلامه أن « الوهابيين اصطدموا بجنود الدولة العثمانية فى ابان حربها مع الدول الأوربية التى اتفقت على تقسيمها ··· » ، فهـــل أراد العقاد أن يحمل أنصار الدعوة الســـلفية اثما فى حرب العثمانيين اثنـــاء

---

(١) العقاد : الاسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله ـ القاهرة ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ ·

مواجهتهم أعداء المسلمين من المستعمرين الأوربيين ؟ وهل خفى على مثل العقاد فى سعة قراءاته واطلاعاته حقائق التاريخ فى أن الدولة العثمانية هى التى أرادت أن تبادر الى استخدام القوة مع أنصار هذه « الدعوة » مخافة ما قد يتعرض له حكمها فى شبه الجزيرة وما جاورها من بلدان كانت تحت نفوذها ؟؟

* * *

على أن الكاتب الباحث السعودى أحمد عبد الغفور عطار يشهد لكاتب ومفكر مصرى آخر بأثره الكبير على قرائه عندما أبدى اقتناعه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب · يقول « كنت طالبا فى المعهد العلمى السعودى بمكة حرسها الله وكانت مؤلفات شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وفقه الحنابلة من علومنا التى تدرس ، ولم يكن بيننا وبين الوهابية تعاطف ··· ولم نكن نقتنع بما يقوله (أساتذتنا) فى تبرئتها · وكانت مجلات مصر تهاجم الوهابية وتتجنى عليها ، وإذا مقال لطه حسين ينشر فى مجلة (الهلال) عدد مارس سنة ١٩٢٣م / ذى الحجة ١٣٥١هـ بعنوان (الحياة الأدبية فى جزيرة العرب) يحدث تحولا خطيرا فى أفكار الشباب العربى بالنسبة للوهابية والشيخ محمد ابن عبد الوهاب ···· وكنا قرأنا ما كتبه محمد كرد على وغيره فلم نتأثر نحن الذين اطلعنا على ما كتبوا الا يسيرا ··· وهؤلاء الكتاب لم يكونوا متمتعين بمكانة طه ···· ولم يكن طه على وفاق مع الأزهر والأزهريين المتعصبين ولم يقبل آراءهم فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بل درس مؤلفاته ورسائله وما أحدثت دعوته من أثر قوى مشهود فى العقلية العربية والاسلامية دراسة حرة مجردة عن الهوى فاستبان له الحق فكتب عن الوهابية كتابة عادلة منصفة · وما أشك أن طه حسين أثر فى شباب العرب الذين يعشقون الأدب والعلم ، وفى المتأدبين والمثقفين ثقافة عصرية ، دون غيره أو أكثر من غيره ممن كتبوا فى الوهابية وانصفوها انصافة ··· » وينقل أحمد عبد الغفور عطار من مقال طه حسين فقرات منها « ان الباحث عن الحياة العقلية الأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها اثناء القرن الثامن عشر (الميلادى) فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها ، واحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها

بعض الشيء لكنه عاد فاشتد في هذه الايام ، واخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالامم الاوربية ايضا ، هذه الحركة هي حركة الوهابيين التي احدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد ، ويحمل طه حسين سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معالمها البارزة حتى كان تحالفه مع امير الدرعية محمد بن سعود « وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم امرها واشتد خطرها » . ثم يقول طه حسين في شان الدعوة الى عقيدة السلف « قلت : ان هذا المذهب الجديد قديم ، والواقع انه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الامر لانه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس ... فقد انكر محمد بن عبد الوهاب على اهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة والسيرة ، كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الاشجار والاحجار ويرون ان لها من القوة ما ينفع ويضر ، وكانوا قد عادوا في سيرتهم الى حياة العرب الجاهلين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة واصبح الدين اسما لا مسمى له ... ومن الغريب ان ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد احاطت به ظروف تذكر بظهور الاسلام في الحجاز ، فقد دعا صاحبه اليه باللين اول الامر فتبعه بعض الناس ، ثم اظهر دعوته فاصابه الاضطراب وتعرض للخطر ، ثم اخذ يعرض نفسه على الامراء ورؤساء العشائر ، ثم هاجر الى الدرعية وبايعها اهلها على النصر . ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتغل بامور الدنيا فترك السياسة (١) لابن سعود واشتغل هو بالعلم والدين واتخذ السياسة واصحابها اداة لدعوته ... فمن اجاب منهم قبل منه ومن امتنع عليه اغرى به السيف وشب عليه الحرب وقد انقاد اهل نجد لهذا المذهب واخلصوا له وضحوا بحياتهم في سبيله ... ولولا ان الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى واسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو جدا ان يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الاول . ولكن الذي يفيدنا من هذا المذهب اثره في الحياة العقلية والادبية عند العرب وقد كان هذا الاثر عظيما خطيرا من نواح مختلفة فهو ايقظ النفس

---

(١) الاولى ان يقال : « ترك مناصب الحكم » .

العربية ووضع امامها مثلا اعلى احبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم والسنان • وهو قد لفت المسلمين جميعا واهل العراق والشام ومصر بنوع خاص الى جزيرة العرب » (١) •

وطه حسين فى ذلك الوقت من حياته الذى كتب فيه المقال ، يبدو كأنه قد اعجب بما يعجب كل مستنير وكل مثقف (معاصر) من الدعوة الى التوحيد الخالص الرفض البدع والتقليد والحرب على المتصوفة والقبوريين ، كما يبدو وكأنه قد تبين اثر التوحيد على فكر العرب وعلى امة الاسلام من الوجهة الموضوعية وعلى نهج علمى ، كما لا يستغرب ما اشار اليه الأستاذ عطار من ان مهاجمة الأزهريين لدعوة محمد بن عبد الوهاب قد قربته الى ذهن طه حسين الذى هاجمه الأزهريون ايضا، وكره فيهم التقليد والتعصب لما ألفوه حقا كان ام باطلا ••• ذلك ان طه حسين الذى درس فى الأزهر وواجه فى دراسته هناك مصاعب جمه ، ابرزها كتابه « الأيام » وهو سيرة حياته ، ثم واصل دراسته فى الجامعة المصرية القديمة ثم استكملها فى جامعة السربون بفرنسا حيث حصل على درجة الدكتوراه ، كان قد تعقد من الأزهر ومن الحياة الفكرية السائدة بمصر بتأثير الأزهر ، ولعل هذا التعقيد قد أصاب عقيدته ، أو لعل نزعته فى التجديد ومخالفة المألوف ومصادمة الأزهريين قد ادت الى انفلاته ومجاوزته للحدود فى كلامه عن القرآن ، كما اثر فيه كل التأثير تعلمه بفرنسا وتزوجه من فرنسية كما اظهرت ذلك بجلاء مذكراته زوجته التى نشرت بالفرنسية بعد وفاته ، وقد اضطلع بالتدريس فى كلية الآداب وواجه ثورة الرأى العام عليه حين اخرج كتابه عن « الشعر الجاهلى » الذى بادر كثيرون بالرد عليه (٢) ، فاخرج من كلية الآداب التى وصل الى عمادتها ، على أن طه حسين

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : محمد بن عبد الوهاب ــ ط ٣ ــ بيروت سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ١٩٦ ــ ٢٠٠

(٢) انظر مثلا نقض كتاب الشعر الجاهلى لمحمد الخضر حسين وهو عالم تونسى عاش بمصر ثم تولى مشيخة الأزهر بعد نهاية الحكم الملكى سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ، وانظر من دراسات المحدثين رسالة الدكتوراه لناصر الدين الأسد وعنوانها « مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية » وقد كان سفير المملكة الأردنية بالمملكة العربية السعودية كما تولى رئاسة الجامعة الأردنية فى عمان •

اخرج دراسات اسلامية عن سيرة الرسول صلى الله عليـــه وســـلم وعصر الراشدين ، هى « على هامش السيرة » و « الشيخان » ـ اى ابو بكر وعمر ، ثم « الفتنة الكبرى » وقد عرض الجزء الأول من هذا الكتاب الأخير لعهد عثمان رضى الله عنه ، أما عنوان جزئه الثانى فهو « على ونبوه » · وقد بدا فى آخر حياته معنيا بسلامة اللسان العربى وهو الذى كان فى صدر حياته مفتـــوحا بالتجديد ، كما روى انه كان يستمع وقتا طويلا من يومه للقرآن الكريم ، والله اعلم بنيته وما كان عليه حين لقى ربه · ولعله ان يكون قد تاب فى آخر عمره ، وهو الآن بين يدى ربه الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ·

* * *

وقد كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اثرها فى نشر نهج السلف ونبذ التقليد فى تعليم الدين فى المعاهد ولا سيما المعاهد المتخصصة فى تعليم الدين ، ويتجلى هذا الأثر فى جانبى العقيدة والشريعة ، واذا كنا قد الفينـــا « رسالة التوحيد » التى جمعت دروس الشيخ محمد عبده فى العقيدة بالمدرسة السلطانية فى بيروت لم نستطع ان نتخلص من اسر نهج المتكلمين واســـلوبهم تماما ، فانه قد كان اكثر التزاما بنهج السلف واكثر اصرارا على نبذ التقلي فى جانب الأحكام الشرعية ، وقد ابدى الشيخ محمد عبده اعجابه بالشوكاني الذى تاثر بالدعوة السلفية وعمل على نشرها بكتاباته فى اليمن موطنـــه وفى غيرها حيثما وصلت كتبه ، واذا كانت ظروف مصر واشتداد عصبية التقليـد المذهبى بالأزهر قد حالت زمنا دون تقبل نزعة الشيخ محمد عبده الاصلاحية ، فان انشاء مدرسة القضاء الشرعى فى مصر على يد سعد زغلول ـ وهو احـد المتاثرين بالشيخ محمد عبده ، قد اعان على ان يجد النهج السلفى فى الفقـــه طريقه الى العقول والقلوب ، بحيث يرتبط المتفقهون بالكتاب والسنة بصـــورة اساسية ويلتمسون الحكم الشرعى بدليله حيثما وجد · وكان من نتيجة هـذا الاتجاه الفكرى من جهة والحاجات العملية للمجتمع المصرى المسلم من جهـة اخرى ، ان اخذت آراء ابن تيمية الفقهية طريقها الى التشريع فى مجال الأحكام الشخصية ، بعد ان دأب الأزهر قرونا على النفور من ابن تيمية والتنفير منه ، وتفرز النهج السلفى فى تعليم الفقه فى كلية الحقوق بجـامعة القـــاهرة التى اضطلع بتدريس الشريعة فيها فى صدر حياتها خريجو مدرسة القضاء الشرعى

وقد وجدت الدعوة السلفية طريقها الى بلاد المغرب ومراكزه العريقة للتعليم الديني · وكان محمد بن على السنوسى الكبير (١٢٠٢ ــ ١٢٧٦ هـ) (١٧٨٧ ــ ١٨٥٩ م) الذى ولد بمستغانم بالجزائر قد رحل الى الحجاز واقام بها سنوات يطلب العلم واستهل دعوته بها ، ولم ينقطع التأثير الفكرى لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الرغم من الظروف السياسية التى مرت بالدولة السعودية وقتذاك ، وقد انتقد فى كتابه « ايقاظ الوسنان » : « انحصار التقليد فى الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، لأنه لا واجب الا ما اوجبه الله ورسوله ··· وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ، ولم يقل بها احد من ائمة الاسلام » ، وقد تتابع على تأييد الدعوة السلفية فى المغرب علماء مغاربة امثال محمد بن العربى العلوى وابو شعيب الدكالى وعلال الفاسى ، واعان تاثير الشيخ محمد عبده فى المغرب على تعزيز الدعوة السلفية هناك ، ووقوف علماء جامعة القرويين ضد بدع الطرقيين · يقول مؤرخ فرنسى معاصر : « كان علماء القرويين اصحاب القوامة الشرعية على الحياة الدينية والد خصوم اهل الطرق الصوفية ··· لا يعارضون فقط تبجحهم وادوارهم السياسية ، وانما انهيار المعايير الخلقية بينهم مما كان وصمة فى جبين الاسلام » · كما عرفت جامعة القرويين دراسة « الخلاف العالى » بين المذاهب او ما يمكن ان يسمى « بالفقه المقارن » اصولا وفروعا ، ولم تحصر دراستها فى فقه الامام مالك السائد بالمغرب (١) ·

وفى الهند تلمح روح الدعوة السلفية فى فكر ولى الله شاه بن عبدالرحيم الدهلوى (١١١٥ ــ ١١٧٧ / ١٧٠٣ ــ ١٧٦٢ م) صاحب كتاب « حجة الله البالغة » وكتابى « الانصاف فى بيان اسباب الاختلاف » ، « عقد الجيد فى احكام الاجتهاد والتقليد » ، وان كان للشيخ نزعاته وآراؤه الخاصة التى لا تتوافق مع الفكر السلفى وتبرز مكانة النهج السلفى فى « دار العلوم » بديوبند فى الهند وبين المنتسبين الى ندوة علمائها · كما قامت معاهد وجامعات سلفية احدث عهدا ، منها الجامعة السلفية فى بنارس وغيرها ·

---

(١) روم لاندو : ازمة المغرب الأقصى ، ترجمة اسماعيل على وحسين الحوت ومراجعة عبد العزيز الأهوانى ص ١٢٨ ــ ١٣٦ ، وانظر ايضا مصطفى المهماه : المراة المغربية والتصوف ص ٢٧ ــ ٢٩ ·

كذلك كان للدعوة السلفية أثرها فى كتابات مؤرخى دعوات الاصلاح الاسلامى المعاصرين من المسلمين على اختلاف بلدانهم ، وقد تقدم ذكر احمد امين الكاتب المصرى صاحب كتاب «زعماء الاصلاح فى العصر الحديث» الذى تصدره فصل عن « محمد بن عبد الوهاب » ، وقد كان هذا الكتاب مقررا للمطالعة الثقافية بالمدارس الثانوية المصرية طوال عدة سنوات · وفى تونس ، تقرر لطلاب الثانوية العامة (البكالوريا) فى التربية الاسلامية كتاب « الاجتهاد والتجديد فى الاسلام » ، وقد تعاون على تاليف الكتاب عدد من المؤلفين هم مصطفى كمال التارزى ومحمد بن ابراهيم والبشير العربى ومحمد المختار السلامى وعبد الرزاق المملوك ومحمد العلويتى وحسن المجيدى ومحمد على الخليفى · وكان مما استهدفه الكتاب فى تخطيط منهجه كما ضمنته مقدمته « الوصول الى أن حركة الاجتهاد قد امتدت وصاحبت تاريخ العلماء المسلمين على ما بين الفترات من قوة وضعف ··· ومن بين النماذج التى اخترناها : ابن تيمية وابن قيم الجوزية فى القرن السابع الهجرى ، ومحمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا من رجال حركة التجديد فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر » · وقد تضمن الفصل المعقود للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى هذا الكتاب أن « الاسلام لخص العقيدة السليمة ومبدأ التدين القويم فى كلمة : لا اله الا الله ، وهى تعنى : ليس فى الوجود كله من يستحق العبادة والتعظيم غير الله تعالى ، وليس فى هذا الكون كله قوة حقيقية قادرة على تدبير هذه الموجودات وتسيير هذه العوالم الظاهرة منها والخفية الا قوة الله ·· فهو الذى ينفع ويضر وهو الذى يفقر ويغنى وهو الذى يحيى ويميت ··· وان العقائد المزيفة نزعت من المسلمين فكرة التوحيد للخالق وذلك من شانه أن يسلب من القلوب الامن والاطمئنان ، واساءت كثيرا الى نفوس المسلمين فجعلتهم بعيدين عن العزة التى دعاهم الاسلام اليها · وان الله تعالى هو المقرر للعقائد المشرع للاحكام فليس لأحد أن يحتج فى أى جانب من جوانب الدين بما يحدثه من بدع ، ولا شىء يخرج المسلمين مما هم فيه من الانحلال وضعف العقيدة الا الرجوع بهم الى الدين فى أصوله الصافية ··· » ويذكر الكتاب عن اثر الدعوة الوهابية انها « بعد مبعث اليقظة الاسلامية فى الحجاز (الأصح فى شبه الجزيرة العربية) عند ملتقى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وهى وان ظلت مقصورة فى اول انبعاثها على حلفائها واتباعها

من سكان شبه الجزيرة العربية حتى توطد بها الأمر للأسرة السعودية ، فقد توسعت فيما بعد وأخذت تنتشر شيئا فشيئا وأعانها على هذا التوسع موسم الحج ٠ فقد كان كثير من رجال الدين (؟) يفدون على مكة ويتصلون بالوهابيين فينقلون عنهم أصول دعوتهم الاصلاحية وأهدافها ثم يرجعون الى أوطانهم متأثرين ببعض تلك المبادىء محاولين تطبيقها ٠٠٠ » (١) ٠

وكتب **ابو الحسن على الحسنى الندوى** عالم الهند المعروف كتابه **« رجال الفكر والدعوة فى الاسلام »** وقد قرر فى مقدمته أن « من الحقائق التاريخية ان تاريخ الاصلاح والتجديد متصل فى الاسلام ، والمتقصى لهذا التاريخ لا يرى ثغرة ولا ثلمة فى جهود الاصلاح والتجديد ، ولا فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد الشامل ويرفع صوت الحق ، ويتحدى القوى الظالمة او عناصر الفساد ويفتح نوافذ جديدة فى التفكير » (٢) ويقول المؤلف فى الجزء الثانى من الكتاب الخاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن تيمية : « ومن مآثر ابن تيمية التجديدية المستقلة انه قام ببعث الفكر الاسلامى ٠٠٠ ومما لا يخفى ان الاسلام يمتاز بالنسبة الى النظم الفكرية الأخرى بانه يقوم على أساس الوحى والنبوة المحمدية ، وان عقائده وحقائقه لا تبتنى على القياس والتجارب والظن والتخمين والذكاء الانسانى والبحث والجدال ، بل تبتنى على تعليم الله تعالى وتبليغ رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذى قاله صلى الله عليه وسلم وشرحه حول ذات الله تعالى وصفاته وافعاله ، وعن بدء العالم ومنتهاه ومبدئه ومصيره وعن المعاد والآخرة وخواص الأعمال ونتائجها ، وعن الأمور مما وراء الطبيعة التى لها علاقة بالدين انما هى العقائد والحقائق ولا سبيل الى معرفتها والايمان بها فى الحقيقة سوى الوحى والنبوة ٠٠٠ ومن مآثر ابن تيمية التجديدية انه عندما دعا الناس بقوة الى اعتبار الكتاب والسنة مصدرا للعقائد وعمل بها نفسه فى غاية من الاهتمام ، كذلك دعاهم بقوة بالغة الى اتخاذ الكتاب والسنة مصدرا للأحكام ومقياسا للحق ، وقدم نموذجا عاليا للعمل بهذه الدعوة ٠٠٠ وان دعوة ابن

---

(١) التارزى وزملاؤه : الاجتهاد والتجديد ص ٥ ، ٣٢٢ ــ ٣٢٥ ٠

(٢) ابو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ــ ط ٢ ــ دار القلم بالكويت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ــ ص ٢٦ ٠

تيمية هذه اثارت روحا ونشاطا من جديد فى اوساط الامة الفقهية والعلمية التى كانت قد توقفت منذ مدة بعيدة عن دراسة الأحكام والمسائل والتفكير فيها ومقابلتها مع الكتاب والسنة ... وهكذا فانه قام ببعث الفكر الاسلامى الصحيح الذى وجد فى القرون الأولى وقامت عليه حياة المسلمين » (١) وفى ظنى ان من اجل مزايا الشيخ محمد بن عبد الوهاب انها بنشاطها العملى وطاقتها الحركية قد اشاعت بين المسلمين فى العصر الحديث وقربت الى اذهانهم فقه ابن تيمية فى اقتدارت وتمكنه وقوة حجته ، وكان مهدر الاعتبار لغلبة التقليد او مهملا منسيا على الرغم مما حبا الله به صاحبه فى فقه الاسلام من سعة علم واصابة حكم .

كذلك كتب ابو الاعلى المودودى مؤسس الجماعة الاسلامية فى الباكستان واميرها الأول « موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه » ، ذكر فيه ان الذين بلغهم تعليم الانبياء وامنوا بالوهية الواحد القهار « بحيث تجد سبيلها الى عقائدهم من طريق او اخر الوهية الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والمجاذيب والأقطاب والأبدال والعلماء والمشايخ والملوك الملقبين بظل الله فى الأرض ... واتخذت العقول الجاهلية عباد الله الصالحين الذين صرفوا اعمارهم فى ابطال الوهية العباد واقرار الوهية الله تعالى وحده الهة لها عوضا عن الهة المشركين! فمن جانب ابتدعوا مكان شعائر المشركين وتقاليدهم شريعة جديدة من اعمال الفاتحة وزيارات القبور وتقديم النذور والصدقات والاحتفال بذكريات الموتى ووضع الصندل والتحف على الأضرحة ورفع الرايات والاعلام على التوابيت ، ومن جانب اخر انشاوا من غير بينة علم خرافات براسه من احوال موالد اولئك السلف الصالحين ووفياتهم وظهورهم وغيابهم وكمالاتهم وخوارق عاداتهم وتصرفاتهم وتقربهم الى الله تعالى ، يضارع من جميع الوجوه خرافات المشركين ويناظرهم . ومنهم من جعلوا كل ما يكون بين الله وعباده من المعاملات منوطا مرها باولئك السلف الصالحين بعد أن موهوها بطلاء ذهبى من

---

(١) ابو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام : الجزء الثانى خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ احمد بن تيمية ـ تعريب سعيد الأعظمى الندوى ـ دار القلم بالكويت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ٢٨٩ ، ٣١٠ ـ ٣١١ .

المصطلحات كالتوسل والاستمداد الروحى واكتساب البركة والنفع ، فاصبحت الحال عند هؤلاء فى واقع الأمر كما هى عند اهل الشرك الذين يعتقدون أن الملك الأعلى ابعد جدا من أن يصل اليه الانسان ، ولا تتصل جميع شئون حيـــاة الانسان الا بعماله التابعين له ! ولم يعد بينهما من فرق ســـوى أن اولئـــك يصرحون بتسمية اولئك العمال آلهة واوثانا او مظاهر للاله أو ابنـــاء لله ، وهؤلاء يخفون مكانهم من وراء حجب المصطلحات الأغواث والأقطاب والأبدال والأولياء واهل الله وما شاكلها من القاب » · ويقول المودودى رحمه الله عن ابن تيمية شيخ الاسلام : « جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادا قويا عنيفا ولاقى فى سبيل ذلك أعظم المصائب ولم يغادر شائبة كـدرت صفو المعين الاسلامى حتى أتى عليها بنقده المرير وخلص منها سبيل الاســلام المحصن وعرضها مجلوة امام أعين العالمين · وفى انتقاده وتنقيحه لم يجامل احدا او يحابه ، بل تناول باحتسابه الكبير والصغير ، ولم يفته فيه حتى الجلة الذين كان صيتهم فى الفضل والكمال والتقدس قد ملأ الآفاق ، وكانت تخضـع لهيبتهم الرؤوس · ثم توجه الى الطرق والأعمال التى كانت تعـــد من الأمور الدينية منذ قرون وكان الناس قد استخرجوا الادلة لجوازها بل لاستحبابهـــا والعلماء يداهنونهم فيها ، فوجدها ابن تيمية مضادة للاســـلام فشـــدد فى مخالفتها » · وقد نشرت الجماعة الاسلامية كتابا مفردا عن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب الفه مسعود الندوى (١) ·

وهكذا كان للدعوة السلفية التى اضطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اثارها الموصولة المتجددة على المفكرين المسلمين المحـدثين ، وعلى معاهد التعليم الدينى ، وعلى المؤلفات المعنية بالتاريخ لدعوات الاصـــــلاح الاسلامى ··· وعلى هذا النحو لم ينقطع ذكر الشيخ ودعوته وفضله قط بعـد وفاته ، وتضاعف اجره بما احيا من دين الله ومن تعاقب على الانتفاع بذلك من علماء الاسلام ومتعلميه ، لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ان شاء الله ·

---

(١) المودودى : « موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه » و « واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم » فى كتاب واحد ــ ط ٣ ــ دار الفـــكر بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ص ٢٣ ــ ٢٥ ، ٨٩ · وانظر مقدمة خليل الحامدى ص ٧

تاثير الدعوة السلفية على الحركات الاسلامية المعاصرة :

« نشرت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية كتابا كبيرا عنوانه : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة » وضع خطتها وقام بمراجعها رائد المدرسة التاريخية المصرية الحديثة الاستاذ محمد شفيق غربال رحمه الله ، وتعاون على اعداد هذه الدراسات ثلاثة من الباحثين : احدهم عراقى والثانى سورى والثالث مصرى . وقد تصدرت الكتاب دراسة عن « اليقظة الفكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر (الميلادى) » اضطلع بها الباحث العراقى الدكتور محمد بديع شريف ، وقد قدمت الدراسة اشارة الى « نواة اليقظة العربية (!) بعد انهيار بغداد » وتمثلت هذه النواة فى نظر الباحث « ابن تيمية » الذى قال عنه « نزه ابن تيمية الاله عما يريده به الضالون ، واكد على عقيدة التوحيد بما جاء فى القرآن والحديث (افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء ، انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) . وقد صرح ابن تيمية فى مواضع كثيرة بما معناه : ان الاسلام جاء قويا شديدا يملأ القلوب نورا ويحرر النفوس من الذلة ، فحطم الاصنام وبعث فى النـــاس العزة والكرامة وساواهم وجعلهم اخوة وارتفع بهم من ذلة الأرض الى عزة السماء لكيـــلا يتمرغوا تحت قدم جشم ولا يسجدون للنصب ولا يخشون عبدا من عبـــاد الله مهما كانت منزلته ، فالخشية لله وحده والرابطة به وجده ، وفى هذه الرابطة المقدسة تقذ النفوس وتسمو الكرامة وتبدو الحرية مجـــلوة .... » واختيار الباحث ابن تيمية ليكون « نواة اليقظة » اختيار له دلالته ، فهو ينبىء عن تاثر الباحث بالدعوة السلفية التى اعادت الى الأذهان فقه شيخ الاســـلام ونشرت علمه ، وقد افرد الباحث بعد ذلك مبحثا جعل عنوانه « محمد بن عبد الوهـاب وحركته الاصلاحية » اختتمه بقوله : « وفى نظرنا لو تم لهذه الحركة سيرهـا لتغير وجه التاريخ فى الشرق الأدنى . ومع ان قوتها السياسية قد زالت زمنـا ما ، فقد فتحت افقا جديدا للمسلمين فى كافة انحاء العالم الاسلامى فتكاد لا تجد حركة من حركات الاصلاح ، الا كان مرجعها لما نادى به محمد بن عبد الوهاب فى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر (الميلاديين) » (١) .

---

(١) محمد بديع شريف ، زكى الحاسنى ، احمـــد عزت عبد الكريم : دراسات فى النهضة العربية الحديثة ـ وضع خطتها وقام بمراجعتها وترتيبها :

وما قرره الباحث العراقي ، قد اصاب به قلب الحقيقة التي يشـــهد بها تاريخ الحركات الاسلامية الحديثة والمعـــاصرة ، في مختلف الأنحـــــاء من ديار الاسلام ٠

وكتب لوثروب ستودارد يقول : « ان خاتمة هذا الدور السياسي (للدولة السعودية الأولى) كانت خاتمة الدور الديني (اي دور انتشار الدعوة السلفية خارج شبه الجزيرة العربية) ، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيهـــا نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الاشعة الوهاجة الى كل ناحية من نواحي الأرض ٠٠ وما فتيء الوهابيون منذ قضى على قوتهم السياسية يبثون روح الحـركة الدينية في مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام الى مكة والمدينة من كل قطر من اقطار العالم الاسلامي ، فيقتبس هؤلاء نارا وهابية ثم يعـــودون الى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله في سبيل الاصلاح ، وهكذا استطاع الوهابيون ان يبذروا بذورا ملأها الاختمار الشديد للثورة الدينية في كل فـج اسلامي ، حتى بلغت دعوتهم الدينية اقصى المعمورة ٠ فقام في شمالي الهنـد السيد أحمد مستنفرا مسلمي بنجاب وانشأ دولة وهابية وكان يعد عدته لفتـــح سائر شمالي الهند فحالت منيته دون ذلك ٠ واضمحلت الدولة الوهابية الهندية سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، غير انه لما جاء الانجليز يفتحون البلاد عانوا الأمرين من بقايا النار الوهابية الكامنة في الرماد ، وظلت هذه النار مخبوئة الى ما شاء الله فكانت عاملا من عوامل الثورة الهندية ، ثم استطار من شررها ما تنـاول افغانستان وسائر القبائل الهندية عند الحدود الشمالية الغربية فاشعلها ايمـا اشعال وفي تلك الغضون قام السيد محمد بن السنوسي في الجزائر واتى مكـة ورضع أفاديق الوهابية فيها ، ثم أخذ يجاهد في سبيل انشاء الطريقة الدينيـة المعروفة باسمه ٠٠٠ » (١) وذكر احمد امين عن « السيد احمد » الزعيم الهندي انه حج في عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م حيث تعرف في الحجاز على الدعـــوة

محمد شفيق غربال ـ نشر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية مع مكتبـــة الانجلو المصرية بالقاهرة ، انظر ص ٨ ـ ١٣ ، ١٨ ـ ٢١ والنص الأخـير وارد في آخر ص ٢١ ٠

(١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامي ـ ترجمة عجاج نويهض جـ ١ ص ٢٦٣ ٠

السلفية (ويقول عنها المؤلف : المذهب الوهابي !) ، قائمن بالدعوة وعمل على نشرها في البنجاب عقب عودته ، وانشأ بها شبه دولة وهابية ، واخذ سلطانه يمتد حتى هدد شمال الهند ، واقام حربا عوانا على البدع والخرافات ، وشملت الحرب كل من ظاهر البدع من علماء الدين ودعاته ، واعلن الجهـــاد واعتبر الهند دار حرب ، ولقى الانجليز من الرجل وانصاره كل عداء وعنـــاء حتى استطاعوا التغلب عليه (١) ٠

اما محمد بن علي السـنوسي الكبير (٢ ١٢ ـ ١٢٧٦ هـ / ١٧٨٧ ـ ١٨٥٩ م المولود في مستغانم من نواحي الجزائر فقد تعلم في مازونة بالجزائر في حداثته ثم درس بجامع القرويين في فاس ٠ ورحل بعد ذلك الى الحجاز مارا بتونس وليبيا ومصر ، وقد اقام بالحجاز سنوات ، واستهل السنوسي دعـوته بالحجاز فاعترضه رجال الحكم العثماني الذين كانوا يخشون تجدد الدعـــوة

---

(١) احمد امين : زعماء الاصلاح ص ٢١ ، وذكر احمد عبد الغفور عطار في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » عن « السيد احمد البارلي » الزعيم الهندي المولود في قرية راي باريلي انه استشهد في ميدان الجهـــاد سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م وذكر العقاد ان دعوة ابن عبد الوهاب « تردد صداها في البنغال سنة ٨٠٤ واتبعها جماعة (الفرائضية) بتسويغها الحرفية فاعتبرت الهند دار حرب الى ان تدين بحكم الشريعة ٠ ثم تردد صدى الدعوة الوهابية بعـــد ذلك بزعامة السيد احمد البارلي في البنجاب واوجب على اتباعه حمل الســـلاح لمحاربة الشيخ (حلفاء الانجليز المستعمرين) وتقدمهم في القتال حتى قتل ٠٠ ونهض من بعده تلميذه كرامة على فاتصل بالفرائضية وافتى بأن البـــلاد الاسلامية تجب فيها صلاة الجمعة ولا تحسب من ديار الحرب وان كان الحكم فيها لغير المسلمين » (الاسلام في القرن العشرين ص ٦٩) ويقـــول توماس ارنولد « وفي القرن التاسع عشر (الميلادي) سنة ١٩٠٠ م حركة الدعوة الى الاسلام في البنغال بتأثير الحركة الوهابية الاصلاحية وكان الدعـاة ينتقلون لتطهير الاسلام من بقايا العقائد الهندوكية القديمة وايقاف الحمـــاس الديني ونشر العقيدة الاسلامية بين الكفار ، ومما يزال للوهابية في البنغال دعـــاة يفتقرون الى المال ومع فقرهم فانهم نشطون في الدعوة ، وعنـــدما كنت في باكستان الشرقية في جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩ هـ / اغسطس سـنة ١٩٦٩ م لقيت بعضهم وذكروا انهم تتلمذوا على علماء من البنغال درسوا على الشيخين عبد الله وعمر ابني حسن حفيدي شيخ الاسلام محـــمد بن عبد الوهاب » (الدعوة الى الاسلام ـ الترجمة العربية ص ٢٣٩) ٠

السلفية وجهاد محمد بن عبد الوهاب ، واختار السنوسى الصحراء الليبية منشطا لدعوته حيث اختار (زواياه) التى جعلها مراكز للتجمع والتعبد والتعليم وعلى راسها زاوية جغبوب التى اسسها السنوسى ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م وكانت (الزاوية) مسجدا تلحق به مساكن (للاخوان) من اتباع الشيخ ، ومزرعة ومحلات للحرف والصناعات ، وكان السنوسى يختار مراكز زواياه فى مواقع (استراتيجية) قريبة من الآبار وطرق القوافل والأراضى الصالحة للزراعة ، ويستفيد من مراكز الرومان وآثارهم القديمة لهذا الغرض ، وكان يحصن الزاوية ومرافقها بسور خارجى ، وقد اكد السنوسى فى كتابته وجوب متابعة الكتاب والسنة دون سواهما ، وبين انهما مقدمان على راى كل مجتهد ، ونعى على التقليد ، وقد انحى باللائمة فى كتابه (ايقاظ الوسنان) **على الذين يوجبون « انحصار التقليد فى الائمة الاربعة رضى الله عنهم ، لانه لا واجب الا ما اوجبه الله ورسوله** ... وهذه بدعة قبيحة حدثت فى الأمة ولم يقل بها احد من ائمة الاسلام ، فيا لله العجب ! ماتت مذاهب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر ائمة الاسلام ويطلب جملة الا مذاهب اربعة انفس فقط بين الائمة والفقهاء ؟ وهل بذلك قال احد الائمة او دعا اليه ؟ » . كذلك يذكر السنوسى فى كتابه (بغية المقاصد وخلاصة المراصد) ان **هدى الائمة الراشدين فى الفتوى والتعليم والقضاء هو مجرد اداة لفهم المسلمين للكتاب والسنة** ، كما ذكر ان السلوك الخلقى المستقيم هو الذى يتاييد بالكتاب والسنة ، على ان السنوسى مع ذلك سار على التربية الصوفية والتجمع الصوفى ، وقد ابان عن (طريقته) فى كتابه (السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين » ، ويلاحظ انه تجنب الحديث عن كرامات الأولياء وخوارق العادات وميزات (المقدمين) من المريدين . وقد قدر للزوايا السنوسية ان تضطلع بدور بطولى فى مقاومة الغزو الايطالى الذى دهم ليبيا سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، كما كان لها نشاط مشكور فى الدعوة الى الاسلام خلال الأرجاء الشاسعة الممتدة من شمالى افريقية الى اقاصى السودان (١) .

---

(١) انظر محمد البهى : محاضرات فى الفكر الاسلامى الحديث ــ القاهرة محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين الدولة ــ القاهرة . وانظر ايضا مقالات شكيب ارسلان المضافة الى حاضر العالم الاسلامى تاليف لوثروب ستودارد وترجمة عجاج نويهض جـ ٢ ص ١٣٠ ــ ١٦٥ ، ٣٩٨ : ٤٠٧ وما كتبه المؤلف

وتغلغلت الدعوة السلفية داخل افريقية حتى بلغت نيجـــيريا ، وتمثلت هناك فى حركة عثمان بن فودى الذى ينتسب الى شعوب الفولانى التى خرجت من موطنها فى منطقة السنغال وتسربت فى بطء نحو الشرق ، وقد اقامت اسرة عثمان بن فودى فى بلاد الحوصة ، وقد ولد عثمان سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٥٦ م فى بيت علم ، اسلم اجداده منذ زمن طويل وتفقه ابوه فى الدين واشتغل بالعلم هو وزوجته واولاده ذكورا واناثا ، وقد رحل الى الحجـــــاز وسمع فى مكة بالدعوة السلفية فنفذت الى اعماق قلبه ، وظهرت آثارها واضحة فى مؤلفـاته التى بلغت زهاء عشرين مؤلفا ومنها « احياء السنة واخماد البدعة ، بيـــان البدع ، تمييز المسلمين ، الجهاد ، نصائح الأمة ، الهجـــرة ... » وكلهـــا موضوعات لها دلالتها فى التأثر بالدعوة السلفية ، وكان من مؤلفات اخيه عبدالله « سبيل النجاة ، ضياء السياسة ، ضياء الحكام ، مصالح الانسان » كما الف ايضا ابنه محمد بللو بن عثمان كتبا منها « الاعـــلام بما يجب على الامام من حفظ بيضة الاسلام ، قدح الزناد فى امر هذا الجهاد ، الغيث الوابل فى ســيرة الامام العادل ، التحرير فى قواعد التبصير للسياسات » . وتشـــهد روايات المعاصرين لهؤلاء السلاطين او القريبين من عهدهم بآثار الدعوة الســـلفية فى سيرهم وبخاصة ما ورد فى كتاب « تذكرة النسيان فى أخبار السودان » الذى افرد ذيلا لتاريخ السلطان محمد بللو بن عثمان . فقد عرف عنـــه انكار بدع

ستودارد نفسه بنفس الجزء ص ٢٩٣ ــ ٣٠٠ ، ويقول شكيب ارســـــلان عن اختيار السنوسى الكبير لجغبوب مركزا له « ويقولون انه كان قد شـــعر بدنـــو استيلاء الأجانب على تلك الديار فاختار الايغال الى الجنوب والاقامة بالصحراء فعمر زاوية جغبوب وتوفى فيها ... واختار ولده المهدى السـنوسى الانزواء فى واحة الكفرة ، وقال بعضـــــهم انه لما استقرت قدم الانجليز بمصر اجفل السنوسى ووضع نصب عينيه الايغال فى الصحراء وانتجاع واحة تكون اقصى من جغبوب مكانا واعز منالا ، وقال آخرون بل السنوسى منذ زمن بعيد يتكهـن بوقوع الحرب مع (الطليان) فشرع يهيء اتباع طريقته للمقاومة ويعـــــلم فضائل الجهاد مما ظهر اثره فى حرب ايطاليا سنة ١٩١١ م ظهـــورا ادهش الشرق والغرب ، واثبت ان الطريقة السنوسية هى عبارة عن دولة بل كثير من الدول لا تملك ما ملكته الطريقة السنوسية من الوسائل الحربية وذلك بكونهـا طريقة عملية لا تعرف سوى العمل بالكتاب والسنة والاقتداء بسلف هذه الأمة » جـ ٢ ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

الماتم ، ورفض ما يحيط به الناس موقاهم الصالحين من قداسة تكاد أن تكون عبادة ، بل انتقد المبالغة في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه بما يخرجه عن بشريته ، كما هاجم الفساد الأخلاقي في مجتمعه وشرب الخمر . وقد حض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين تزايد انتصاره ، وشرع يتصل بالأمراء المعاصرين في بلاده يحضهم على الاصلاح ومحاربة البدع والاتحاد لنشر الاسلام بين الوثنيين . وما فتىء عثمان وخلفاؤه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحطمون دنان الخمر ويكسرون آلات الطرب ، ولم يفز عثمان بن فودى بمناصرة أمير من أمراء الحوصة ، بل استعر العداء بين الفريقين سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م وسارعت عشائر الفولانى الى تأييد ابنها الداعية المؤمن . وكانت جيوش عثمان وخلفائه تقرأ آيات الجهاد في الكتاب الكريم مثل سورة براءة ، وتتسم حياتها بالخشونة والزهد . ولقد حققت انتصارات ساحقة متتابعة في كانو وزاريا وسوكوتو التي اتخذها حاضرة لدولته ودعوته وقد أعيد بناؤها فيما بعد في عهد ابنه محمد بل سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، وتحقق فتح امارات زنفير وغوبير وكب وخضعت امارات الحوصة كلها للدولة الفتية سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م ، وقد عمد عثمان الى قسمة حكم الدولة في حياته بين ابنه محمد واخيه عبد الله للأول شرقها وللثانى غربها وتوفى هو سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م . وقد قام حكمه هو وخلفائه على الشورى .. وقد كتب سلطان المغرب سليمان بن السلطان محمد (الثالث) من العلويين (١٢٠٦ ــ ١٢٣٦ هـ / ١٧٩٢ ــ ١٨٢٠ م) الذى عرف بتدينه وحبه للعلم وحمايته للدين الى عثمان بن فودى « ... الى السيد الذى فشا في أقطار السودانيين عدله ، واشتهر في الآفاق المغربية ديانته وفضله ، العلامة البينة ... ذو النورين : العلم والعمل اللذين هما منتهى الأمر ــ السيد عثمان ابن محمد بن عثمان بن صالح الفولانى نفع الله بعلومه القاصى والدانى ، وسلام منا عليه ما اشتد شوقنا اليه ورحمة من الله تغشاه حتى لا يخشى الا الله والله أحق أن تخشاه ، وبعد . فقد بلغنا من الثناء عليك والتعريف بأحوالك وافعالك ذلك ما أوجب محبتنا وتسليمنا اليك ، وذلك بلسان سلطان ناحيتكم امير الطوائف الاسلامية بساحتكم القر في كتابه الينا بفضلك وانك ناصح لله ... فانه أخبرنا بما قمت به من الواجب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... حتى دخل الناس في دين الله افواجا ... وهذا من أعظم المنح واتم النعم

ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، فالله تعالى يجازيكم عن الأمم خيرا ويديم دولتكم محفوفة محفوظة وبعين العناية ملحوظة ... قال الله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) . والسلام منا على جنابكم الذى صار للاسلام بخصوص نصيحتكم كالبيت المعمور ... » (١) .

وفى منطقة ماسنة بين السنغال والنيجر ، ظهر بين جماعة الفولانى التى سكنت هناك **احمد لوبو** (احمد الرمح) الذى تربى فى الدعوة الاصلاحية لعثمان بن فودى وكان يعمل له فى ارض صنفى بحوض النيجر ، وبعد نهاية الجهاد وقيام الدولن اتجه **احمد لوبو** الى موطنه فى ماسنة واتخذت دعوته **طابعا مهديا** ، وقد دخل مدينتى تنبكتو وجنى وطهرهما من البدع والمنكرات ومنع التدخين ، وأقام حاشرة له بالقرب من جنى اسماها (حمد الله) وكانت قاعدة لأمارة اسلامية عظيمة فى منطقة ماسنة وقد توفى سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م (٢) . وبرز هذا الطابع المهدوى ايضا فى دعوة **محمد أحمد بالسودان** وقد ولد فى احد اعمال دنقلة سنة ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م واستهل جهوده فى جزيرة ابا ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، ثم اتجه الى غربى السودان ١٢٩٨هـ/١٨٨١م وتسجل احدى رسائله معالم دعوته التى تستهدف « اماته ما حدث من البدع والضلال والانابة اليه تعالى فى كل الأحوال ، وقد تأكد فى هذا الزمان الذى عم فيه الفساد سائر البلدان ، فان دسائس اهل الكفر التى ادخلوها على اهل الاسلام وضلالاتهم التى مكنوها من قلوب الأنام قد افضت الى اندراس الدين وعطلت احكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الأنام وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع وابيحت محارم الاسلام » وقد اهم محمد

---

(١) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ـ القاهرة ١٩٦٣ م ص ٢٨٤ ـ ٢٩٣ وانظر ايضا بحث د . ابراهيم طرخان : امبراطورية الفولانيين الاسلامية (مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ـ عدد العام الجامعى ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ م) .

(٢) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ، ايضا : ابراهيم طرخان : امبراطورية الفولانيين الاسلامية .

احمد دخول الانجليز مصر ، ودعا الى « ان يكون الجميع يدا واحدة على اقامة الدين واخراج أعداء الله من بلاد المسلمين » · وعلى الرغم من حرص الرجل على انفاذ الأحكام والحدود الشرعية فى كل ما يغلب عليه من أرض السودان ، ودعوته لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، والنهى عن الاستعانة بالأولياء وزيارة قبورهم وعن شرب الدخان والمشى فى الجهاد ، فقد كانت له شطحاته التى لا يقره عليها اخذ بنهج السلف (١) ·

تاثير الدعوة السلفية فى الجماعات الاسلامية الحركية القائمة :

فاذا ما انتقلنا من الحركات التى تركزت غالبا حول شخص انتهت بنهاية حركته او حياته ، الى الحركات التى كان لها الطابع الجماعى والاستمرار ، وجدنا تاثير الدعوة السلفية بارزا فى فكرها وحركتها · ونختار لبحثنا ثلاث جماعات معاصرة توزعت على انحاء العالم الاسلامى : اولها فى الجزائر وقد قامت بجهود عبد الحميد بن باديس ، والثانية فى مصر وقد اقامها حسن البنا ، والثالثة فى شبه القارة الهندية والباكستان منها بوجه خاص وقد اسسها ابو الأعلى المودودى ·

اما عبد الحميد بن باديس (١٣٠٦ ـ ١٣٥٩ هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٤٠ م) فقد ظهر نشاطه فى مدينة قسنطينة بشرقى الجزائر بعد ان تلقى العلم فيها وفى

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٣٩٨ ـ ٤١٠ ·

ويقول عبد المجيد عابدين فى كتابه « تاريخ الثقافة العربية فى السودان » ـ ط ٢ ـ بيروت ١٩٦٧ م عن محمد أحمد المهدى انه : « ابطل السحر والتعزيم وكتابة الأحجبة ونفذ حد الزانى والسارق وابطل النياحة على الميت وجمع الزكاة وصار يأخذ من الغنائم الخمس وأمر بالمحافظة على الصلوات الخمس جماعة · اما الحج ـ وهو فى الشرع لمن استطاع اليه سبيلا ـ فقد قيل انه منع السودانيين مؤقتا منه حتى يتقى شر الدسائس التى كانت تحدق به خارج بلاده ، وقيل انه كن يؤثر الجهاد عليه ولكنه لم يمنع منه احدا » ويتفق عبد المجيد عابدين مع حسن أحمد محمود فى تاثر مهدى السودان فى مضمون دعوته بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مثلما تاثر بها محمد بن على السنوسى ، وان اختار كل منهما صورة المهدوية او الطريقة الصوفية · وروى ان مهدى السودان احرق كتب الفقه وغيرها من كتب علوم الدين ولم يبق الا الكتاب العزيز وتفاسير قليلة له وكتب السنة وكتب التصوف ص ١٣٢ ـ ١٣٩ ·

جامع الزيتونة بتونس وقد رحل الى الحجاز سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وعمره اربعة وعشرون عاما هجريا ، ثم عاد الى موطنه فشرع يلقى الدروس بالجامع الكبير فى قسنطينة ولكن تصدى له المفتى المولود بن موهوب واستطاع ان يمنعه من التدريس هناك ، ولكن تمكن والد عبد الحميد بن باديس بمكانته ومساعيه من أن يستصدر اذنا لولده بالقاء الدروس فى الجامع الأخضر بقسنطينة وقد شرع يدرس به منذ سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م ، ولم تكن السلطة الاستعمارية وقتذاك تتوقع أن ينجم عن ذلك الاذن اليسير ما هب على كيانها من خطر كبير · وقد انتصب عبد الحميد بن باديس بمقرده فى أول الأمر يعلم الدارسين ويثقف العامة ، ويخطب ويكتب فى الصحف ، ويعمل على ربط الأواصر مع ذوى المكانة والعلم والراى من مواطنيه المسلمين على مر الأعوام ، حتى استطاع ان يؤسس « **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** » سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م · وقد استمرت الجمعية فى الدعوة للاسلام بين الجزائريين وربطهم بدينهم ولغتهم لمواجهة جهود السلطة الاستعمارية الفرنسية فى احتواء الجزائر ارضا وشعبا وعقيدة وثقافة ، وعملت الجمعية على انشاء المدارس الاسلامية العربية للحفاظ على عقيدة الأجيال الناشئة من الجزائريين ولغتهم والثبات امام المحاولات الاستعمارية التى تريد أن تصوغ هذه الأجيال صياغة فرنسية · وقد قام على راس الجمعية بعد وفاة عبد الحميد بن باديس سنة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م وكيلها محمد البشير الابراهيمى · وظلت الجمعية قائمة حتى قامت حرب التحرير الجزائرية سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م فخاضت غمارها فى نطاق الجبهة الموحدة التى ضمت الأحزاب والجماعات الجزائرية لأجل جهاد الاستعمار الفرنسى · وبعد الاستقلال ، اختارت الدولة الجزائرية المستقلة الا تسمح بقيام احزاب او جماعات ، وان يكون النشاط الشعبى السياسى مركزا فى جبهة التحرير الوطنى ، وهكذا استمر غياب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ·

وقد تصدى ابن باديس فى دروسه ــ وبخاصة دروسه فى تفسير القرآن ــ وفى مقالاته بالصحف ومحاضراته وخطبه لتصحيح العقيدة ، ودعوة المسلمين الى الرجوع للكتاب والسنة وترك ما عداهما مما تراكم على العقول والقلوب والسلوك من بدع وضلالات ، ويستشهد بمثل قوله تعالى : « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا · يا ويلتى ليتنى لم اتخذ

فلانا خليلا · لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا » (الفرقان / ٢٧ ــ ٢٩) : « **فالخسران الذي وعد به الله من يخالف الكتاب والسنة وان كان موجها للمشركين ، الا انه من نصيب اهل البدع والضلال في المجتمع الاسلامي** » « ... وضعنا اوضاعا من عند انفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا في اكثرها عن الحنيفية السمحة الى الغلو والتنطع ، وعن السنة البيضاء الى الاحداث والبدع ، وادخلنا فيها من النسك الاعجمي والتخيل الفلسفي ما ابعدها غاية البعد عن روح الاسلام ، والقى بين اهلها بذور الشقاق والخصام ... » ثم يشير ابن باديس الى ان هذه البدع المصطنعة قد ثقلت على المسلمين اخيرا حتى مضوا الى الانفلات من الدين جملة اذ هم قد ظنوا أن هذه البدع هي الدين (١) ·

هذه الدعوة الواضحة الصريحة الى تصحيح العقيدة ، يبدو فيها بجلاء اثر الدعوة السلفية · وقد كان على عبد الحميد بن باديس أن يواجه ضلالات الطرق الصوفية التي عششت في بوادي الجزائر وارياقها فضلا عن مدنها ، فشن حربا عوانا على بدعهم من جهة وعلى ممالأتهم للسلطة الاستعمارية من جهة اخرى ، وعانى الرجل الكثير من مكائدهم التي استغلوا فيها انتشارهم الشعبي من جهة ومساندة السلطة الأجنبية الغاصبة من جهة اخرى ولكن الله اعانه على نصرة دينه وغلبة اعدائه ، وقد كتب يوما في مجلته « الشهاب » : « **كان الناس كانهم لا يرون الاسلام الا (الطرقية) ، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها** · فلما ارتفعت دعوة الاصلاح في (جريدة المنتقد) و (مجلة الشهاب) **حسب الناس أن هدم تلك الاضاليل التي طال عليها الزمان ورسخها الجهل وأيدها السلطان محال ! ولقد صمد (الشهاب) للطرقية ، يحارب ما ادخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل اوهام وعلى الاسلام من زور وتحريف وتشويه ، الى ما صرفت الأمة عن خالقها بما نصبت من انصاب ، وشتتت من كلمتها بما اختلفت من القاب ، وقللت من عزتها بما اصطنعت من**

---

(١) تفسير ابن باديس او مجالس التذكير من كلام العليم الخبير ــ نشر محمد الصالح رمضان وتوفيق شاهين ــ دار الكتاب الجزائري بالجزائر سنة ١٩٦٤ م ــ انظر بوجه خاص ص ٢٢٧ ــ ٢٣١ ·

ارهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهى معروفة عنـــد اكثر الامة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها ... » (١) ، ويذكر محمد البشير الابراهيمى انه كان قد التقى بعبد الحميد بن باديس فى المدينة المنورة ســـنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وتشاورا فى شان العمل للاسلام بالجزائر وانتهى بهمـــا الراى الى ان « البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين (الشعب الجزائرى) اتى من جهتين متعاونتين عليه ، او بعبارة اوضـــح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينـــه ودنيـــاه : استعمار مادى هو الاستعمار الاستعمار الفرنسى ، واستعمار روحانى يمثله مشايخ الطـــرق المؤثرون فى الشعب والمتغلغلون فى جميع اوساطه والمتجرون باسم الدين والمتعاونون مـع عن رضا وطواعية ... والاستعماران متعاضدان يؤيد احدهما الآخر بكل قوته » وغرضهما معا تجهيل الامة لئلا تفيق بالعلم ، وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة ... ولقد كان من ســـداد الراى ان يبدا بمحـــاربة هذا الاستعمار الثانى ... » (٢) وقد تضمن القانون الاساسى لجمعية العلماء المســـلمين الجزائريين ان « اعتقاد تصرف احد من الخـــلق مع الله فى شىء ما شـــرك وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان » ، وان « بناء القبور ووقد السرج عليها والذبح عندها لاجلها والاستغاثة باهلها ضلال من اعمال الجاهلية ومشـــاهاة لاعمال المشركين » ، وان « الاوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو فى الشيخ والتحيز لاتباع الشيخ وخدمة دار الشـــيخ واولاد الشيخ ، الى ما هنالك من استغلال واذلال واعانة لاهل الاذلال والاســـتغلال ، ومن تجميد للعقول وامانة للهمم وقتل للشعور » (٣) ، وقد حاولت الســـلطة الاستعمارية واذنابها من الطرقيين اغتيال ابن باديس سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٦ م ثم عمد هؤلاء الى تلفيق التهم زورا لرجال حركة الاصلاح الاسلامى ، ســـواء الاتهامات فى ساحة القضاء او الادعاءات التى تنشر بين الناس ، ومن ذلك انهم قالوا ان ابن باديس وجماعته هم اتباع لمحمد بن عبد الوهاب ، كما قالوا ايضا

---

(١) مجلة الشهاب عدد المحرم ١٣٥٧ هـ / مارس ١٩٣٨ م .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٢١ سنة ١٩٦٦ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣) القانون الاساسى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبخاصـــة الفصل الرابع بعنوان (دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائرية) البنود من رقم ١٤ الى رقم ١٦ .

انهم اتباع لمحمد عبده . وكتب عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد مقـــالا بجريدة (السنة المحمدية) في عددها الثالث سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣/٩/٢٥م) جعل عنوانه « عبداويون ثم وهابيون ، ثم ماذا ؟ لا ندري والله » ، بل ان نائبـا من عملاء الوالي الفرنسي قد وصف « جمعية العلماء » بانهم « مالكيـــون » ، وكان هذا الوصف تهمة اخرى !! ورد ابن باديس في نفس العدد من الجـريدة بقوله « ليت الناس كانوا مالكية حقا ، اذن لاطرحوا كل بدعة » ! والحـــق أن الذي يزور الجزائر المعاصرة ، يثلج صدره وتقر عينه الا يجد في العـامة من اهل مدنها وفي اهل بواديها وارياقها ما يجده من نزعات قبورية وطرقية عنـــد امثالهم في كثير من المجتمعات الاسلامية الأخرى ، رغم تناثر قبور (المرابطين ـ اي الأولياء الصالحين في زعم الناس » في انحاء البوادي والأرياف ، ممـن يصعب تحقيق تاريخهم في كثير من الاحيان ، فلا يعـــلم ان كانوا من مرابطي الجهاد او العلم او العبادة او من الأفراد العاديين المغمورين او من الأدعيـاء الزائفين ، بل انه ليس من المستبعد في بعض الأحيـــان الا يكون تحت القبـــة والضريح دفين على الاطلاق !! والذي يقارن حالة العامة الجزائميين بغـيرهم في بلدان المغرب والمشرق يستطيع أن يقدر العبء الجليل الذي نهض به الداعية الجزائري المصلح واخوانه في التمكين لعقيدة السلف من النفوس والعقول في تلك البلاد المترامية الأطراف . وقد كتب مبارك الميلي احد اعضاء الجمعيـــة المبرزين كتابا موضوعه « الشرك ومظاهره » .

* * *

اما حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ ـ ١٩٤٨ م) فكان قد تاثر في صباه بمؤثرات صوفية ، الا انه حين اسس جماعته « الاخـوان المسلمين » بمدينة الاسماعيلية الواقعة على ضفة قناة السويس سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م كان قد تجاوز تاثير النزعة الصوفية على انه كان يحرص منذ حداثتـــه على التزام السنة حتى في لباسه ، فكان يضع على راسه وهو طالب بمدرســـــة المعلمين « عمامة ذات عذبة » ، كما كان يلبس نعلا كنعل الاحرام في الحـــج ورداء فوق الجلباب ، وقد سأله عن زيه هذا مدير التعليم فاجابه كما يروى في مذكراته « انه السنة » فقال له « وهل عملت كل السنن ولم يبق الا ســـــنة الزي ؟ « لا ونحن مقصرون كل التقصير ولكن ما نستطيع أن نفعله نفعـــله »

وكان يطلق لحيته ، وقد واجه عند استهلاله دعوته في الاسماعيلية انقساما سابقا بين « انصار السنة » و « الطرقية » في المدينة ، فهو يروى في مذكراته انه سئل ليلة في احد دروسه التي كان يلقيها بمسجد صغير عن « التوسل » وقد رأى امارات الفرقة والتحفز بين الناس فقال للسائل « يا اخي اظنك لا تريد ان تسألني عن هذه المسألة وحدها ولكنك تريد ان تسألني كذلك في الصلاة والسلام (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد الأذان ، وفي قراءة سورة اهل الكهف يوم الجمعة ، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد ، وفي ابوى النبي صلى الله عليه وسلم واين مقرهما ، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها الى الميت او لا يصل ، وفي هذه الحلقات التي يقيمها اهل الطرق وهل هي معصية او قربة الى الله ؟ » وهكذا كان الرجل واعيا بحقيقة الموقف ومواضع الخلاف والانكار ، وقد شاء ان يواجه الأزمة والخلاف بطريقة مرنة . يروى في مذكراته « ... واخذت اسرد له (للسائل) مسائل الخلاف جميعا التي كانت مثار فتنة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم ، فاستغرب الرجل وقال : نعم اريد الجواب على هذا كله ، فقلت له : يا اخي اني لست بعالم ، ولكني مدرس احفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب واتطوع بتدريسها للناس ، فاذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد احرجتني ومن قال لا ادري فقد افتى ، فاذا اعجبك ما اقول ورايت فيه خيرا فاسمع مشكورا ، واذا اردت التوسع في المعرفة فسل غيري من العلماء والفضلاء المختصين فهم يستطيعون افتاءك فيما تريد ، واما انا فهذا مبلغ علمي ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فاخذ الرجل بهذا القول ولم يحر جوابا واخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون او معظمهم الى هذا التخلص ، ولكني لم ارد ان تضيع الفرصة فالتفت اليهم وقلت لهم : يا اخواني انا اعلم تماما ان هذا السائل وان الكثير من حضراتكم ما كان يريد من وراء هذا السؤال الا ان يعرف هذا المدرس الجديد من اي حزب هو ؟ امن حزب الشيخ موسى او من حزب الشيخ عبد السميع (وهما الرجلين اللذين كانا على راس السلفيين والطرقيين فيما يبدو) . وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئا وقد قضيتم في جو الفتنة ثماني سنوات وفيها الكفاية ، وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين ، والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة ، فارجوا ان تعاهدوا الله ان تدعوا هذه الأمور الآن وتجتهدوا في ان

لتعلم اصول الدين وقواعده ونعمل باخلاقه وفضائله العامة وارشاداته المجمع عليها وتؤدى الفرائض والسنن ، وتدع التكلف والتعمق حتى تصفوا النفوس ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأى ، وحينئذ نتدارس هذه الشئون كلها معا في ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص ، وارجو ان تتقبلوا منى هذا الرأى ويكون عهدا فيما بيننا على ذلك ، وقد كان ، ولم نخرج من الدرس الا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام الحنيف والعمل له يدا واحدة وطرح معانى الخلاف واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . واستمر درس (الزاوية) بعد ذلك بعيدا عن الجو الخلافى فعلا بتوفيق الله ... » . على أن حسن البنا كان يحاول أن يصوغ فكر المستمعين اليه واعضاء جماعته فى تدرج وبطء نحو العقيدة الصحيحة ، وينزع بالناس نحو فهم السلف لحقائق الدين فى يسر ، ويحرص على الا تكون جماعته « طريقة » اخرى من طرق الصوفية ويأخذ بايدى الناس بعيدا عنها وان لم يشأ ان يصطدم مباشرة بها لتغلغلها وتأثيرها بمصر فى العامة والخاصة على السواء . يقول فى مذكراته « ولكن الحق اننى لم اكن متحمسا لنشر الدعوة على انها طريق خاص لأسباب اهمها اننى لا اريد الدخول فى خصومة مع ابناء الطرق الأخرى ، واننى لا اريد ان تكون محصورة فى نفر من المسلمين ولا فى ناحية من نواحى الاصلاح الاسلامى ، ولكنى حاولت جاهدا ان تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد وهى اركان الدعوة الاسلامية الجامعة » . على أن حرص الرجل على الا يتصادم هو مع الطرق او غيرهم من الجماعات الدينية لم يمنع غيره من ان يبدأ هو النزال والصدام « ... فانه ما كان يظهر اعجاب الناس بها (بالدعوة) والتفافهم حولها وتقديرهم للعاملين لها حتى اخذت عقارب الحسد والضغينة تدب فى نفوس ذوى الأغراض ، وراحوا يصورون الدعوة والداعين للناس بصور شتى : فهم تارة يدعون الى (مذهب خامس) ، وهم احيانا شباب طائش ، وهم احيانا نفعيون مختلسون يأكلون اموال الناس بالباطل وهكذا ، « ... وكتبوا عريضة الى رئيس الحكومة (وقتذاك) ضمنوها امورا غريبة منها ان هذا المدرس شيوعى متصل بموسكو ويستمد المال من هناك ... ومنها ان هذا المدرس وفدى (اى منتم للحزب المعارض للحزب الحاكم وقتذاك) ويعمل ضد النظام الحاضر ... » وزعموا ان حسن البنا يعرض فى دروسه ومحاضراته سيرة ابى بكر الصديق او سيرة عمر بن عبد العزيز ليغمز حكام مصر فى ذلك الوقت.

وفشلت هذه المكائد ، وبدا من الرجل حرصا على التزام السنة عملا وان شاء ان يتوقى الجدال القولى على الملأ ، فقد حدث ان زار القاضى الشرعى لمدينة الاسماعيلية مع غيره من كبار الموظفين والوجهاء بالمدينة فى احدى ليالى رمضان « ... فقدم الينا فى اكواب من الفضة وجاء دورى فطلبت كوبا من زجاج فقط ، فنظر الى فضيلته مبتسما وقال ان المسألة خلافية فيها كلام طويل ونحن لم نفعل كل شىء حتى نتشدد فى مثل هذا المعنى ، فقلت يا مولانا انها خلافية الا فى الطعام والشراب فالحديث متفق عليه والنهى شديد .... ولا مناص من الامتثال ، وتدخل القاضى الأهلى فقال « يا فضيلة القاضى ما دام هناك نص فالنص محترم ، ولسنا ملزمين بالبحث عن الحكمة وايقاف العمل بالنص حتى تظهر ، فعلينا الامتثال اولا ثم ان عرفنا الحكمة فيها والا فذاك تصور منا والعمل على كل حال واجب » يقول صاحب المذكرات « فانتهزتها فرصة وشكرت له ، وقلت له مشيرا الى اصبعه : وما دمت قد حكمت فاخلع هذا الخاتم فانه من ذهب والنص يحرمه .... (وبعد حوار قصير) خلع خاتمه وكانت جلسة لها صداها فى جمهور يرى مثل هذا الموقف العادى أمرا بمعروف او نهيا عن منكر أو نصيحة فى الله » وحين فكر حسن البنا اخوانه فى احياء السنة بصلاة العيد بالصحراء « ... اذا بى افاجأ بحملة عنيفة من المتربصين بالدعوة بأن هذا ابتداع فى الدين وتعطيل للمساجد وافتاء بالباطل ، ومن ذا الذى يقول ان الشارع افضل من الجامع ... وتصادف انى كنت حينذاك معتكفا العشر الأواخر من رمضان بالمسجد العباسى ، فكان الناس يتقاطرون على عقب كل صلاة ويسألوننى عن هذه (البدعة) الجديدة !! فأنا استغرب هذه الحملة التى لا اساس لها واقرر حكم الدين بكل بساطة وبراءة واطلع الناس على النصوص الفقهية فى هذا المعنى واتجنب الجدل والمراء واوصى بجمع الكلمة والبعد عن الخصومة » . وقد كان الرجل رسم لنفسه وجماعته خطة معينة فى هذا الأمر « مراعاة لما اعلم من سرعة انقسام الآراء فى هذا البلد حول المسائل الدينية لشدة حساسيته ولقرب عهده بالخلافات الماضية ، اشترطت الا نخطو خطوة حتى نستشير العلماء ونتفق معهم على اسلوبه التنفيذ ، فان وافقوا فذاك والا فان اجتماع الآراء على خلاف الأولى افضل من افتراقها وتشتيت الكلمة على ما هو افضل » ، لكن جمهور المسلمين اذا بصر بالحق جند نفسه للدفاع عنه واتخذ هو المبادرة « وتجمع الجمهور للحق والسنة واعلنوا ان الصلاة ستكون بظاهر البلد واعدوا المصلى لذلك فعلا » .

ويتوقى فى ذلك المصادمة والمهاجمة قدر طاقته « ... وخلال كل مجلس من مجالسه تطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما ورد من آيات الكتاب الحكيم واحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وسير الصالحين ، ولا يعمد كذلك الى نظريات فلسفية او فقهية منطقية وانما يلفت الأنظار الى عظمة البارى فى كونه والى جلال صفاته ويذكر بالآخرة لا يعدو جلال القرآن الكريم فى هذه المعانى كلها ، **ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة الا بعد بناء عقيدة صالحة وما اسهل الهدم بعد البناء واشقه قبل ذلك** ... »

وكلما مرت الأيام ازداد فكر الرجل تبلورا لا بشان الحرص على التزام فهم السلف للاسلام فحسب ، بل بشان « المواجهة » الصريحة للمخالفين قولا وعملا ، فهو يشير فى آخر ما نشر من مذكراته التى انتهت عند وقائع سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م الى حضور شخص الى الاسماعيلية « يدعو الى الطريقة ... وانا انما وقفت نفسى لدعوة ارى انها خير السبل للاصلاح الاسلامى ، وامثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك ما لا اريده .. **لقد آن الأوان الذى اعتزل فيه عن كل هذه الدعاوى المشتبهة ، واكشف فيه عن الغاية للاصلاح الاسلامى الذى يتلخص فى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام وارجاء الناس الى هدى الاسلام الحنيف** » (١) .

وقد أوضح حسن البنا كتابة الأصول العقيدية فى رسالته « التعاليم » التى يبدو أن تاريخ صدورها مقترن بيوم بيعة الصف الأول من الاخوان المسلمين فى ٥ من ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ أو قريب منه وقد جاء فيها ضمن ركن « الفهم » من اركان البيعة العشرة : « الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن او حكومة وامة وهو خلق وقوة او رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون او علم وقضاء وهو مادة وثروة او كسب وغنى بسواء ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى التعرف على احكام وهو جهاد ودعوة او جيش وفكرة كما عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء

---

(١) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ـ ط ٢ بيروت سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٦٦ م ص ٢٠ ، ٥٨ ـ ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ١٢٦

بسواء ، والقرين الكريم والسنة المطهرة مرجع لكل مسلم فى التعرف على احكام الاسلام ويفهم القرآن (والسنة) طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ويرجع فى فهم السنة المطهرة الى رجال الاحاديث الثقات · وللايمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفهـــا الله فى قلب من يشاء من عباده ، **ولكن الالهام والخـواطر والكشف والرؤى ليست من ادلـــة الاحكام الشرعية** ولا تعتبر الا بشرط عدم اصطدامها باحكام الدين ونصوصه · **والتمائم والرقى والودع والرمل والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته** ـ الا ما كان من اية من قرآن او رقية ماثورة ·· **وكل احد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم** ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه والا فكتـاب الله وسنة رسوله اولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن او تجريح ونكلهم الى نياتهم وقد افضوا الى ما قدموا ، ولكل مسلم يبلغ درجة النظر فى ادلة الأحكام الفرعية ان يتبع اماما من ائمة الدين ، **ويحسن به مـع هذا الاتباع ان يجتهد ما استطاع فى تعرف ادلته وان يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده** ··· وان يستكمل نقصه العلمى ان كان من اهل العلم حتى يبلغ درجة النظر · والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ولا يؤدى الى خصـــومة ولا بغضاء ولكل مجتهد اجـــره ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون عـلى الوصول الى الحقيقة من غير ان يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب · وكل مسالة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا من ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع والخوض فى معانى الآيات القرآنيـة الكريمة التى لم يصل اليها العلم بعد والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفى التاول مندوحن **ومعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه اسمى عقـــائد الاسلام ، وايات الصفات واحاديثها الصحيحة وما يتعلق بذلك من المتشـــابه نؤمن بها كما جاءت من غير تاويل ولا تعطيل** ، ولا نتعرض لما جاء فيهـــا من خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه (والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا) · **وكل بدعة فى دين الله لا اصل لها استحسنها الناس باهوائهم سواء بالزيادة فيه او بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بافضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها** · والبدعة الاضافية والتركين والالتزام **فى العبادات المطلقة** خـــلاف

فقهي لكل فيه رايه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان · ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب اعمالهم قربة الى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد انهم رضوان الله عليهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم او بعد مماتهم فضلا عن ان يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم ، وزيارة القبور ايا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين ايا كانوا ونداءهم لذلك وطلب الحاجات منهم عن قرب او بعد والنذر لهم وتشييد القبور لهم وسترها واضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتاول لهذه الأعمال سدا للذريعة · والدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة ، والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء ، والعقيدة اساس العمل ، وعمل القلب اهم من عمل الجارحة وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وان اختلفت مرتبة الطلب » (١) ·

وواضح من هذه « التعاليم » التي وجهها حسن البنا الى جماعته حرصه على تثبيت الاعتقاد على منهج السلف ، ولا يغضن من ذلك ايثاره الحكم على « الاستعانة بالمقبورين والنذر لهم وسترها واضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات » بانها « كبائر » وليست شركا او كفرا ، فلعله راعى تفشي الأمية والجهالة بين الواقعين في ذلك من بني قومه وقتذاك بحيث انهم لا يدركون المعنى الحقيقي والدلالة الصريحة الصحيحة لما يقولون او يفعلون ، وقد الحق بذلك ذكر معايير وضوابط دقيقة للتحري والحكم ، حيث اعقب ذلك مباشرة بقوله « والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التاكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل ناحية من نواحي الدنيا والدين فالعبرة

---

(١) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ص ٧ ـ ١١

بالمسميات لا بالأسماء » . كذلك لا يغضن من حرص الرجل على نهج السلف في الاعتقاد انه ذكر ان « الدعاء اذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه **خلاف فرعي في كيفية الدعاء** وليس من مسائل العقيدة » ، فيبدو انه قد آثر أخذ الأمر على ايسر وجوهه وما يجمع الناس ولا يفرقهم من القول بالتكفير ، ولا سيما ان ظلمات الجهل والتقليد كانت تخيم على العقول والقلوب ، حتى غابت دلالات العقل ومعاني الألفاظ وحقائق آيات الكتاب التي تتلى بين الناس بكرة وعشيا .

ولحسن البنا رسالة مفردة في « العقائد » لم تتم فصولها ونلاحظ فيها انه عرض عرضا مجملا صفات الله في القرآن ، واعتمد على ذكر آيات الكتاب الكريم التي وصف الله بها نفسه ، مع تعقيب بذكر ما ورد من صفات اصطلاحية عند الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين ، فهو يورد مثلا قوله تعالى « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** » (الحديد/٣) وقوله تعالى « **كل شيء هالك الا وجهه** » (القصص/٨٨) ثم يقول « **وفي هذه الآيات الكريمة اشارة الى صفتي القدم والبقاء لله تعالى** » ، ويورد قوله تعالى « **يأيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** » (فاطر/١٥) وقوله تعالى « **ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** » (الكهف/٥١) ثم يقول « وفي ذلك اشارة الى قيامه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقه ... » . وقد اورد الكاتب في رسالته مذهبي السلف والخلف في آيات الصفات واحاديثها فقال عن مذهب السلف « اما السلف رضوان الله عليهم فقالوا نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب ... الخ ، وكل ذلك بمعان لا ندركها ونترك الله تبارك وتعالى الاحاطة بعلمها » ثم يقول بعد ايراد اراء الخلف « **ونحن نعتقد ان رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني الى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل ، فان كنت ممن اسعده الله بطمأنينة الايمان وانثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا** » ونعتقد الى جانب هذا ان تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا ، وصدر الاسلام أوسع من هذا كله . وقد لجأ أشد الناس تمسكا برأي السلف رضوان الله عليهم الى التأويل في عدة مواطن ، وهو الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه من ذلك تأويله لحديث (الحجر الأسود

يمين الله فى أرضه) وقوله صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن) ... وقد بانت للامام النووى رضى الله عنـــه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين .... وخلاصة البحث أن السلف والخلف قد اتفقا أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق وهذا تاويل فى الجملة ، واتفقا كذلك على ان كل تاويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز فانحصر الخـــلاف فى تاويل الألفاظ بما يجوز فى الشرع ... واهم ما يجب أن تتوجه اليـــه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا الى ذلك سبيلا . على أن حسن البنا يورد فى هذه الرسالة عقب نقل أقوال السلف فى آيات الصـفات واحاديثها « اعـلم رحمك الله ان العصمة فى الـدين أن تنتهى حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الأفئدة وذكر أصله فى الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة فلا تخافن فى ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفســـه عينا ولا تكلفن بما وصف من ذلك قدرا ، وما انكرته نفسك ولم تجد ذكره فى كتاب ربـك ولا فى الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصـــفه بلسانك واصمت كما صمت الرب عنه من نفسه ، فان تكلفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل انكارك ما وصف منها ، فكما اعظمت ما جمع الجاحدون ممـــا وصف من نفســـــه فكذلك اعظم تكلف ما وصف الواصـــــفون مما لم يصف منها .... » (١) .

وبعد ، فالحق أن اهتمام حسن البنا بتصحيح الاعتقاد ، ووجوب انتهاج نهج السلف فيه ، وعدم الانشغال عن ذلك بالدعوة العامة للاسلام دون تفصيل وبيان أو بتنظيم الجماعة والاستكثار من فروعها وانصارها أو بجهاد الاستعمار ومواجهة الأحداث السياسية فى مصر والعالم الاسلامى ، يومىء الى فطنـــة الرجل وحسن معرفته بالاسلام واهمية العقيدة فيه واهميتها لكل اصلاح يدعى اليه بين المسلمين ، كما يومىء الى دوى الدعوة السلفية للشـيخ محمـــد بن عبد الوهاب الذى ولا يزال يتردد ويتجدد عبر السنين والأجيال .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٥٦ ــ ٤٥٨ ، ٤٧٩ ــ ٥٠٠

كذلك فان دعـوة ابى الأعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) فى شبه القارة الهندية على شمول مقاصدها فى اصلاح جوانب الحياة جميعا بهدى الاسلام الشامل الكامل بما ورد فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه المبعوث رحمة للعالمين ، قد أسست بناءها على العقيدة الصـحيحة ، واقامت عليها « الجماعة الاسلامية » التى تكونت فى لاهور سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م وما زالت قائمة حتى الآن فى دول شبه القارة الهندية ٠٠٠٠ يقـول المودودى فى مستهل رسالته « مبادىء الاسلام » : « الكفر جهل ، بل الجهل الحقيقى هو الكفر ! أى جهل أكبر وأدهى من جهل ما لا يعرف ربه ، يشاهد هذا الكون دائبا على عمله ليل نهار ثم لا يعرف من خلقه وأوحى اليه الدأب على عمله ؟ ٠٠٠٠ الكفر ظلم ، بل أعظم الظلم وأشنؤه هو الكفـر ٠٠٠ وقد عرفت أن كل ما فى السموات والأرض من شىء مذعن لأمر الله ، والذى يكفر بالله انما يتصرف فى أعضاء جسده على وجه لا يوافق فطرتها ٠٠٠ ليس الكفر بظلم فحسب بل هـو بغى وعدوان وجحود وكنود أيضا . أو ترى الانسان مالكا لشىء مما يجده بين يديه ؟ من ذا الذى خلق عقله ودماغه ؟ ٠٠٠٠ فقل لى بالله : هل هناك كفـر أفظع من كفر من لا يؤمن بالله ويأبى أن يقر له بالألوهية والربوبية ويعرض عن طاعته وامتثال أمره ؟ ٠٠ » ثم يقول الكاتب فى الفصل التالى « ان أول ما يجب على الانسان بهذا الصدد أن يكون موقنا من قلبه بوجود الله تعالى ٠٠٠ وكذلك يجب عليه أن يعرف صـفات الله تعـالى ، فانه اذا لم يعـرف أن الله واحـد لا شريك له فى الوهيته ، فكيف يرتدع عن طأطأة رأسـه ومد يده أمام غير الله ؟ ٠٠٠ فكل من عرف توحيد الله وصفاته الحقيقية وقانونه ومجـازاته لعباده على أعمالهم يوم القيامة ثم كان موقنا بكل ذلك من قرارة نفسـه هـو المؤمن ، ومن نتائج الايمان أن يكون الانسان مسلما أى مطيعا لله ومتبعـا لقانونه » ٠ ويوضح المودودى أهمية العقيدة الصحيحة فى تمييز المؤمنين فيذكر أن « الذين لا يؤمنون بالله ولكنك تراهم ظاهرا يأتون بأعمال تشـابه أعمال المسلمين فهم البغاة فى حقيقة الأمر ، وأما أعمالهم التى تراها صالحـة فى الظاهر فليست بطاعة لله ولا باتباع لقانونه فلا عبرة بهـا » ، فى حين أن أصحاب العقيدة الصحيحة « الذين يؤمنون بالله ولكن لا يجعلهم ايمانهم مطيعين له متبعين لأحكامه اتباعا كاملا ، فهؤلاء وان كان ايمانهم لم يبلغ درجة الكمال لكنهم مسلمون على كل حال يعاقبون بقدر معصيتهم » ٠ ثم يعـود الكاتب فى فصل لاحق لذكر الايمان مفصلا « فلما لم يكن هناك من سبيل الى معرفة ذات

الله تعالى وصفاته والطريق الذى يرضاه من عباده لقضاء حياتهم والكيفية الصحيحة لما يحصل لهم فى الآخرة من ثواب او عقاب على أعمالهم الا بالنبى المبعوث من عند الله تعالى كان التعريف الصحيح لدين الاسلام أن تؤمن بتعاليم النبى وتعبد الله وفقا لهدايته ... واول واهم ما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن نؤمن به هو لا اله الا الله ،.وهذه الكلمة هى التى يقوم عليها بناء الأسس وهى التى تميز المسلم من الكافر والمشرك والملحد وهى التى تحدث الفرق العظيم بين الانسان المؤمن بها والانسان المعرض عنها ... ولا يأتى هذا هذا الفرق العظيم بين الرجلين بمجرد نطق احدهما بكلمة ... الحق أن الفرق الحقيقى لا يحصى الا اذا نزل معنى هذه الكلمة فى سويداء قلبك وأيقنت بصدقها كل الايقان ... وعليك أن تعرف الآن ما هو (الاله) ، فمعناه لغة المستحق للعبادة اى من كان من حيث كبريائه وجلالة شانه وعلو منزلته جديرا بأن يعبده الناس ويطئطئوا له رءوسهم فى العبادة ، وكذلك يشمل معنى الاله انه القوى قوة جبارة يتحير العقل الانسانى فى ادراك مداها ، وكذلك يتضمن من كان غير محتاج الى أحد وكان الجميع محتاجين اليه مضطرين الى الاستعانة به فى جميع شئون حياتهم .... فمعنى لا اله الا الله انه ليس فى هذا الكون أحد جدير بأن يعبده الناس ويسجدوا له بالطاعة والعبادة الا الله ... وتعال تبين لك كيف يؤثر الاقرار بالتوحيد فى حياة الانسان ولماذا يكتب الاخفاق والخسران لمن لا يؤمن بهذه الكلمة . لا يمكن أن يكون المؤمن بهذه الكلمة ضيق النظر فانه يؤمن بالذى خلق السموات والأرض ويملك مشارق الأرض ومغاربها وهو رب العالمين يرزقهم ويربيهم . فهو لا يستغرب شيئا فى هذا الكون بعد هذا الايمان ... وليس فى هذا الكون شىء يقوم فى وجهه ويحد عليه عاطفة الحب والمواساة وخدمة الناس ، بل هو واسع النظر لا يضيقه شىء كما لا يضيق شىء ملك الله تعالى ... والايمان بهذه الكلمة ينشىء فى الانسان من الألفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شىء ... فهذا العلم اليقينى يغنيه عن غير الله وينزع من قلبه خوف سواه فلا يطأطىء رأسه أمام أحد من الخلق ولا يتضرع اليه ولا يرتعب منه ... وفى الوقت نفسه ينشىء الايمان بهذه الكلمة التواضع فى الانسان ، فالذى يقول بأن لا اله الا الله لا يمكن أن يكون بطرا متكبرا » . ثم يذكر المودودى فى فصل عن « العبادات » : « العبادة هى العبودية معنى وحقيقة ، فكل ما يأتى به العبد فى طاعة معبوده هو العبادة ... ان خوفك الله تعالى فى كل شان من شئون

حياتك وفي كل حين وجعلك مرضاة الله نصب عينيك واتباعك لقانونه ورفضك لكل منفعة تنالها او يمكن أن ينالها بمعصيته وصبرك على كل مضرة تصيبك أو يمكن ان تصيبك بطاعته ذلك كله من عبادتك لله تعالى . وحياتك بهذا الطريق من أولها الى اخرها عبادة ... وقد افترض الاسلام على الانسان مجموعة من العبادات تهيئه لهذه العبادة الكبيرة (الشاملة) » . ثم يعرض الكاتب لانحرافات التصوف ويقول « لا يحل لصوفي ان يتحلل من الصلاة والحج والزكاة ، ولا يحق له أن يخالف حكما بينه الله ورسوله الكريم في شأن من شئون الاقتصاد والاجتماع والمعاشرة والاخلاق والمعاملات والحقوق والواجبات وحدود الحلال والحرام ... انما التصوف في حقيقة الأمر حب صادق لله ورسوله وولوع بهما وتفان في سبيلهما والذى يقتضيه ذلك كله ألا ينحرف المسلم قيد شعرة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما القيام باحكامها بغاية من الاخلاص وصفاء النية وطهارة القلب » . ويعدد المودودى حقوق الله عز وجل « أولها أن يؤمن به ولا يشرك به ولا يتخذ غيره الها ولا ربا ، والثاني ان يذعن اذعانا تاما لما جاء به سبحانه من عنده من الحق والهداية ويؤدى هذا الحق بالايمان بمحمد رسول الله صلوات الله عليه . والثالث ان يطاع عز رجل ويؤدى هذا الحق باتباع شريعته كما بينها كتاب الله المجيد وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والرابع أن يعبد باداء الفرائض والواجبات ... » وينكر الكاتب على من زعم « انه لابد عند الله من شفاعة الشافعين من الأولياء والأرواح المقدسة واتخاذهم اليه وسيلة فهكذا يبقى في الذهن كثير من الأوهام الواهية على الرغم من اعتقاد التوحيد ولأجلها يتورط في أوحال الشرك والكفر . وذلك من نتائج الجهالة » (١)

وقد أجملت « الجماعة الاسلامية » دعوتها في خطاب القاه المودودى في اجتماع لها بقرية دار الاسلام في الهند في شهر ابريل سنة ١٩٤٥ م وكان عنوانه « الدعوة الاسلامية فكرة ومنهجا » ، وجاء في بيان أصول هذه الدعوة « دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا الها ولا ربا غيره . ودعوتنا لكل من اظهر الرضا بالاسلام

---

(١) المودودى : مبادىء الاسلام ـ طبعة الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات وطلابية سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١٠ ـ ١٣ ، ٦٥ ـ ٢٦ ، ٢٨ ـ ٣٠ ، ٧٨ ـ ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٢ ـ ٩٣ ، ١٢٨ ـ ١٣٠ ، ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٦٥

دينا أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض » . ويذكر المودودى فى خطابه سالف الذكر « ان العبودية لله الواحد الاحد التى ندعو اليها ليس المراد بها أن يقر العبد بعبوديته لله تعالى شانه ثم يبقى فى حياته العملية حرا طليقا كما كان من قبل فى حياته الجاهلية ، وكذلك ليس المقصود من عبودية العبد لله أن يعتقد كونه تعالى خالقا للكون رازقا لمن فى الأرض مستحقا للعبادة من جميع خلقه من غير أن يكون له سلطان فى هذه الحياة الدنيا ومسائلها وشئونها المتعددة المتشعبة .... والذى نراه ونجزم به ونعتقده وندعو الناس اليه أن العبودية التى دعا اليها رسل الله الكرام من لدن أبى البشر آدم عليه السلام إلى سيدنا وسيد المرسلين وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المراد بها أن يقر العبد ويعتقد انه ما من اله الا الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده السيد المطاع فى خلقه المالك لأمورهم المتصرف فى شئونهم المجازى على أعمالهم المشرع لهم وان يسلم نفسه لله العزيز المقتدر ويخلص دينه له تعالى وحده ويذعن لعبوديته فى كل شان من شئون حياته الفردية منها والجماعية ... » كما يقول فى خطاب آخر بالاجتماع السنوى للجماعة بكراتشى فى نوفمبر سنة ١٩٥١م « ليس لتوطيد العلاقة بالله الا طريق واحد هو أن يؤمن الانسان به وحده ربا والها لنفسه ولسائر المخلوقات فى السموات والأرض ، ولا يعتقد صفات الألوهية وحقوقها وصلاحها الا مختصة به سبحانه وأن يطهر قلبه من كل شائبة من شوائب الشرك » (١) .

ويذكر المودودى فى « موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه » : « أن الذين بلغهم تعليم الأنبياء وآمن أهلها بالوهية الواحد القهار قد زال عنهم الاعتقاد بسائر انواع الآلهة ولكن بقيت الوهية الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والمجاذيب والأقطاب والأبدال والعلماء والمشايخ والملوك الملقبين بظل الله فى الأرض ـ بقيت الوهية كل اولئك تجد سبيلها الى عقائدهم من هذا الطريق أو ذاك . واتخذت العقول الجاهلة عباد الله الصالحين الذين صرفوا اعمارهم فى ابطال الوهية العباد واقرار الوهية الله تعالى وحده الهة لها عوضا عن الهة المشركين . فمن جانب ابتدعوا مكان شعائر المشركين وتقاليدهم شريعة

---

(١) المودودى : تذكرة دعاة الاسلام ـ مطبوعات الجماعة الاسلامية بباكستان ـ لاهور ـ ط ٢ سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

جديدة من اعمال الفاتحة وزيارات القبور وتقديم النذور والصدقات والاحتفال بذكريات الموتى ووضع الصندل والتحف على الأضرحة ورفع الرايات والأعلام على توابيت الشهداء ، ومن جانب آخر أنشأوا من غير بينة علم خرافات قائم براسه عن خوالد اولئك الصالحين ووفياتهم وظهـــورهم وغيابهم وكمالاتهم وخوارق عاداتهم وتصرفاتهم وتقربهم الى الله تعالى ـ يضارع من جميـــع الوجوه خرافات المشركين ويناظرها ، ومنهم من جعـلوا كل ما يكون بين الله وعباده من الأعمال منوطا أمرها باولئك الصالحين بعد أن موهوها بطلاء من المصطلحات كالتوسل والمدد والتبرك ... فأصبحت الحال عند هؤلاء في واقع الأمر كما هي عند اهل الشرك الذين يعتقدون أن الملك الأعلى ابعد جدا من أن يصل اليه الانسان ، ولا تتصل جميع شئون حياة الانسان الا بعماله التابعين له ، ولم يعد بينهما من فرق سوى أن اولئك يصرحون بتسمية اولئك العمـــال الهة واوثانا او مظاهر للاله او ابناء الله ، وهؤلاء يخفون مكانهـــم من وراء حجب المصطلحات الأغواث والاقطاب والأبدال والأولياء واهل الله وما شاكلها من الألقاب .... وما زال هذا النوع من الجاهلية ـ جاهلية الشرك ـ يقـارن الجاهلية المحضة ويظاهرها في عصور التاريخ ... » (١) .

ويبين المودودي « ان القرآن قد بين في مواضـــع كثيرة أن الكفـــار والمشركين الذين كانوا في نزاع مستمر مع الأنبياء لم يكونوا من المنـــكرين لوجود الله ، بل كانوا يعترفون له بخلق السموات والأرض وبخلق أنفسهم وبأنه هو الذي يدبر الأمور .. ويوضح لنا القرآن أن الرسل كانوا يقولون في دعوتهـم لهم : ان الذي خلق السماء والأرض وخلقكم **انما هو ربكم والهكم** فلا تجعلوا لكم الها وربا من دونه ولا تجعلوا له اندادا ، ولكنهم لم يكونوا مســـتعدين لقبوله ... والعبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب بل العبـد الذي يعيش عيشة العبودية لله فحياته كلها عبادة ، سواء الصلاة والركوع والسجود والجد والسعي في طاعته والقيام بكل ما يأمر وينهى والانقياد له والطاعة في

---

(١) المودودي : موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه ، وواقع المســـلمين وسبيل النهوض بهم في مجلد واحد ـ دار الفكر ـ بيروت ط ٣ سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨ م ص ٢٢ ـ ٢٥ .

كل ما سن من شرع والمناصبة لكل ما يخالف أمره وتضحية النفس وبذل المهج في سبيل رضاه ـ هذه كلها عبادة وهذا هو المعنى الحقيقي للعبادة ٠٠٠٠ وان نوعا من البشر يدعي الألوهية والربوبية بشرا من غير استخفاء ، وهناك نوع آخر لم يتهيأ له مثل تلك القوة والوسائل ، فهم يتسلحون بأسلحة من الشعوذة والدجل ٠٠٠٠ ومنهم رجال يحترفون الكهانة والتنجيم واستخراج الفـــال وكتابة التعاويذ والرقى ، ومنهم من يعترفون بأنهم عباد لله ولكنهم يرون انـه لا يمكن الوصول اليه تباركت اسماؤهم مباشرة من دون وساطة ٠٠٠٠ فقـد تبين لك أن الوهية الناس على الناس انما هي أصل جميع ما مني به البشـــر اليوم من البؤس والشقاء ٠٠٠٠ وليس لهذا بالألوهية والربوبية فهـــذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الانســـانية وقطاع ســـبيل البشرية » (١) ٠

ولقد دأب المودودي على اطلاق وصف « الجاهلية » على كل مجتمـــع يسوده تأليه غير الله أو اشراك آلهة أخرى معه سبحانه ، ولـــو كان أفراده يتسمون بأسماء المسلمين ويتخذون مظاهر سلوكهم ٠ ويشهد هذا بتأثير عميق للدعوة السلفية في فكر هذه الجماعة القائمة في الهند ـ الأرض التي تزخر من قديم بعقائد متباينة وتراث من أفكار ورياضات روحية تسرب الى عقـــائد المسلمين وشعائرهم في بعض الأحيان ٠

صور أخرى لتأثير الدعوة السلفية في الجماعات الاسلامية المعاصرة :

وثمة صور أخرى لتأثير الدعوة السلفية التي اضطلع بها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في الجماعات الاسلامية المعاصرة وأولى هذه الصور قيـــام جمعيات أنصار السنة بوجه خاص والجمعيات السلفية بوجه عام في أنحـــاء العالم الاسلامي ، تدعو الى التمسك بالكتاب والسنة وتحارب ما طرأ عـــلى العقيدة الاسلامية من انحرافات تصل الى الشرك أحيانا ، وما طرأ على شعائر العبادة من بدع ، وتوجه الى التزام السنة في القول والمظهر والسلوك ، وتكاد أن تحصر نشاطها في هذا المجال فلا تشغل نفسها بغير ذلك من المشـــكلات

---

(١) رسالة « نظرية الاسلام السياسية » للمودودي ، وانظر رســـالته « الدين القيم » ٠

الاجتماعية والسياسية العامة للمسلمين بل تركز جهـــودها على تصـــحيح العقيدة والعبادة وتؤمن بأن هذا سوف يكون اساسا لاصلاح آخر · ومن ذلـك جماعة انصار السنة بمصر التى اسسها محمد حامد الفقى رحمه الله ، كمـا قامت جماعة انصار السنة بالسودان سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م تدعـــو الى التوحيد الخالص المطهر من جميـــع انواع الشرك والتزام صريح الكتـــاب وصحيح السنة ومجانبة البدع ومحدثات الأمور والقضاء على الخـــرافات والتقاليد المخالفة لهدى الاسلام (١) ·

★ ★ ★

بل ان تاثير الدعوة السلفية قد وصل الى الطرق الصوفية نفســـها ، فقامت محاولات لاصلاح الطرق الصوفية من داخلها ، يقول الشيخ محمد رشيد رضا « لما هاجرت الى مصر سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩١ م كان أول اصلاح سعيت اليه ان حاولت اقناع مشايخ الطرق الصوفية (الشيخ البكرى) بالقيام بهـذا الاصلاح ، كلمته بذلك قبل اصدارى (المنار) ثم ما زلت الح عليه فى ذلك وهو يسوف مع الاستحسان ، حتى عمد الى وضع لائحة رسمية ولائحة داخلية ثـم وضع كتابا فى الأخلاق والآداب · ثم انه سالنى عن رايى فقلت : ان الاصلاح لا يقوم الا برجال من اهل العلم الصحيح والأخلاق والغيرة يناط بهم امر هـذه الطرق كلها ، ثم علمت بعد طول السعى أن ما حاولت من الاستعانة بهـــذه السلطة الرسمية عـلى هـذا الاصـــلاح الروحى يكاد يكون من محـــالات العادات ! » (٢) ·

والشيخ محمد توفيق البكرى كان نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطـرق الصوفية بمصر وكان شاعرا اديبا (١٢٨٧ ـ ١٣٥١ هـ / ١٨٧٠ ـ ١٩٣٢ م)

ولم تكن الطرق الصوفية مهيئة لأى اصلاح بحكم اصول قيامها وكيانها ، وتصور قابليتها للاصلاح بحيث تكون الطرق الصوفية سلفية هو تصور لاجتماع

---

(١) عبد المجيد عابدين : الثقافة العربية فى السودان ص ١٧١ ·

(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ـ دار المنار بالقـــاهرة ـ ج ١ ص ١٢٩ ·

المتناقضات او لمحاولات العادات ـ كما عبر الشيخ محمد رشيد رضا بعد تجربة ! وانما موضع الملاحظة والدلاله ان الطرق الصوفية ذاتها ومشيختها قد شعرت بحاجتها الى الاصلاح تحت وطأة النقد الذى اثارته الدعوة السلفية .... وما زال شيوخ مشايخ الطرق الصوفية المتعاقبين فى مصر يبحثون فى اصلاح الطرق او تحقيق المحال حتى اليوم !!

* * *

وثمة نزوع عند البعض الى اقامة **جماعات صوفية سلفية مستحدثة** النشاة ، واصحاب هذه النزعة آمنوا باستحالة اصلاح الطرق وهم يميلون الى التربية الصوفية ، لكن تاثير الدعوة السلفية على عقولهم وقلوبهم قد دفعهم الى محاولة اقامة جماعات صوفية جديدة على غير قواعد الطرق ، تركز على اصلاح النفوس بالتربية الصوفية بشرط أن يمحص كل ما يبذل من محاولات لتزكية النفس بالصلاة او الصوم او الدعاء او غير ذلك فياتى موافقا للكتاب والسنة وتزكى العلاقة بين المريد والشيخ او بين المربى والمربى ، اذا تجنبنا المصطلحات الصوفية المتعارف عليها وكذلك العلاقات بين اعضاء الجماعة بحيث تقوم على اخلاق الاسلام وآدابه ، وبالنسبة للثقافة الصوفية او كتب الوعظ والتذكير يعتمد هؤلاء على ما ينسب للحسن البصرى ، وكتاب عبد الله بن محمد بن على الهروى الأنصارى (ت ٤٨٢ هـ) « منازل السلف » وشرحه « مدارج السالكين » لابن القيم وبعض كتابات عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٦ هـ) وبعض كتابات ابن القيم (٧٥٠ هـ) مثل « الروح » او « حادى الأرواح الى بلاد الأفراح » .

ومن امثلة هذه الجماعات : **العشيرة المحمدية فى مصر** التى انشاها احد علماء الأزهر الذى كان من اوائل الذين حصلوا من الجامع الأزهر على درجة العالمية من درجة استاذ هو الشيخ محمد زكى ابراهيم ، وللجماعة صحيفة تسير على منهجها فى التوجيه هى مجلة المسلم ، كما تنظم المحاضرات العامة (١) .

---

(١) لعل ابرز مثال لهذه الجماعات « **جماعة التبليغ** » التى قامت اول امرها فى شبه القارة الهندية ثم انتشر نشاطها خارجها ووصلت بلداننا عربية ، ولكن

ولا تزال الكتب تخرج تدعو الى الاهتمام بالعنصر الشخصي في التوجيه والارشاد ـ وهو الأساس في التربية الصوفية ، ومن احدثها كتاب يقـــول صاحبه في فصل عنوانه (تجديد الدين) كثيراً ما يتحدث مفكرو الاســـلام المعاصرون عن (المنهج) الاسلامي في تربية الفرد واقامة الجماعة ، ولعـــل اكثرهم ولوعا بذلك سيد قطب رحمه الله ، وهو رجل عاش (في ظلال القرآن)

كما قال بضعا وعشرين وستة وتجد فيما كتب بركة ذلك ونور كتـــاب الله ، بيد انه رحمه الله لا يذكر نقطة البدء في حركة الاسلام الأولى على كثرة ما كتب ... الا وهي لقاء الانسان بنور الهداية في شخص حامل الهـــداية ، ويبدو الأمر وكان مفكروا الاسلام نسوا هذه الظاهرة التي فتنت معـــاصري الرسول الكريم : ظاهرة الاهتداء المفاجيء والتحول الغريب الذي يطرأ عـلى المفكر بمجرد اتصاله بحامل الرسالة الالهية .... والطاقة التي تحول الناس بهذا المقدار وبهذه السرعة وتلفت كل همهم من قيمهم الموروثة الى قيم جديدة لا تكمن في فصاحة الداعي الى الله المرسل من عنده ولا في رغبة المدعـــو وحنينه الى تغيير ما كان فيه من عقائد واحوال ، انما تكمن في شخص الداعي الى الله باذنه الذي انزل معه نور . وهذه الطاقة هذا النور ، هذا المغنـاطيس الروحي للداعي الى الله الاكبر عليه صلوات الله وسلامه كانت المحـرك الأول للاسلام وهي نفسها التي تعيد الى الاسلام حيويته كلما برز الى الناس رجـل صادق يدعو الى الله وهو على بصيرة من امره ورضا من ربه . هذه الطـاقة هي مناط الوراثة النبوية في قول الرسول الكريم (العلماء ورثة الأنبيـــاء)

ليس عندي الكثير من المعلومات عنها ، يقول عنها الشيخ علي الطنـطاوي في مقال بمجلة (المسلمون) في عددها العاشر من سنة ١٩٥٦ م (أما دعوة رجال التبليغ فقد اسسها الشيخ الياس والزم فيها تلامذته ان يبذلوا لها قليـــلا من اوقاتهم يسيحون فيها في البلاد على نفقة انفسهم لا يسالون أحدا معونة بل لا يقبلون المعونة من أحد ، يدعون الى الله ويبلغون المسلمين رسالة الاســلام) ويقول عنهم أحد الكتاب ، يعمل رجال التبليغ عملا جماعيا فيصحب المتطـوع الجديد من لهم القدم في الدعوة وتتخذ المبايعة عندهم شكل النذر المتجـــدد للخروج في سبيل الله ولهم اذكار مرتبة وهم اشد الناس تعلقا بالسنة وباعمال الرسول (ص) واحواله وقد الف لهم الشيخ محمد يوسف كتاب (حيـــاة الصحابة) ومن مبادئهم الأساسية ترك مالا يعنى » ـ عبد الســـلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة ـ الدار البيضاء ١٣٩٢ هـ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

باقية فى هذه الأمة تفعل فعلها متى تمت شروط وجود الداعى الى الله الوارث الصادق ٠٠٠٠ ان الذى يبحث عنه مفكرو الاسلام ليس (منهجا) قوامه دعوة وجهاد وصبر فقط ، !كنه (منهاج) قوامه الدعوة المؤيدة من الغيب المركزة فى شخص الداعى المشرع المرسل أو **المتبع على بصيرة** ، ثم يأتى جهـــد الدعو وصبره وجهاده ٠٠٠٠ انبعاث الأمة اذن رهن ببروز المجدد رجـــل الدعـوة الصادق » ٠ كما يقول الكاتب فى موضع اخر عن فكر سيد قطب « ولعل رحمه الله حسب أن الفكر يغنى عن الصحبة السنية التى سموها متوفية » « الاسلام كما هو فى حقيقته **تجربة انسانية يتعرض لها الفرد ثم يسرى مفعولهـــا من** الأفراد الى الجماعة » ويصف الاسلام أيضا على انه « **لقاء بين الانسان وعالم الغيب** ، بين العقل وما فوق العقل ، بين ارادة الانسان وارادة الله » ٠ على أن المؤلف وأع بالسلبيات القائمة للفكر الصوفى والسلوك الصوفى فى صـــدد تعريف الولى وفى صدد العلاقة التى تربط المريد بشيخه حيا وميتا ، وهنا يظهر اثر الدعوة السلفية فى محاولته تصحيح تلك العلاقة التى يؤمن بها اساســـا للتغيير سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة ، استمع اليه يقـــول « **الأوليـــاء والصالحون هم زبدة الأمة ، وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون** ، وهم الذين أحبهم الله تعالى ، كافاهم بأن أصبح لهم عينا ويدا وعونا ومؤيدا ٠ **ولـكن المسلمين فى تدهورهم العقدى والتاريخى اتخذوا قبور الأولياء الأموات أوثانا** ، ونسوا طريق السعى الى تحقيق قابلياتهم للكمال كما حقق رجال الله العاملون » ٠٠ ويقول الكاتب « والذكر باللسان والقلب يجدد الولاء لله وارادة التقرب منـــه ٠٠٠٠ ومن بين الحرفين من ينكر أن **يكون فى القرآن امر بالذكر باللســـان** واتخاذ ورد عندهم كفر ٠ ولسنا نحب أن نعود الى جدل مزق أوصال الاسلام ، لأن الورد أو اللا ورد واتخاذ الشيخ والاستغناء عنه امور احســـانية ، فمتى كانت همة من يجادلك لا تتجاوز النطق الاسلامى الى العمل الاسلامى ثـم الى التزكية الروحية التى هى طريق الفلاح قال بهواه ورايه ، ولا نسمع الا لمن قال عن تجربة ومعاناة ٠٠٠٠ وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حث على صحبة الأخيار ومجالسة الذاكرين والصبر معهم ٠٠٠٠ ابتداء من المســـلم الغائر أو المسلم الجغرافى أو المرتد تبدأ عملية تربية اساسها الصحبة وقوامها ذكر الله ، ومجالها وقت المريد تستغرقه كله بالعبادات والأوراد ، واخص مجال هذه التربية مجالس الذكر لأن بذكر الله تطمئن القلوب ٠٠٠٠ العملية عمليـة تربية بمعنى المعالجة الدائمة ، بمعنى التزكية » ٠ ويرى المؤلف ــ وهو مغربى ــ

ان « جماعة الاخوان السنوسيين على عهد الامام محمد بن على الشـــيخ المؤسس حامل السر كانت اقوى بنية واكثر تمكنا فى ميادين التربية العمليـــة والسلوك الصوفى السائر بالمريد لكماله الروحى ، وكانت بنية الجماعة تعتمد على تصنيف صوفى : فهناك العامة والخاصة وخاصة الخاصة ، أو قل بلسان نبوى : مسلمون ومؤمنون ومحسنون » . وهو يقول « على رجال الدعـوة أن يبشروا للمسلمين أن لله أولياء جعلهم رحمة فى خلقه ويدلوهم على الصحبة ويدلوهم على المحبة الالهية .... فى دنيا العنف والكراهية ينبغى لرجـــال الدعوة أن يدلوا على المحبة وعلى المودة والرفق ، قيمة الانسان لا يعثر عليها الا فى المحبة ولن تقنعه القيم الاقتصادية والاستراحية التى تقوم عليهـــا الحضارة المادية . ان طلبة الانسانية فى الاسلام عند المسلمين ، وان أول خطوة للتأكد من ذلك أن تصحب وليا لله عارفا بالله يسلك بك الى المنهاج النبـــوى طريق معرفة الله والايمان اليقينى بغيبه وآخرته ورضـــوانه » . وللكاتب آراء يذهب فيها مع صوفيته الى ما يصدم السلفى الذى تربى شعوره وفكره عـلى الدعوة السلفية ، لكن تأثر الكاتب بالدعوة السلفية يبدو فى تأكيـده أن الولى العارف بالله انما يسلك بالمريد « على المنهاج النبوى » ، كما يبدو تأثره جليا فيما يكتبه عن الدعوة السلفية التى اضطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهـاب والحركة التى ازره عليها الامام محمد بن سعود . يقول : « ان الحـــركة السعودية الوهابية كانت فى هذا القرن أروع صفحـــة فى التجـديد والجهاد الاسلاميين .... وتحرك الموحدين السعوديين وأسندوا ظهرهم لله بينما كان غيرهم يستند الى دعوة الكافرين ، ونصرهم الله وكاد بهم لأعداء الاسلام ... **ان لقاء الدعوة الموحدة الوهابية بالأسرة السعودية كان واحدا من هـــذه اللقاءات المباركة التى جمعت صدق رجال الدعوة بصدق القيادة الجهـادية ، ولما أزهر هذا اللقاء بعد قرنين خرج نتاجه طيبا . وكانت الدعوة الوهابية رد فعل ضد انحدار الاسلام الصوفى الذى أصبح عبادة للقبور ، فلما بلغت الدعوة مداها أصبحت فعلا ومبادرة فى بناء دولة مسلمة هى اليوم معقل من معـاقل** الاسلام تعقد عليه الآمال وينصب له أعداء الاسلام العداء ويطوقونه » (١)

---

(١) عبد السلام ياسين : الاسلام بين الدعوة والدولة ، المنهاج النبوى لتغيير الانسان ـ الدار البيضاء سنة ١٣٩٢ هـ ص ١٨ ـ ٢٢ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٦ ـ ٦٩ ، ٢١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ، ٤٧١

ولست بصدد تقويم هذه المحاولات لايجاد « صوفية سلفية » فى هـــذا المقام على كل حال لا ارى امكانا للخلاص من الركام التاريخى للصوفية لمـــن سلك مسلكهم وولج الى متاهتهم ، وارى المحاولة قائمة على تناقض اصـــيل وامل واهم موهوم ٠

★ ★ ★

وثمة تاثر سلبى بالدعوة السلفية هى منه براء ، ولكن لا تخلو دعـــوة ايا كانت من اعتساف المعتسفين فى فهمها والتوائهم بمعانيها وحقائقها ، ولقد قال عز وجل عن كتابه العزيز « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ٠ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض اولئك هم الخاسرون (البقرة/٢٦ـ٢٧) ، وقال عز من قائل عن انبيائه الأكرمين صلوات الله عليهم « وكذلك جعلنا لكل نبى عـدوا شياطين الانسان والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولـو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ، ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنـــون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » (الانعام / ١١٢ ـ ١١٣) ٠

ان بعض المسلمين من مختلف البلدان لم يفهم من الدعوة الســـلفية الا انها « رفض » مستمر « للواقع المعاصر » ايا كان ، « وتصلب على القديم » ايا كان ، وانطلاق فى وصف الأفراد والمجتمعات القائمـــة بالـــكفر والشرك والجاهلية ٠

ولم يفهم الرجوع الى الكتاب والسنة الا على انه اهدار لكل فئة ولو كان لا يقوم الا على الكتاب والسنة ، واقتناص لأحاديث متفرقة ، دون تكلف مشقة متابعة الأحاديث الواردة فى موضوع ما وتحقيق مدى قوتها والجمع بينهـــا للاستنباط منها جميعها دون مخالفة شىء منها اذا امكن ، او الترجيح بينهـــا اذا تعذر الجمع وفقا للمناهج والقواعد المتبعة فى ذلك ٠

و « الرفض » المطلق يسير ٠٠٠٠ و « الانكار » الدائم يســـير ٠٠٠٠ و « الشكوى » المطردة من فساد الزمان وعصيان المسلمين يسيرة ٠٠٠٠ وانما العبء الذى لا ينهض به الا اولو الألباب والبصائر والعزائم هو فى النظـــرة الفاحصة المحصة للواقع والجديد ، والتمييز البصير الرشيد لما يتفق مـــع الاسلام وما يخالفه ، والاستفادة من الحكمة ضالة المؤمن واتباع احســـن القول والعمل ٠٠٠ وقد فرق ديننا بين ما لا يكون فيه الا الاتبـــاع المحض من أمور العقيدة والعبادة والشريعة ، وما يكون محل الاجتهاد والاباحـــة وليس بشرط فيه أن يكون كل قديم افضل من أى جديد ٠

يقول كاتب مغربى مثلا « ٠٠٠ الذاتية الاسلامية والاستقلال فى الـــرأى والرجولة فى الميدان ، لا تقاس باعراض التفتح الثقافى الذى يفتقده المثقفون عند فقهاء نجد فيسخرون من ضيق نظرة المشايخ البادين ٠ ولو تأمل المثقفون لعرفوا اصالة الذى يلعن شيطان المخترعات ولتراءى لهـــم ما كان يمكن ان تعطيه هذه الأصالة من فاعلية امام عدو غاز مكفر لهم فهل ترى لابد ان تكون « الاصالة » فى « لعن شيطان المخترعات » ؟؟ ٠٠٠٠ وهب كان ذلك مقبـــولا عندما يظهر فى صورة انفعال طارىء ورد فعل موقوت ، فهل يكون هو الأصل الثابت والقاعدة المطردة ؟؟

الم يقبل رسول الاسلام صلوات الله عليه مشورة حفر « الخندق » يـوم الأحزاب من سلمـــان الفارسى ٠٠٠٠ واستعمل « المنجنيق » فى حصـــار الطائف ؟؟

جاء فى « الطبقات » : « فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشرة الاف وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر وعناج الأمر الى ابى سفيان بن حرب ٠ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قصولهم من مكـة ندب الناس واخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى امرهم ، **فاشار عليـــه سلمان الفارسى بالخندق فاعجب ذلك المسلمين** ، وعسكر بهم رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وجعل سلعا خلف ظهره ٠٠٠ وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بيده لينشط المسلمين ووكل بكل جانب منه قوما » (١) ٠

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ــ دار صادر بيروت ــ جـ ٢ ص ٦٦

وفى حصار الطائف جاء فى « الطبقات » « **ونصب ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم المنجنيق ونثر الحسك سقبين من عيدان حول الحصن** .... » « عن مكحول : ان النبى صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف اربعين يوما (١) وروى ابن هشام : « ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق » حدثنى من اثق به : **ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق** ـ رمى به اهل الطائف ، قال ابن اسحاق : حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل » (٢)

وروى القاضى ابو يوسف فى كتاب « الخراج » عن أبى هريرة .. « قال : قدمت من البحرين بخمسمائة الف درهم فاتيت عمر بن الخطاب ممسيا فقلت : يا امير المؤمنين اقبض هذا المال ، قال : وكم هو ؟ قلت : خمسمائة الف درهم .... قال : انت ناعس ، اذهب فبت الليلة حتى تصبح ، فلما اصبحت أتيته فقلت : اقبض منى هذا المال ، قال : وكم هو ؟ قلت : خمسمائة الف درهم ، قال أمن طيب هو ؟ قلت : لا أعلم الا ذاك ، فقال عمر : ايها الناس انه قد جاء مال كثير فان شئتم ان نكيله لكم كلنا وان شئتم ان نعد لكم عددنا وان شئتم أن نزن لكم وزنا لكم ، **فقال رجل من القوم : يا امير المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها فاشتهى عمر ذلك** ، فعرض للمهاجرين خمسة الاف خمسة الاف وللأنصار ثلاثة الاف ثلاثة الاف ولأزواج النبى صلى الله عليه وسلم اثنى عشر الفا .... وجعل عمر الى زيد بن ثابت عطاء الأنصار فبدا باهل العوالى فبدا ببنى عبد الأشهل ثم الأوس ليعد منازلهم ثم الخزرج حتى كان هو آخر الناس وهم بنو مالك بن النجار وهم حول المسجد .... عن السائب بن يزيد عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : والله الذى لا اله الا هو ما أحد الا وله فى هذا المال حق اعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد الا عبد مملوك وما انا فيه الا كاحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٥٩

(٢) سيرة ابن هشام : تحقيق مصطفى السقا وزملائه ـ ط ٢ القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ـ القسم الثانى ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وتلاؤه فى الاسلام (وفى رواية : وبلاؤه) والرجل وقدمه فى الاسلام والرجل وغناؤه فى الاسلام والرجل وحاجته فى الاسلام ، والله لئن بقيت لياتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه يعنى فى طلبه ٠٠٠٠ وكان يفرض لأمراء الجيوش والقرى فى العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور ٠ قالوا : وكان للمنفوس اذا طرحته أمه مائة درهم فاذا ترعرع بلغ به مائتين فاذا بلغ زاده ، قال ولما رأى المال قد كثر قال : لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لألحقنهم آخر الناس بأولادهم حتى يكونوا فى العطاء سواء ٠٠٠ فتوفى رحمه الله قبل ذلك » (١) ٠ وهكذا انتقل الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من كيل المال وتفريقه على المسلمين الى فرض الرواتب المقدرة وحفظ السجلات المنظمة فى الدواوين بمشورة واحد من المسلمين ، ومن المعروف أن كلمة ديوان أصلها فارسى ، والتنظيم كله جديد على العرب المسلمين « قال على بن أبى طالب لعمر : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسبت أن ينتشر الأمر ، فقال الوليد هشام بن المغيرة : **قد جئت الشام فرأيت ملوكها (اى ملوك الروم) قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا فأخذ بقوله** ٠٠ (٢) « فلما وضع عمر الديوان قال أبو سفيان بن حرب : **أديوان مثل ديوان بنى الاصفر ؟ انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة ، فقال عمر : لابد من هذا فقد كثر فيء المسلمين** » (٣)

« ٠٠٠ عن عقبه بن نافع عن ابن عمر أن عمر كان لا يفرض للمولود حتى

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ــ المطبعة السلفية بالقاهرة ــ ط ٤ سنة ١٣٩٢ هـ ص ٤٨ ــ ٥٠

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان مراجعة رضوان محمد رضوان ــ القاهرة ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ (رواية محمد بن سعد عن الواقدى) ٠

(٣) المصدر السابق ص ٤٤٤ (رواية الشعبى) ٠

يفطم ، ثم نادى مناديه : لا تعجلوا اولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولـود في الاسلام » (١) ٠

يقول ابن خلدون : « ٠٠٠ **واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشـارع مطية للآخرة ، ومن فقد المطية فقد الوصول ، وليس مراده فيـما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلاعه من أصـله وتعطيل القوى التي تنشأ عنها بالكلية ، انما قصده تصريفها في اغراض الحق** جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم (من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) ٠ **فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان** ، فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله ، وانمـا يذم الغضب للشيطان وللاغراض الذميمـة ، **فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحا** ــ وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وكذلك ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية ، فان من بطلت شـهوته كان نقصا في حقه ، **وانما المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية** ٠ وكذا العصبية حيث ذمهـا الشارع وقال (لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم) فانمـا مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت في الجاهلية وان يكون لأحد فخر بهـا او حق على احد ، لأن ذلك مجافة في افعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار ٠ **فاما اذا كانت العصبية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب** ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبـل ٠ **وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهـر الكافة على الدين ومراعاة المصالح** ، وانما ذمه لما فيه من التغلب بالباطل وتصرف الآدميين طوع الأغراض والشهوات كما قلناه ، **فلو كان الملك مخلصا في غلبة للناس انه لله ولحملهم على عبادة الله وجهاد العدو لم يكن ذلك مذموما** ٠ وقد قال سليمـان صلوات الله عليه (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والملك ٠ ولما لقي معاوية عمر بن الخطاب عنـد قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديد والعـدة استنكر ذلك وقال :

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤٥

اكسروية يا معاوية ؟ فقال : يا امير المؤمنين انا في ثغر تجاه العدو وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة ، فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه عبرة من مقاصد الحق والدين · فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنعه هـذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهـــم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلوك سبله والغفلة عن الله ، واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله ، فسكت · وهكذا كان شان الصحابة في رفض الملك واحواله ونسيان عوائده حذرا من التباسها بالباطل ··· واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبداوة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها ، لا من حيث دينهم (فقط) الذى يدعوهم الى الزهد في النعيم ، (بل) من حيث بداوتهم ومواطنهم (ايضـــا) وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفه الذى ألفوه · فلم تكن امة اســـغب عيشا من مضر لما كانوا بالحجاز في ارض غير ذات زرع ولا ضرع ··· حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله من نبوة محمد صـــلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصدق فاتبزوا ملكهم واستباحوا دنياهم ، فزخرت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغـــزوات ثلاثون ألفا من الذهب أو نحوها ، فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم ··· وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما كانوا ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم ما كانت لأحد من اهل العالم ، قال المسـعودى : في ايام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال ، فكان له يوم قتـــل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم ، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة · وبلغ الثمـــن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة ، وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك ، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفا ، وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفئوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف دينار ، وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحه داره بالكوفة وشيد داره بالمدينـــة وبناها بالجص والآجر

والساج ، وبنى سعد بن ابى وقاص داره بالعقبة ورفع سمكها واوسع فضاءها وجعل على اعلاها شرفات ، وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظهر والباطن ... انتهى كلام المسعودى . **فكانت مكاسب القوم كمـــا تراه لم يكن ذلك منعيا عليهم فى دينهم اذ هى اموال حلال وغنائم وفيـوء ، ولـــم يكـــن تصرفهم فيها باسراف** اذ كانوا على قصد فى احوالهم كما قلناه ، فلم يكن ذلك بقادح فيهم : **وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانمـا يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد ، واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم فى سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتسـاب** الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التى هى مقتضى العصبية كما قلناه وحصر التغلب والقهـــر ، **كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرفه والاستكثار من الاحوال ، فلم يصرفوا ذلك التغلب فى باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق** » (١) .

وتحليل دقيق عميق للواقع مثل تحليل ابن خلدون رحمه الله اعسر كثيرا على العقول الساذجة من « الرفض » المطلق ... والمسلمون محتـــاجون الى التحليل والتمييز والسبر العميق لفهـــــم الواقع وتلبية الحاجات المشروعة بالوسائل المشروعة ، والانتفاع من مباحات الله وما اتاحه للناس من علم وحكمة وقوة واستثمار الطيبات لصالح المسلمين « يا بنى آدم خذوا زينتكم عنـــد كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينـــة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين امنوا فى الحيـاة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وان تشـــركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله مالا تعلمون » (الأعراف / ٣١ ــ ٣٣) ، « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هـــذا حـلال وهذا حـرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متـاع قليل ولهم عذاب اليم » (النحل / ١١٦ ــ ١١٧) « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكـم

---

(١) ابن خلدون : المقدمة وهى المجلد الأول من تاريخه ــ ط ٣ ــ مكتبـة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى ــ بيروت سنة ١٩٦٧ م ص ٣٥٨ ــ ٣٦٤

To: www.al-mostafa.com

الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون » (المائدة ٨٧ ــ ٨٨) ، « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » (القصص/٧٧) ٠

واولى من الاسترخاء والسلبية فى مواجهة الواقع وترك الأمور تجرى فى أعنتها دون توجيه أو ترشيد ، واولى من الانطلاق وراء الوصف بالكفر والشرك والجاهلية والفسوق والمروق لكل وضع معاصر ، اولى من هذا وذاك الاجتهاد فى تمييز المقبول وغيره ، واقتراح البديل المحدد الملائم الموافق لمقاصد الشريعة واحكامها اذا دعت الحاجة ، بدلا من الدعوة الى ترك الواقع المباح الذى قد يستلزم بذل الجهد لتحقيق بعض الضبط والتقويم ــ باسم الرجوع الى ما كان عليه السلف ، فانما الرجوع الى ما كان عليه السلف لازم فى امور العقيدة والعبادة واحكام الشريعة الثابتة الواجبة والمندوبة ، اما ما كانوا عليه من الأمور الجائزة أو المباحة فلا يلزم التأسى فيه ، ولكل ظروفه واحواله وحاجاته ، والأولى الاجتهاد كذلك فى اقتراح وسائل استثمار نعم الله لتحقيق نفع عباده افرادا وامة ودولة بحيث ترشيد الانفاق وفق اوامر الله ومقاصد شريعته ، وتتحقق العدالة للافراد والقوة للمجموع ، وان هذا التمييز والاستيعاب للواقع الحضارى القائم ، هو مقدمة ضرورية للاسهام الايجابى فى الحضارة العالمية وتقديم ما هو افضل ٠

ان الاسلام يتطلب جهودا فكرية وعملية ، ايجابية جادة ، وانها لتستلزم عناء ودأبا واصرارا ، فى وقت تواجه فيه امة الاسلام بدينها وبمواردها ومواقعها العواصف الهوج العاتية من مطامع الخارج ، وتواجه رياح التغيير والتطور فى الداخل ٠٠٠٠ وطوبى لأولى الألباب والبصائر والعزائم اذا كدوا لالتماس سبيل الرشد والتوجيه القصدى لكل طاقاتنا اليه فلا تنفلت او تتسرب او تتبدد ٠٠٠ وطوبى لمن جعل صلابة ايمانه واستقامة عقيدته قوة « موجبة » تضاعف طاقات أمته وتسارع خطوها وتثبتها على الحق والهدى حتى تكون امة الاسلام فى هذا العصر دعوة حية لدين الاسلام ورحمة الله المهداة للعالمين ٠

« ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ، انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشـــــاء ورحمتى وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبـــــائث ،

ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحـون » (الأعـــــراف / ١٥٥ ــ ١٥٧) •

« ••• قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبـــــع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة / ١٥ ــ ١٦) •

* * *

(يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) الأنفال / ٢٩

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين ومن رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ، والله غفور رحيم) الحديد / ٢٨

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) الكهف / ١٠

(••• ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير • ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم) الممتحنة / ٤ ــ ٥

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب واثابه جزاء ما قدم من خير لدينه وأمته ، وكتب له أجر دعوته الى الحق والهدى وأجر من انتفع بها من المسلمين أفرادا وجماعات ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ــ ان شـــــاء الله ــ وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين •

د • محمد فتحى عثمان

الفهـــــرس

صـفحة

- السلفية فى المجتمعات المعاصرة ٣
- حقيقة السلفين ٤
- معنى السلفية ٦
- السلفية دعوة موافقة لكل عصر ومعاصرة دائما ١١
- السلفية رجوع الى هدى السلف منذ عصر الرسالة ٢٠
- صور من انحراف الاعتقاد والسلوك ٢٢
- الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣١
- دعوة وحركة ٣٢
- متبع غير مبتدع ٤٠
- رسائل الشيخ العامة والخاصة ٤٣
- الجهـــــاد ٤٤
- الدعوة السلفين تكشف باطل القبوريين والمتصوفة ٤٨
- التاثير المستمر للدعوة فى المسلمين ٦١
- تاثير الدعوة السلفية فى المسلم المعاصر (الفرد المثقف العادى) ٦٧
- تاثير الدعوة السلفية على علماء الدين والمفكرين المسلمين وعلى تعليم الدين فى المجتمعات المعاصرة ٧٣

(الشوكانى ـ محمد عبده ـ رشيد رضا ـ الكواكبى ـ احمد امين ـ العقاد ـ طه حسين ـ تعليم الدين : الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى بمصر ، فى المغرب ، فى الهند ـ مؤلفات فى تاريخ دعوات الاصلاح الاسلامى)

- تاثير الدعوة السلفية على الحركات الاسلامية المعاصرة ١١١

الحـــــركات ذات الطابع الشخصى (التى كان محـــورها شخصيات زعمائها : السيد احمـــــد الباريلى بالبنجاب ـ السنوسى بليبيا ـ عثمان بن فودى بغربى افريقية ـ الدعوات المهدية)

- تاثير الدعوة السلفية فى الجماعات الاسلامية الحركية المنظمة القائمـــة ١١٨

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ الاخـــوان المسلمون بمصر ـ الجماعن الاسلامية بشبه القارة الهندية ـ صـــور اخرى : انصار السنة ، الســـلفية تسرى الى الجمـــاعات الصوفية ، التاثير السلبى ٠

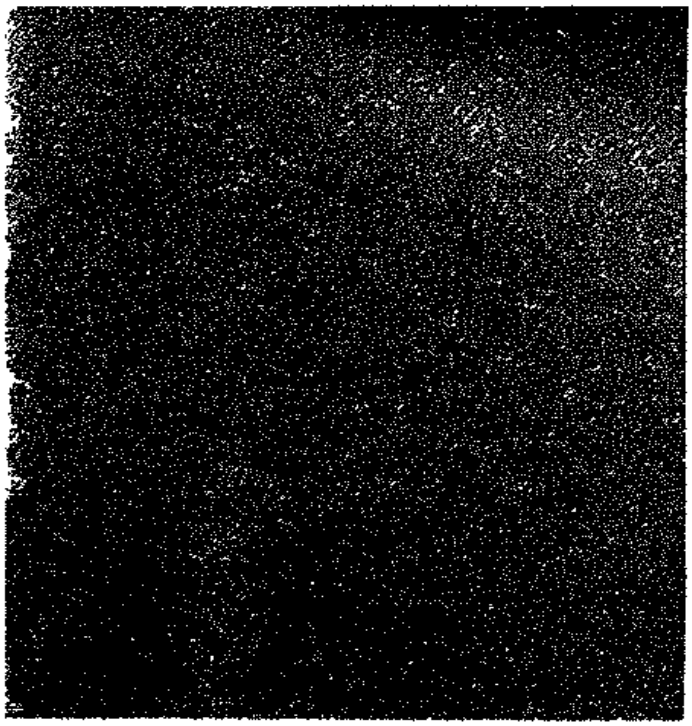

تطلب جميع منشوراتنا من :

دار القلم الكويت

شارع السور - عمارة السور - بجوار وزارة الخارجية القديمة

ص ب ١٤٦٠ ٢ - ب ٧ ٢٤٥٧٤ / ٢٤٥٨٤٧٨

دار القلم دبي

طريق الشمن - بناية الشيخ راشد القديمة

ص ب ١١٨١٧ - مساتف : ٥٢٨٠٠٣

دار القلم القاهرة

٣٦ ش القصر العيني - ص ب ٦٥ مجلس الشعب

القاهرة ت ٣٥٤١١

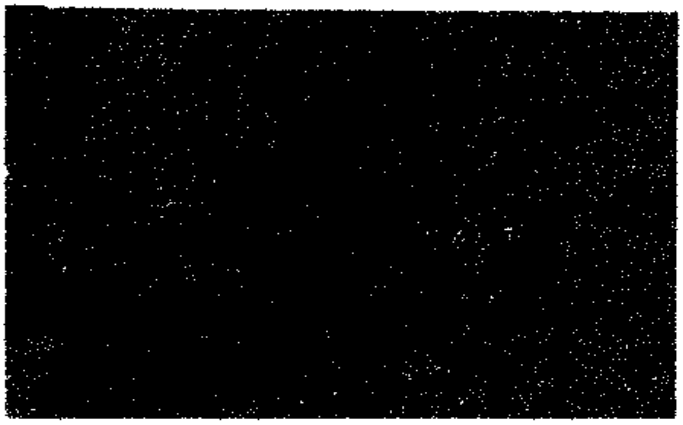

To: www.al-mostafa.com